



مجلة

الأدب الإسلامي

العدد الثامن - لعام الثامن

ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الآخرة 1417 هـ / يوليو - أغسطس - أيلول الأول (الثامن) - تشرين الثاني (الثامن) - نوفمبر 1417 هـ

مجلة فصلية - تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية

2



ندوة تكريم الشيخ أبي الحسن الندوي

تدعو رابطة الأدب الإسلامي العالمية أعضائها وسائر المهتمين بالأدب الإسلامي للإسهام في بحوث الندوة التي سوف تعقد لتكريم سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رئيس الرابطة، وتكون البحوث حول جهود الشيخ في المحاور التالية:

- ١- الأدب الإسلامي
- ٢- الأدب الأردني
- ٣- أدب الأطفال
- ٤- أدب التراجم
- ٥- السيرة الذاتية
- ٦- السيرة النبوية
- ٧- أدب الرحلات

- ٨- التربية الإسلامية
- ٩- العلوم الإسلامية
- ١٠- فقه الدعوة
- ١١- العمل الدعوي
- ١٢- قضايا المساحين في الهند
- ١٣- قضايا العالم العربي
- ١٤- الفكر الإسلامي المعاصر

وتواعد الإسهام في البحوث:

- ١- الالتزام بمنهج البحث العلمي.
- ٢- لا يزيد البحث على ٣٠ / صفحة.
- ٣- ياحق بالبحث ما يخص لا يزيد على ٣ / صفحات.
- ٤- يكتب البحث والمخلص على الآلة الكتابة.
- ٥- ترسل ٣ / نسخ من البحث والمخلص.

ترسل البحوث إلى مكتبة البلاد العربية على العناوين التالية:

الرياض - ص ٥٥٤٤٦ - الرمز البريدي : ١١٥٣٤
على أن يكون الموعود لتلقي البحوث أول محرم سنة ١٤١٧ هـ

وسام صلاح الدين

قال السلطان صلاح الدين الأيوبي: «والله ما أخذت البلاد بالعساكر بل برسائل القاضي الفاضل».

ذلك هو وسام صلاح الدين يكرم به كاتبه، بل يكرم به الأدب والأدباء، ويظهر أثر الكلمة الطيبة الهادفة في إصلاح شؤون الأمة، ونفي الخبث عنها، وتوحيد صفوفها، ورفعها إلى مستوى معركة المصير، التي أحسن صلاح الدين الإعداد لها، حتى استرد بيت المقدس، وخضد شوكة الصليبيين، وألجأهم إلى زاوية ضيقة على البحر ما بين صيدا وصور، وإن لم يلقهم في البحر، إذ كان في قدر الله أن يتم الظاهر بيبرس ما وصل إليه صلاح الدين، ويرتق ما كان بعده من فتق كان سببه - كما قال العماد الأصفهاني - «أن أهل هذا البيت - يعني الأسرة الأيوبية - اتحدوا فملكوا، واختلفوا فهلكوا».

وما أشبه اليوم بالبارحة!.. فالمسلمون اليوم في تيه دونه تيه بني إسرائيل، وقد أصابهم الوهن، وتداعت عليهم الأمم تداعي الأكلة إلى قصبة الطعام، وتفرقت كلمتهم حتى ذهب ريحهم، وغرؤا في عقر دارهم حتى ذلوا، ونهبت خيراتهم حتى ضعفوا واستكانوا، جرفهم تيار التغريب حتى ضاعوا وضيعوا.

وتتلقت الأمة اللهفي إلى أدبائها وشعرائها.. هل تجد فيهم «قاضياً عادلاً» يستحق وسام صلاح الدين؟.. أو «حساناً مفوهاً» يستحق وسام رسول الله ﷺ إذ سمى حسناً «سيف الله»؟.. أو تجد مثل «كعب بن مالك» الذي خشي أن يكون من الشعراء «الذين يتبعهم الفاوون» حتى قال له الرسول الكريم: «يا كعب إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»، أو تجد مثل «إقبال» شاعر الإسلام، الذي أقام دولة الباكستان بشعره قبل أن تقوم حقيقة واقعة، كما قال محمد علي جناح أول رئيس لدولة الباكستان.

ومع ذلك.. مازلنا نجد فينا من ينكر رسالة الأدب بعامة، وينكر الأدب الإسلامي بخاصة.. لأنه لا يحب أن يكون الأدب هادفاً.. وكأنه يحاول أن يرفع راية «الفن للفن» بعد أن انتكست وأصبحت أثراً بعد عين.

بسم الله الرحمن الرحيم
مجلة

الأدب الإسلامي

فصلية تصدرها

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

مؤسسة الرسالة

السنة الثانية - العدد الثامن

ربيع الآخر - جمادي الأولى - جمادي الآخرة ١٤١٦ هـ

سبتمبر - أكتوبر - نوفمبر ١٩٩٥ م

المشرف العام :

أبو الحسن علي الحسني الندوي

رئيس التحرير :

د. عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير :

د. عبده زايد

مدير التحرير :

د. مرعي مذكور

مستشارو التحرير :

د. محمد زغلول سلام - د. إبراهيم أبو عباة

د. الشاهد البوشيخي - كمال رشيد

هيئة التحرير :

د. محمد الفاضل - د. حسين علي محمد

أحمد فضل شبلول - حبيب معل المطيري

أسعار بيع المجلة

دول الخليج ٨ ريالات سعودية أو ما يعادلها - الأردن : نصف دينار - مصر ٣ جنيهات - سورية ١٠٠ ليرة - لبنان ٢٥٠٠ ليرة - المغرب العربي ١٠ دراهم مغربية أو ما يعادلها - اليمن ٢٥٠ ريالاً - السودان ٥٠ جنيهاً - الدول الأوروبية : ما يعادل دولارين .

المراسلات :

الرياض : هاتف ٤٩٣٤٠٨٧ - فاكس ٤٩٢٠٦٩٣

ص.ب ٥٥٤٤٦ - الرمز ١١٥٣٤

القاهرة : هاتف ٥٧٤٣٤٤٦ - ص.ب ٩٦ رمسيس

عمان : ص.ب ١٤١٦٤٨

المغرب - وجدة : هاتف ٧٤٣٣٠٤ - ص.ب ٢٣٨

الاشتراكات

للأفراد : ما يعادل ١٥ دولاراً
للمؤسسات والدوائر الحكومية ما يعادل ٣٠ دولاراً

بيروت - وطني المصيطبة - بناء عبد الله سائت

تلفاكس : ٨١٥١١٢ - ٣١٩٠٣٩ - ٦٠٣٢٤٣

ص.ب ٧٤٦٠٠ - برقا : بيوثران



في هذا العدد

الصفحة

الكاتب

الموضوع

المقالات والبحوث

- | | | |
|-----|----------------------------|--|
| ١ | التحرير | الافتتاحية |
| ٣ | د. عبد القدوس أبو صالح | شبهة المصطلح |
| ٩ | د. إبراهيم السامرائي | الانحياز والعلم |
| ١٩ | محمد زيدان | لقاء العدد مع د. عبد الحميد إبراهيم |
| ٢٩ | محمد عبد الحميد محمد خليفة | من أدباء الإسلام: د. محمد محمد حسين |
| ٤٤ | د. سمير عبد الحميد إبراهيم | الأدب الإسلامي المقارن - عرض كتاب |
| ٤٨ | د. محمد مصطفى بدوي | أحمد كمال عبد الله - شاعر مسلم من ماليزيا |
| ٦٠ | د. حسين علي محمد | القصص الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين - عرض كتاب |
| ٦١ | د. محمد علي داود | في الأدب الإسلامي قضايا وفنونه ونماذج منه - عرض كتاب |
| ٦٨ | د. فهد العرابي الحارثي | موقف ابن عباس من شعر البهتان (من ثمرات المطابع) |
| ٧٤ | محمد مصطفى سليم | تعقيب: قراءة في قصة «حكاية القط والعصفور» |
| ٧٧ | د. حسن فتح الباب | علي محمود طه - شاعر العروبة والإسلام |
| ٨٧ | محمد رستم | النثر الفني عند أهل الحديث |
| ٩٨ | التحرير | قراءة في العدد الثالث من قافلة الأدب |
| ١٠٥ | التحرير | من أخبار الأدب الإسلامي |
| ١١٢ | سعيد الوالي | حول لغة النقد الحديث |
| ١١٣ | د. محمد بن سعد بن حسين | الورقة الأخيرة: واجب الدعوة إلى الأدب الإسلامي |

الإبداع

- | | | |
|----|------------------------|---|
| ١٨ | مصطفى أحمد الزرقا | القرآن العظيم - شعر |
| ٢٣ | يوسف عز الدين | يا إلهي - شعر |
| ٢٤ | د. علي شلق | ذرية بعضها من بعض - مسرحية |
| ٢٨ | د. سعد دعيس | إنهم يسرقون القدس من معجم البلدان - شعر |
| ٤٣ | عنتر مخيمر | أحزان - قصة قصيرة |
| ٤٦ | د. مأمون فريز جزار | أغنية في زمن الانكسار - شعر |
| ٥٥ | أكمل بن الشيخ محمد زين | قد بح صوتنا - شعر |
| ٥٦ | أنور بدر الدين | حاج بلا راحلة - قصة قصيرة |
| ٥٨ | حامد الشريف | لا تحزني طفلي - شعر |
| ٦٢ | لأبي الطيب المتنبي | من تراث الشعر: الفارس والأسد |
| ٦٣ | لأبي زيد الطائي | من تراث النثر: وصف الأسد |
| ٦٥ | عبدالرحمن الصوفي | أنشودة طفل - شعر |
| ٦٦ | محمد عادل سليمان | مركبة التقوى - مسرحية شعرية |
| ٨٦ | مرعي بن محمد القرني | عصفورة التذكار - شعر |
| ٩٥ | حسين يوسف العصفوري | القادم الجديد - قصة قصيرة جداً |
| ٩٦ | عبد الجواد الحمزاوي | سعاد تكذب - قصة قصيرة |

أقلام واعدة

- | | | |
|-----|---------------------------|--------------------------------------|
| ١٠١ | زاهر بن حسن العسيري | حنقاً على شادي القريض - شعر |
| ١٠٣ | محمد بن عبد الله الهويميل | أقبل يا ولدي - شعر |
| ١٠٤ | التحرير | قراءة وتعليق في بريد الأقلام الواعدة |
| ١١٤ | | فهرس «بيبلوغرافيا» |

شبهة المصطلح

بقلم / د. عبدالقدوس أبو صالح

لقي مصطلح «الأدب الإسلامي» معارضة عندما طرح في الساحة الأدبية ، وتراوحت هذه المعارضة بين رفض المصطلح وبين وضع بدائل عنه .

اختلافاً قليلاً أو غير قليل ، ولكنها تتفق في كونها مخالفة للتصور الإسلامي في معظم ما جاءت به .

أما خشية هؤلاء المعارضين الغيورين على الأدب العربي من أن يكون الأدب الإسلامي قد طرح بديلاً عنه ، فهي خشية ليس لها ما يسوغها . . إذ ليس هناك أي تعارض بين الأدب الإسلامي والأدب العربي ، فالأدب العربي نسبة إلى اللغة التي يكتب بها هذا الأدب ، كما نقول «الأدب الإنجليزي والأدب الفرنسي» . أما الأدب الإسلامي فهو أدب منسوب إلى المضمون الذي ينطلق من منطلق عقدي هو التصور الإسلامي الصحيح .

وكما أن الأدب الإنجليزي ، أو الفرنسي ، أو ما شئت من الآداب المنسوبة إلى لغات شعوبها ، تتضمن مذاهب أدبية عقدية متباينة ، تكتب بلغة واحدة ، فإن الأدب العربي الحديث يتضمن مذاهب أدبية عقدية متباينة أيضاً ، ولكن أتباعها أو مريديها يكتبونها بلغة واحدة هي اللغة العربية ، ولم يزعم زاعم أن هذه المذاهب أو بعضها يعارض الأدب العربي أو يزاحمه ، بل إن أنصارها يذهبون إلى أن هذه المذاهب الدخيلة أثرت الأدب العربي وارتفعت به إلى مستويات عالمية .

أما الفريق الآخر الذي يعارض المصطلح مع بدائله الأخرى ، فإن المنطلق الأول فيه هو منطلق بعض المسلمين الذين أصابهم الوهن ، وبعدها عن الالتزام بالإسلام ، وهم ما يفتؤون يرددون عبارات بعينها فيقولون : لماذا تدخلون الإسلام في كل شيء؟ . . وكأن هؤلاء يجهلون - أو يتجاهلون - أن الإسلام كما أراده الله يشمل كل شيء في حياة المسلم ، بدءاً من العقيدة إلى إمطة الأذى عن الطريق ، وهذا الإسلام

فأما المعارضون الذين رفضوا هذا المصطلح ، فقد كانوا

فريقين :

أ - فريق تدفعه الغيرة على الأدب العربي والحماسة له ، فلا يريدون مصطلحاً يظنون أنه لا مسوغ له ، أو يظنون أنه قد طرح بديلاً عن مصطلح «الأدب العربي» .

ب - فريق يعارض المصطلح ، كما يعارض بدائله الأخرى .

أما الفريق الأول الذي تدفعه الغيرة والحماسة ، فيذهب إلى أن الأدب العربي بجملته أدب إسلامي ، وما يعرض في تاريخه القديم أو الحديث من نصوص مخالفة هي من القلة بحيث لا تبطل ما يذهبون إليه .

وحقاً كان الأدب العربي في عصر النبوة والخلافة الراشدة أدباً إسلامياً في جملته ، ولكن دائرة الأدب المضاد كانت تتسع عبر القرون بمقدار بعد المسلمين عن الالتزام بالإسلام وجرأة بعض الشعراء على المجاهرة بالإلحاد والزندقة وارتكاب الآثام والمعاصي حتى إذا جاء العصر الحديث اتسعت دائرة الأدب المضاد ، وأصبح الأدب العربي المعاصر في جانب كبير منه «أدباً مزوراً» - كما يقول الأستاذ محمد قطب - إذ لا يعبر عن عقيدة الأمة ولا ينطق لدى كثير من أعلام الكتاب والشعراء من التصور الإسلامي ، ولا يبالي بثواب الإسلام دون أن يعني ذلك غياب الأدب الإسلامي على الرغم من محاولات التعقيم عليه وعلى رموزه .

وهكذا يصح القول بأن الأدب العربي أدب إسلامي في جملته كلاً لا يخلو من التعميم والبعد عن الواقع الملموس ، وبخاصة بعد أن أصبح كثير من نماذج الأدب العربي المعاصر صدى للمذاهب الأدبية العالمية التي تختلف فيما بينها

أدبنا تعبير فني هادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي ..

ولكن الأدب الإسلامي لا ينبغي أن يُحصر في أدب الدعوة فقط، لأنه كما يدل تعريفه^(١) يشمل أي موضوع، وأي تجربة إنسانية تتعلق بالكون الفسيح والحياة المتشعبة، والإنسان الذي يحيا حياته في هذا الكون.

وهكذا نقول: إن الأدب الإسلامي يشتمل على أدب الدعوة، لكنه لا يحصر في ميادينها مهما كانت متعددة ومتسعة.

وهناك مصطلح «الاتجاه الإسلامي»، وهو مصطلح طرحه بعض المعارضين لمصطلح الأدب الإسلامي ليكون حلاً وسطاً، لا يُتهم أصحابه بأنهم يعارضون الأدب الإسلامي جملة وتفصيلاً. فهم يقبلون به اتجاهًا أدبيًا، يكون في غرض من الأغراض الشعرية، أو لدى شاعر أو كاتب ظهر في نتاجه هذا الاتجاه في صورة بارزة لا يمكن تجاهلها.

ونقول في هذا المصطلح إنه يُهَوَّن من شأن الأدب الإسلامي، ويجعله مجرد اتجاه يظهر حينًا ويختفي حينًا آخر، وكأن الإسلام الذي أوجد الأمة الإسلامية وميزها - بما فيه من خصائص التصور الإسلامي - لم يوجد في أدب هذه الأمة ما يتجاوز الاتجاه الأدبي ليكون أدبًا إسلاميًا له مفهومه المتميز وسماته الخاصة به.

وهكذا نجد في مصطلح «الاتجاه الإسلامي» حين يراد له أن يكون بديلاً عن مصطلح «الأدب الإسلامي» تهويناً من شأن هذا الأدب، بل تهويناً من أثر الإسلام في الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً في جانب مهم من جوانب حياتها العامة وهو جانب الحياة الأدبية، ومن العجيب أن يرى الداعون إلى الاكتفاء بمصطلح الاتجاه الإسلامي كثيراً من المذاهب العالمية تقوم على فلسفات وضعية تخطئ أكثر مما تصيب، ويضنون على الإسلام - الذي هو من صنع حكيم خبير، والذي هو

لم يترك للمسلم أمراً ذا بال، لم يبين فيه وجهة الإسلام الصحيحة بياناً صريحاً واضحاً، أو لم يرشد إلى الطريقة التي تستنبط فيها هذه الوجهة، على ما هو معروف في أصول الفقه.

والمنطلق الثاني لهذا الفريق المعارض للمصطلح مع بدائله هو منطلق الصراع «الأيديولوجي» العقدي، الذي تصدر عنه فئة ممن لا يؤمنون بالإسلام أصلاً، وإن كان بعضهم مسلماً بالهوية والاسم، وهذه الفئة ترى في الدعوة إلى الأدب الإسلامي والاقتصاد الإسلامي، والفكر الإسلامي بعامه إعادة للعرب إلى عصور التخلف، لأنهم يعدون التمسك بالإسلام سبباً للتخلف والجمود والتأخر، وهم يرون في الأدب الإسلامي خطراً يهدد ما يؤمنون به من مذاهب الأدب الدخيل سواء كان أدب الماركسية الذي انتكس بسقوط الشيوعية أو أدب الوجودية، أو العبثية، أو أدب الحداثة بمفهومها الفلسفي الشامل المدمر، أو غير ذلك مما نجد له أتباعاً متحمسين، يريدون أن يلبسوا أمتهم ما لا يوافق ذوقها وأصالتها ودينها وتراثها.

بدائل المصطلح :

سبق مصطلح الأدب الإسلامي أو رافقه طرح بدائل أخرى عنه، وقد تراوحت هذه البدائل بين مصطلح «أدب الدعوة»، ومصطلح «الاتجاه الإسلامي»، ومصطلح «الأدب المسلم»، ومصطلح «آداب الشعوب الإسلامية».

فأما مصطلح «أدب الدعوة» فهو يدرس بهذا الاسم في إحدى جامعات المملكة العربية السعودية التي رعت الأدب الإسلامي وقررت في عدد من جامعاتها وفي كليات المعلمين وكليات البنات فيها. ونقول في هذا المصطلح: إن أدب الدعوة يتوج الأدب الإسلامي، ويمثل قمة العطاء الفني حين يهدف إلى خدمة الدعوة في أي مجال من ميادينها الفسيحة شريطة أن يكون من حيث الأداء بالغ الروعة، وإلا خرج عن أن يكون أدباً.

أدب الدعوة تاج الأدب الإسلامي

أرقى من كل النظم البشرية - أن يكون له مذهب أدبي متميز .

وإذا كنا نرفض مصطلح «الاتجاه الإسلامي» بديلاً عن مصطلح «الأدب الإسلامي» يلغيه ويحل محله، فإننا لا نرفضه إذا بقي إلى جواره يصف واقع أديب معين، يمثل أدبه اتجاهات متعددة، يجيء الاتجاه الإسلامي واحداً منها، فهذا أمر واقع لا ننكره، وتوصيف لا نرفضه، مادام يصف حالة بعينها .

وأما مصطلح «الأدب الإسلامي» فلما أن يراد به ما يراد بمصطلح «الأدب الإسلامي» مع وضع كلمة «مسلم» بديلاً من «إسلامي» . . وإما أن يراد به - كما يقول بعض الداعين إليه - الأدب الذي يصدر عن أي مسلم كان .

قيمة إسلامية :

فإذا كان المراد هو الاحتمال الأول، فإن كلمة «الإسلامي» هنا أفضل من كلمة «المسلم» حيث يقال : الحضارة الإسلامية والأمة الإسلامية والعالم الإسلامي، ولا يقال : الحضارة المسلمة والأمة المسلمة والعالم المسلم .

وأما الاحتمال الثاني، وهو أن يراد بمصطلح «الأدب المسلم» الأدب الذي يصدر عن أي مسلم كان، فقد قال به الدكتور محمد أحمد العزب، وقد بنى دعوته على ما اعترض به على مصطلح «الأدب الإسلامي» حيث يقول^(٢) : «إن مشكلة الأدب الإسلامي تلخص في أنه - لرحابة الإسلام وشموله - يدخل فيه ذلك النوع من الأدب الذي يلتقي مع التصور الإسلامي وإن كان قائله غير مسلم، إذ لا أستطيع أن أقول : إن هذه المقولة ليست إسلامية لمجرد صدورها عن فنان غير مسلم، خاصة إذا كانت لا تشكل أي تحد من أي لون لأي قيمة إسلامية . وأتصور أنه تخلصاً من هذا الإشكال لابد أن يُغير المصطلح إلى «الأدب المسلم» وليس «الأدب الإسلامي» لأنه غير دقيق، وهو غير دقيق لأنه ليس (مانعاً) وإن كان

(جامعاً) أي أنه لا يستطيع أن يمنع دخول غير الإسلامي - إذا لم يتصادم - إلى ساحة الإسلام .

وأقول للناقد الكريم^(٣) : لقد نجوت من واحدة فوقعت في أخرى . . لأن الاصطلاح الذي تقترحه وهو «الأدب المسلم» ليس مانعاً ولا جامعاً، أما أنه ليس «مانعاً» فلأنه يدخل في «الأدب المسلم» الذي عرفته بأنه «كل أدب صدر عن مسلم» أي نص كان، مهما كان مضمونه موافقاً أو مخالفاً للتصور الإسلامي . وأنت تعرف أن كثيراً من الأدباء المسلمين أنتجوا على مر العصور، وفي الأدب القديم والحديث نصوصاً فيها من الكفر والإلحاد والزندقة والمجون ما يصادم التصور الإسلامي، ويخرج عن ثوابت الإسلام، فكيف نعد هذه النصوص من «الأدب المسلم» وهي في مضمونها أبعد ما تكون عن الإسلام، بل ربما دعت إلى نبذ الإسلام بكل ما فيه .

وأما أن مصطلح «الأدب المسلم» ليس «جامعاً» فذلك لأنه يقع في الإشكالية التي أخذتها على مصطلح «الأدب الإسلامي» . . وإلا فكيف تفرق بين نصين متفقين في المضمون الموافق للتصور الإسلامي لمجرد أن القائل الأول مسلم والثاني غير مسلم؟!

ثم أين تكون «المعيارية» في مصطلح «الأدب المسلم»؟ وهي كما يدل المصطلح ذاته تكمن في دين الأديب، ولا تنظر إلى مضمون أدبه . وهذه «معيارية» غير دقيقة أبداً، ولم تعرف في أي مذهب من المذاهب الأدبية، بالإضافة إلى أن كلمة «مسلم» لم تعد تتجاوز لدى كثير من «الأدباء المسلمين» بل لدى كثير من «المسلمين» غير الأدباء . . ما هو مثبت فيما يسمى ببطاقة الهوية أو حفيظة النفوس . . دون أن يكون للإسلام تأثير في أدب كثير من «الأدباء المسلمين» ولا في عقيدتهم ولا في أخلاقهم . . بل ربما وجدت لديهم وفي أدبهم بالذات مصادمة لكل ما يدعو إليه الإسلام .

ونحن حين اعترفنا بإشكالية النص ذي المضمون الذي يلتقي مع التصور الإسلامي مع أن قائله غير مسلم، رأينا أن المخرج من الإشكالية أن نقول : إن هذا النص «موافق للأدب الإسلامي» ولم نخرج بذلك عن المعيارية الدقيقة التي

الشمول يفتح للأدب الإسلامي آفاق الكون بكل ما فيه ..

الإسلامي»، ففي آداب هذه الشعوب، كما هو الحال في الشعب العربي المسلم، مذاهب متباينة واتجاهات متضاربة، يقع بعضها قريباً من مفهوم الأدب الإسلامي، ويقع كثير منها فيما وقع فيه الأدب العربي المعاصر من أتباع المذاهب الأدبية العالمية بما فيها تلك المذاهب المبنية على «معتقدات» أو «أيديولوجيات» مخالفة للإسلام.

وها هم أولاء الأدباء الإسلاميون في الهند وتركيا، وفي أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي، يشكون مما يشكو منه الأدباء الإسلاميون في العالم العربي من طغيان تيار الحداثة الفكرية التي تعد أكبر فتنة يتعرض لها المسلمون عن طريق جانب مهم من جوانب حياتهم وهو الجانب الأدبي الذي لا ينكر أحد أهميته وخطورته.

بدائل أخرى :

وإذا كان ما عرضنا يمثل أهم البدائل عن مصطلح «الأدب الإسلامي» فقد يقتضي استيفاء البحث أن نشير إلى بعض البدائل الأخرى، التي طرحت بصورة عرضية من قبل بعض المؤيدين أو المعارضين للأدب الإسلامي.

ومن هذه البدائل مصطلح «الأدب الديني» .. وهو مصطلح قديم، أطلق على كل نتاج أدبي يتصل بأي دين كان.

ومن المعروف أن الآداب القديمة نشأت في محضن الدين بما في ذلك الأدب اليوناني والروماني ..^(١)

وليس يضير الأدب الإسلامي أن يوصف بأنه «أدب ديني» فتلك حقيقة بدئية، لأنه ينطلق من التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون .. ولكن الذين يريدون إطلاق مصطلح «الأدب الديني» بديلاً عن مصطلح «الأدب الإسلامي» إنما يهدفون إلى أن هذا الأدب يدور في مجال

استظهرناها من تعريف الرابطة للأدب الإسلامي بأنه «التعبير الفني الهادف عن الحياة والكون وفق التصور الإسلامي».

أما الأخذ بمصطلح «الأدب المسلم» في مثل هذه الحالة فإنه يلزمنا أن نقول: إن هذا النص الذي يلتقي مع التصور الإسلامي وقائله غير مسلم يوافق نص «الأديب المسلم» .. مع أن هذا الأديب المسلم لا يلزم حسب تعريف الأدب المسلم بأنه «كل أدب صدر عن مسلم» بأن يكون مضمون نصه إسلامياً، بل لقد صرح الدكتور العزب بقوله: «وكل أدب صدر عن غير مسلم - حتى ولو لم يتناقض [أي لم يتناقض مع التصور الإسلامي] فهو غير مسلم» .. وهذا أمر مستغرب جداً.

وهكذا يؤدي مصطلح «الأدب المسلم» بهذا التعريف إلى أن تكون قضية الأدب الإسلامي دعوة إلى ارتباط أدباء منتسبين إلى الإسلام، على الرغم من اختلاط أدبهم ذي التصور الإسلامي بأدب مضاد لهذا التصور، بينما تقوم الدعوة إلى «الأدب الإسلامي» على ارتباط الأدباء المؤمنين بالإسلام حقاً لا اسماً ولا تقليداً .. ما داموا يصدر عن جميعاً في أدبهم عن التصور الإسلامي الذي يؤمنون به.

ومن هنا أقول للدكتور العزب: إن الدعوة إلى مصطلح «الأدب المسلم» بالتعريف الذي عرفه به .. تؤدي إلى نفس الدعوة إلى الأدب الإسلامي نظرية متكاملة أو مذهباً أدبياً، يقف أمام المذاهب الأدبية العالمية القائمة على تصور غير إسلامي. فكيف ندعو إلى تلك النظرية أو المذهب وكل منهما ينبغي أن يبنى على التصور الإسلامي السليم .. إذا قبلنا حسب مصطلح «الأدب المسلم» وتعريفه أن يدخل باسم هذا المصطلح «أدب كل مسلم» وإن كان منحرفاً عن الإسلام أو مصادماً له بالكلية.

وأما مصطلح «آداب الشعوب الإسلامية»، فهو - كما تدل صيغته - لا يمكن أن يكون عنواناً لمذهب أدبي .. بالإضافة إلى أن أحداً من النقاد أو الدارسين لم يزعم أن آداب الشعوب الإسلامية تدخل كلها في مفهوم «الأدب

عليها المذاهب الأدبية المختلفة»^(٥).

ومادام مصطلح «الأدب الإسلامي» قد سارت به الركبان كما يقولون، بعد أن تبنته رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي تنتشر مكاتبها في كثير من أنحاء العالم الإسلامي، وبعد أن أخذ به معظم الأدباء الإسلاميين، وصدرت باسمه ثلاث مجلات بالعربية والتركية والأردية، وأقيمت حوله عشرات المؤتمرات والندوات المحلية والعالمية، فقد آن للأدباء والنقاد الإسلاميين أن يأخذوا جميعاً بهذا المصطلح الذي غلب على المصطلحات الأخرى، وكان أكثر إحكاماً ودقة منها.

تضييق دلالة المصطلح:

ذهب بعض المتحمسين للغة العربية - وهم من الداعين إلى الأدب الإسلامي - إلى أن هذا الأدب ينبغي أن يُقصر على الأدب المكتوب باللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، وعلى من يريد من المسلمين غير العرب أن يكون لهم أدب إسلامي أن يتعلموا العربية، كما تعلمها أجدادهم من الأعاجم في العصور السابقة.

ونقول هنا: لا شك أن لغة القرآن الكريم هي اللغة الأولى للأدب الإسلامي، إلا أنه لا يجوز أن يحصر في لغة واحدة مهما كانت دوافع الغيرة والحماة لها.

ومن الواضح أن هذا الموقف الذي تملّيه الحماسة المفرطة يُضيق دائرة الأدب الإسلامي، ويحول بينه وبين أن تكون له نظرية أو مذهب عالمي، يأخذ به الأدباء المسلمون على مختلف جنسياتهم وشعوبهم، ويصدرون عنه في لغاتهم القومية... مادامنا نشترط أن يتعلموا العربية، ويكتبوا بها حتى ندخل أدبهم في دائرة الأدب الإسلامي.

ومن الواضح أن ما يذهب إليه بعض المتحمسين هنا غير مقبول إسلامياً ولا إنسانياً ولا واقعياً.

فهو غير مقبول إسلامياً لأن هذا الموقف يدخل في العصبية التي نهى عنها الإسلام، وهذا الموقف يمثل نوعاً من

ضيق محدد، لا يتجاوز الموضوعات الدينية إلى آفاق الحياة والكون الواسع - ولا يتناول سائر التجارب الإنسانية كما تفعل المذاهب الأدبية الأخرى.

وهكذا يفضل هؤلاء المعارضون عامدين أو غير عامدين أن «الأدب الإسلامي» ينطلق من خصوصية دين معين، يختلف عن الأديان الأخرى بكونه نظاماً شاملاً لا يقتصر على العقيدة والعبادة. وهذا الشمول يفتح للأدب الإسلامي آفاق الكون بكل ما فيه، إذ ليس هناك موضوع أو تجربة إنسانية يحظر على الأديب المسلم أن يتناولها فيما يبدع من فنون الأدب.

كذلك طرح بعضهم مصطلح «أدب العقيدة الإسلامية» وهو لا يختلف عن مصطلح «الأدب الإسلامي» إلا بما في هذا المصطلح الأخير من الشمول. فالأدب الإسلامي ينطلق من العقيدة الإسلامية، ولكن لا يحصر في موضوعات العقيدة، ولا يحصر في أدب الدعوة كما قدمنا آنفاً.

وأما مصطلح «الأدب الأخلاقي» فقد طرحه بعض المعارضين للأدب الإسلامي ليهونوا من شأن «الأدب الإسلامي» والدعوة إليه نظرية أو مذهباً أدبياً. ومع أن الأدب الإسلامي أدب أخلاقي دون ريب، ويشرفه أن يدعو إلى مكارم الأخلاق، فإن الذين ادّعوا أنه مجرد أدب أخلاق ومواعظ مباشرة... إنما زعموا ذلك لأنهم لا يرون في الإسلام ما يصلح أن يكون بديلاً عن «الأيديولوجيات» التي تنطلق منها المذاهب الأدبية العالمية، وهم يحتجون بأنهم يغارون على الإسلام، فالإسلام دين كامل، وليس مجرد «أيديولوجية» أو «معتقد بشري». ولكن هذا الدين العظيم يتضمن ما هو أوسع من «الأيديولوجية» لأنه يشمل العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات. «فلماذا دعونا إلى الأدب الإسلامي عنيًا به مذهباً أدبياً له خصائصه الفكرية والفنية التي تعبر عن شخصيتنا الإسلامية وتراثنا. وقاعدته الفكرية التي ينطلق منها هي الإسلام، وهو أرقى وأشمل في نظره للكون والإنسان من كل الفلسفات المثالية والعقلية والمادية التي قامت

العالمية، كالواقعية الاشتراكية والوجودية، كتب أتباعها بلغات مختلفة، لأن الجامع في المذاهب الأدبية العالمية من أسس عقدية أو نظرية أدبية أو منهج نقدي . . كل هذه الأمور لا تختص بها لغة معينة، يحظر على أتباع المذهب الأدبي أن يكتبوا بغيرها .

وها نحن أولاء اليوم نجد في الواقع الملموس أن هناك أدباً إسلامياً في مختلف لغات الشعوب الإسلامية، وهذا الأدب ينطلق من تعريف واحد أو متقارب للأدب الإسلامي، ومن قاعدة واحدة هي «التصور الإسلامي» .

ومن البديهي أن يكون بين آداب الشعوب الإسلامية خصائص وسمات مشتركة يمكن أن نصل إليها بعد دراسة الخصائص والسمات في كل أدب من هذه الآداب على حدة، وهذا ما بدأت به مشكورة عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إذ نشرت كتاباً متتالية عن الأدب التركي الإسلامي، وعن الأدب الأردني الإسلامي، وعن الأدب الأفغاني . . ولعلها تمضي بتوفيق من الله في هذا العمل الجليل الذي يؤكد أصالة الأدب الإسلامي وعالميته .

الهوامش :

- (١) عرقته رابطة الأدب الإسلامي بأنه «التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي» .
- (٢) صحيفة «المسلمون» العدد ٤٣٧ (٢٨ من ذي الحجة ١٤١٣ / ١٨ حزيران (يونية) ١٩٩٣) «ندوة الأدب الإسلامي بالنصورة» .
- (٣) صحيفة «المسلمون» - المصدر السابق (العدد ٤٤٤ - ١٨/٢/١٤١٤ هـ - ٦/٨/١٩٩٣ م) (تعليق على ندوة الأدب الإسلامي بالنصورة) للدكتور عبدالقدوس أبو صالح .
- (٤) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي - د. عبدالباسط بدر، ص ٢٥ (دار المنارة - جدة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .
- (٥) انظر موضوع «التغريب وأثره في الشعر العربي الحديث» للدكتور محمد مصطفى هدار - مجلة الأدب الإسلامي - العدد الثاني، ص ٧ .

الاستعلاء على الشعوب الإسلامية غير العربية، والتي قصر العرب - ومازالوا مقصرين - في نشر اللغة العربية بينها . ومع شرف الدافع ونبل الغاية اللذين يدفعان هذا الموقف الحماسي، فإن الإسلام يتيح للمسلم دون ريب أن يكتب الأدب بلغة قوية، أو أي لغة شاء .

وهذا التضيق غير مقبول إنسانياً لأن فيه ظلماً للأدباء الإسلاميين من غير العرب، حين ننكر أن يكون نتاجهم داخلياً في الأدب الإسلامي، وإن كان صادراً عن التصور الإسلامي الصحيح . فإن الله عز وجل لم يخص العرب ولا الناطقين بالعربية بالمواهب الأدبية دون غيرهم من الناس، ولم يحظر الإسلام على العرب أن يمارسوا نشاطاً إنسانياً هو في فطرة الناس وطبائعهم، إذ يعبرون عن مشاعرهم تعبيراً أدبياً باللغة التي يتكلمونها ويكتبون بها .

وهذا الموقف مرفوض من جهة الواقع الذي نراه أمامنا، فهو يرفض هذه النظرة الضيقة، فالشعوب الإسلامية بأسرها لها أدبها القومي أو المحلي المكتوب بلغتها، ولهذا الأدب وجود قديم قبل أن تسلم هذه الشعوب وبعد إسلامها .

وما أدري ماذا يسمى المتحمسون ذلك الأدب الإسلامي الذي لا يأخذ عليه من وجهة نظرهم إلا أنه لم يكتب بالعربية؟ ثم كيف يميزونه عن الأدب المضاد للتصور الإسلامي، والمكتوب باللغة التي كتب بها الأدب الملتزم بالإسلام؟ . .

وإذا كان كثير من أدباء الشعوب الإسلامية في القديم تعلموا العربية، وصاروا من شعرائها وكتابها . . فذلك لأن عز المسلمين جعل اللغة العربية لغة الخلافة التي تحكم أنحاء العالم الإسلامي، كما أنها لغة العلم والحضارة، بالإضافة إلى أنها لغة القرآن التي يتعبد بها المسلمون على اختلاف أجناسهم .

أما أن نقصر الأدب الإسلامي على اللغة العربية وحدها، فهذا أمر مستغرب، وكثير من المذاهب الأدبية

الانحياز والعلم

كتاب «السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني»

د. إبراهيم السامرائي

ليس من ضير أن أستعير كلمة «الانحياز» من كلمة مركبة عرفت لها العربية المعاصرة دارت وشاعت في كتابات المعاصرين من أهل السياسة، وترددت في الصحف وغيرها من وسائل الإعلام، تلکم هي «عدم الانحياز».

عصره فجعل منه مادة كتابه الذي دعاه «حديث الأربعاء».

ولكن هذا الكتاب أو قل صاحبه أبا الفرج الأصفهاني لم يسلم من نقد الأدباء الدارسين، ولا سيما من عرفوا بسيرة خاصة في أخذهم قولاً وعملاً بالإسلام في عصرنا، وكان هؤلاء قد استعاروا ما كان للمسلمين من النقد في العلوم الإسلامية، ولا سيما السنة النبوية الشريفة، فقاوسوا بميزان السنة وما عرف بـ «الجرح والتعديل»، المعارف الأدبية والفنية.

وقد رأيت أن أعرض لهذا الكتاب الذي شغل به الدارسون طوال عصور عدة، وكان من هذا أن وقع بيدي كتاب للأستاذ وليد الأعظمي وسم وسمًا غريبًا بـ «السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني»، فقرأته فوجدتني أمضي في قراءته لأتحري ما دفع صاحبه إلى أن يشهر «سيفه اليماني لينحر هذا الأصفهاني». لقد انتهيت من هذه القراءة، وأنا جادٌ فيها، لأتبين أكان أبو الفرج شعوبياً؟، وإذا كان كما خيل لصاحب الكتاب أن يكون، فهل يحل

فذهبوا إلى بعض من «علمانية» لم يصرحوا بها، يظهر فيما يكتبون، إن عرضوا المسألة أو مشكلة اجتماعية، فيذهبون فيها بعيداً عن الحيز الديني، وإن كان للأديان صلة بها. وقل الشيء نفسه لمن اطمأن في نفسه إيماناً بالدين، لأنه لا بد أن يعرض لما هو فيه فيتمثل له ما قيل في التعاليم الدينية.

وأنت تدرك هذا لدى أهل الفكر السياسي فيما يكتبون، فتدرك أن صاحبك الذي تقرأ ما يكتب من أصحاب اليمين الذي ينادي بـ «القومية» شعاراً ومصيراً، كما تدرك أن هذه القومية «ليست عربية» بل إنها تتجهج إلى يسار سموها «اليسار البعثي» ولكنه «عربي - اشتراكي». وأنت تستشف «اليسار» معتدلاً كان أم بعيداً في انتسابه إلى شيوعية صريحة أو مغلقة.

وأخرج من هذا التمهيد لأعرض إلى كتاب «الأغاني» الذي شغل به الدارسون للأدب القديم، الذي أكبره القدماء والمحدثون، حمد هذا الكتاب الوزير صاحب بن عباد حتى جعله رفيقه في حله وترحاله، كما حمده طه حسين في

وقد كان لنا أن نزخرف عربيتنا المعاصرة بما نقبسه من اللغات الغربية، فقد أريد في الإنكليزية، أن توصف جماعة من الدول بأنها لا تتبع إحدى القوتين العظميين إبان عهد ما دُعي لديهم بـ «الحرب الباردة»، وهما الغرب والاتحاد السوفيتي، فأطلقوا مصطلحهم Non-Ally، وهو في الفرنسية Non-allie. وليس في قصدي أن أؤرخ لهذا المصطلح السياسي، ولكني أكتفي بالقول إنه اختير لدى الغربيين بعد أن كانوا يرددون «الدول المتخلفة»، وكأنهم هجروا هذا المصطلح الأخير لحاجة في أنفسهم تتصل بحسن لقاء هذه الدول وتلقاها.

ولقد وجدت أن «الانحياز» الذي اقتطعته من «المصطلح السياسي» قد يكون مفيداً في استعارته إلى ما أنا فيه من العلم. لقد وجدت أن المؤلفين في الدراسات الإنسانية لم يسلموا عما يعمر أنفسهم فكراً وسلوكاً مما ابتلوا به خيراً كان أم شراً، فأنت ترى الدارسين في الأدب ممن أوحى إليهم مثلاً أن العامل الديني يفرق بين الناس هنا وهناك،

الأصفهاني ليس حجة.. فهو لم يسلم من نقاد الدارسين

أبواب المعارف تصانيف ذكروها تشهد بأشتاتها عن أفانين مختلفة. وليس بنا حاجة إلى أن نعرض لها في هذا الموجز. ومن المفيد أن أذكر هنا ما ذكره ابن خلدون في «المقدمة»^(٦) عن كتاب الأغاني الذي يعد أكبر كتبه وأجلها فائدة، قال:

«جمع فيه [أي الأغاني] أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم، وجعل مبناه على الغناء، في مئة الصوت التي اختارها المغنون للرشيء، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه. ولعمري إنه ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال. ولا يعدل به في ذلك كتاب فيما نعلمه، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنى له بها».

ونفيد من أخباره أنه لم يشغل بهذا الكتاب الذي قضى في تهيته وتحريره خمسين سنة، ولا بتصنيف كتبه الأخرى ورسائله وقرض الشعر، وجمع الدواوين حسب، فقد عمرت داره بتلاميذه ومن أخذ عنه من أهل العلم.

وقد كان كتاب الأغاني لدى طه حسين من المعاصرين المصدر الذي لا يعول على

والبيطرة ونتف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك. وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء الشعراء، وحصل له ببلاد الأندلس كتب صنفها لبني أمية ملوك الأندلس، وسيرها إليهم سرًا، وجاء الإنعام سرًا: منها نسب بني عبدشمس، وأيام العرب وغيرها».

وجاء في «معجم الأدباء» لياقوت عن معرفة أبي الفرج في عالم الحيوان هذا الخبر:

«كان لأبي الفرج سنور أبيض يسميه «يققًا»، وكان من عادة هذا السنور أن يخرج ويصيح إذا ما قرع باب أبي الفرج قارع إلى أن يتبعه من يفتح الباب، وقد مرض بالقولنج فشغل أبو الفرج بعلاجه، وتفقد أصحابه، وذهب إليه منهم أبو إسحاق الصابي وأبو العلاء صاعد وأبو علي الأنباري لقضاء حقه وتعرف خبره، فطلع عليهم أبو الفرج بعد مدة مديدة ويده ملوثة بما ظنوه شيئًا كان يأكله، فقالوا له: عققناك بأن قطنناك عما كان أهم من قصدنا إياك، فقال لهم: لا والله يا سادتي ما كنت على ما تظنون، وإنما لحق يققًا قولنج فاحتجت إلى حقته فأنا مشغول بذلك، فلما سمعوا قوله ورأوا التلوث في يده نفروا منه واعتذروا إليه وانصرفوا عنه لتناهيته في القذارة إلى ما لا غاية بعده»^(٤).

قلت: وقد تكلم غير واحد في «قذارة» أبي الفرج^(٥).

وقد تحدث كثير من أهل العلم عن علم أبي الفرج وأنه صنف في كثير من

لامرئ مسلم متحرج في إثبات الحكم أن يرى قتله ويبحث على قتله؟

إن الحث على القتل، والأمر بإهدار الدم لا يحل إلا إذا ثبت ما يوجب هذا، وأنا

معشر المسلمين نلتزم

بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾. فهل كان مما يحق لامرئ من المسلمين أن يأمر به «نحر الأصفهاني صاحب الأغاني بالسيف اليماني» كما أراد الأستاذ وليد الأعظمي؟

لم يكن شيء من هذا يدفعنا إلى أن نصل إلى هذا الحد، ولي قبل أن آتي على هذا الكتاب وأعرض لجهده مؤلفه وما بسطه مما قيل في أبي الفرج من أنه كان كذابًا يصنع رواياته لغرض في نفسه جُبِّل عليه من «شعوبية» لا تبتعد عن «مجوسية» وكيد للعرب والمسلمين، أن أبسط رأي أهل العلم من الأقدمين والمعاصرين.

قال ابن خلكان: ^(١)

«قال التنوخي: ومن الرواة المتسعين ^(٢) الذين شاهدناهم أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني الكاتب، يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والأحاديث المسندة والنسب ما لم أر قط من يحفظ مثله، ويحفظ دون ذلك من علوم آخر منها اللغة والنحو، والخرافات ^(٣)، والسير والمغازي، ومن آلة المنادمة شيئًا كثيرًا، مثل علم الجوارح

كان الأصفهاني هجاءً لم يسلم معاصروه من لسانه . .

سواء، وقد أثنى عليه شفيق جبري في كتابه «دراسة الأغاني»، وشفيق جبري قد أدرك ما في هذا الكتاب من فوائد لا يستغني عنها أهل الدرس .

أقول: والذي وقف عليه الأستاذ وليد الأعظمي من أخبار ذهب فيها إلى أن أبا الفرج قد أخطأ متعمداً وأساء إلى العرب والإسلام بطعنه، على رأيه، بآل البيت كما سنرى، أقول: هذا الذي ذكره الأعظمي في كتابه لا يمكن أن يفسر على الشعوبية ونحوها من كيد للعرب والمسلمين، كما لا يمكننا أن نرفض ما في الكتاب من فوائد جلية. (٧)

أقول أيضاً: لقد قرأ الكتاب خلق كثير منذ أن صنفه أبو الفرج، ولكننا لم نعرف لهؤلاء من ذهب إلى ما ذهب إليه صاحبنا الأعظمي. وسأعرض للأقوال الموجزة التي بسطها مؤلف «السيف اليماني»، بعد أن أشير إلى أقوال المتقدمين الذين رموا أبا الفرج بالكذب والتلفيق:

قال الخطيب البغدادي: حدثني أبو عبدالله الحسين بن محمد بن طباطبا العلوي، قال:

سمعت أبا محمد الحسن بن الحسين ابن النوبختي كان يقول: كان أبو الفرج الأصبهاني أكذب الناس، كان يشتري

شيئاً كثيراً من الصحف، ثم تكون كل رواياته منها. (٨)

أقول: إن صاحب الحديث أبو عبدالله الحسين بن محمد بن طباطبا العلوي وحديثه هذا عن أبي محمد الحسن بن الحسين بن النوبختي، وكلاهما من الشيعة. وكأن الشيعة لم يحسنوا الظن بأبي الفرج الأصفهاني الأموي الأصل الذي لا يمكن أن يكون متشيعاً فيجمع بين تقيضين على ظنهم فذهبوا إلى هذا الذي ذهبوا إليه.

وأنا أستظهر على هذا بما قال الخوانساري في أبي الفرج:

«وأيا ما وجد في كلماته من المديح [أراد مدح آل البيت]، ففيه أولاً أنه غير صريح، وما سلم فهو محمول على قصده التقرب إلى أبواب ملوك ذلك العصر، المظهرين لولاية أهل البيت غالباً، والطمع في جوائزهم العظيمة بالنسبة إلى مادحيهم، كما هو شأن كثير من شعراء ذلك الزمان، فإن الإنسان عبد الإحسان، مع أنني تصفحت كتاب أغانيه المذكور إجمالاً فلم أر فيه إلا هزلاً أو ضلالاً، أو بقصص أصحاب الملاهي اشتغالا، وعن علوم أهل بيت الرسالة اعتزالاً، وهو ما ينيف على ثمانين ألف بيت تقريباً . . .» (٩)

أقول: هذا مؤرخ شيعي من العصور المتأخرة يعرض لكتاب الأغاني فلم يرضه ولم يجد فيه حاجته إلا أنه لم يستنكر ما كان فيه مما عده الأستاذ وليد الأعظمي نبلاً من آل البيت وقدحاً فيهم لا يكون إلا من شعوبي أشبه بالمجوس

ادعى أموية كاذبة.

وأعود إلى الخطيب البغدادي الذي حدث بحديث ابن طباطبا العلوي الذي أتى بكلام أبي محمد الحسن بن الحسين بن النوبختي الذي نعت فيه أبا الفرج بالكذب الذي فاق كذب غيره فأجد الخطيب يذكر شيئاً آخر فيقول:

«وكان أبو الحسن البتي [وهو شيعي أيضاً] يقول: لم يكن أحد أوثق من أبي الفرج الأصفهاني». (١٠)

وابتعد عن أخبار الأقدمين متنبهاً إلى عصر الخوانساري صاحب «روضات الجنات»، وأتحول إلى المعاصرين لأبسط ما قالوا في روايات أبي الفرج ومن هؤلاء سيد أحمد صقر الذي قال في مقدمته لكتاب «مقاتل الطالبين»:

«والذي يقرأ الأغاني ومقاتل الطالبين تهوله تلك الكثرة الهائلة، ويتعاطفه ذلك الجَمّ الغفير من الرواة ويتخالجه الشك إذا ذكر ما يقوله ابن النديم من أن أبا الفرج كانت له رواية يسيرة، وأكثر تعويله في تصنيفه كان على الكتب المنسوبة الخطوط أو غيرها من الأصول الجياد. (١١)

ومن المعاصرين أيضاً الأستاذ عبدالستار أحمد فراج الذي قال:

«ويجد أكثر المتأدبين في عصرنا أن المشكلة التي يضيّقون بها، في مثل كتاب الأغاني، هي كثرة الأسانيد («حدثنا

فلان عن فلان . . .)، وتعدد الرواية للخبر الواحد، لاختلاف ألفاظ أو لاختلاف أحد الرواة. وتلك إحدى المميزات التي يعتز بها المؤلفون ليوثقوا عملهم، وليبرثوا أنفسهم مما قد يكون في الخبر من غرابة.

والذين يعنون بالتمحيص والتدقيق، يهمهم أن يعرفوا شيئاً من حياتهم ومدى صدقهم، وصلتهم بالأحداث، ومن هذا يستطيعون الحكم على النص، ومدى الاستعداد لتقبله والرضا عنه. (١٢)

وقال محمد أحمد خلف :

«... فلقد كان أبو الفرج يقصّ ألواناً من القصص تتمثل فيها الغرابة، وهو يقصّها إرضاءً للروح الدينية أو المذهبية الخاصة، أو لأنها تستثير الخيال، وترضي هذه العقلية التي تميل إلى الغريب، ولو كان من المصنوعات والأكاذيب». (١٣)

وقال أيضاً :

«وحرص أبي الفرج على الإسناد واضح في كتابه (الأغاني) و(المقاتل)، وهو حرص لا يتلاءم وتساهله في الرويات، وأخذ عن الكذبة، وتدوينه للمصنوعات، لأن الإسناد ما وجد إلا ليحول بين الرواة وبين أن يخدعوا فيروا الأكاذيب، أو الموضوع من الأخبار والأقاصيص. ولذا كان لابد لنا من هذه الوقفة، لنرى رأينا في أبي

الفرج، فهل كان حرصه على الإسناد لتكون الصحة في النقل؟ أو كان لأمر آخر يقصد ويراد؟» (١٤)

وقال أيضاً :

«ولقد وقفنا على ما لأبي الفرج من ميول وأهواء، فيجب أن نحذر هذه الميول وهذه الأهواء، كلما حاولنا الاعتماد على ما خلف الرجل من مرويات، فقد يكون الرجل مضللاً، وقد يكون صاحب غرض وهوى، وليس بخفي أن للأهواء حكمها في التاريخ، وهو حكم قد يلبى رغبته لا في ذكر الأخبار فحسب، وإنما أيضاً في الكتمان». (١٥)

أقول : لقد رأينا في آراء الأقدمين والمعاصرين ما يؤيد ما ذهب إليه الأستاذ وليد الأعظمي، وما يخالفه، والآن لابد أن أعرض لشيء مما أتى الأعظمي صاحب الكتاب، فقد ذكر في الصفحات (٢٧-٤٣) طائفة من الرواة الكذابين الذين اعتمد عليهم الأصفهاني، فقال :

«اعتمد أبو الفرج الأصفهاني، في كثير من أخباره السوداء المظلمة المسمومة، على طائفة خبيثة من الرواة الكذابين، والمجروحين والمطعون عليهم، واعتبر أخبارهم موثقة، ولوث صفحات تاريخنا وأدبنا بالسخائم والبلايا.

وقد رجعت إلى كتب الرجال في الجرح والتعديل، والتوثيق والتضعيف، فرأيت من هؤلاء كل داهية دهية، وبلية عمياء، واستخرجت أقوال علماء

السلف فيهم، وطعنهم عليهم، وتحذيرهم من الاعتماد عليهم والرواية عنهم.

* * *

وهذه قائمة بأسماء أولئك الرواة المجروحين، وأقوال العلماء فيهم :

١ - محمد بن أحمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٣٥ . . .).

أقول : بعد أن أثبت الأستاذ وليد الأعظمي هذا الراوي ذكر ما قال فيه العلماء (المحدثون).

قال الدارقطني : كان ضعيفاً في ما يرويه.

وقال الخطيب البغدادي : كان غير ثقة فقد وضع أحاديث.

وقال أبو الفتح عبيدالله بن أحمد النحوي : كذب أصحاب الحديث ابن أبي الأزهر.

وقال الحسن بن علي البصري : ليس بالمرضي.

وقال المرزباني : كذب أصحاب الحديث، وأنا أقول : كان كذاباً قبيح الكذب ظاهره.

ثم أورد الأستاذ وليد قائمة بأجزاء الأغاني مع الصفحات التي روى فيها أبو الفرج عن ابن أبي الأزهر، وهي قائمة تشتمل على جملة من أجزاء الأغاني.

ثم ذكر «الهيثم بن عدي الكوفي» من جملة الرواة الكذابين، وأورد أقوال رجال العلم فيه، وهم : الإمام

النوبختي بمقالة البتي في توثيق أبي الفرج.

وقال الأستاذ محمود شاكر:

«وكتابا أبي الفرج (الأغاني الكبير) و(مقاتل الطالبين)

يشهدان على صحة نقله، كروايته ما قرأ من الكتب على محمد بن جرير الطبري الإمام المفسر، وكذا الذي عندنا من روايته عن (طبقات فحول الشعراء)، وكان الذي أفاض في ذكره عند النقل من كتب لم يسمعها من الشيخ فيقول: «نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى» [الأغاني ٣/ ١٤٩، ١٩٤، ٢٠٦، ...]، أو: «نسخت من كتاب الحرابي ابن أبي العلاء» [الأغاني ٤/ ٢٤٠]، مثلاً، وهذا كثير لا يحصى في كتاب الأغاني.

وهذا أمر يطول، ولكنني ذكرته لأبين تحامل أبي محمد الحسن بن الحسين النوبختي الكاتب (ص ٣٢٠ - ٤٢٠)، وكان محدثاً، وكان يتشيع إلا أنه صدوق ثقة في الحديث، فلعله ألزم بالورع في أمر حمل الأحاديث والأخبار، فنعى على أبي الفرج تساهله واتهمه بالكذب. هذا مع إحسان الظن، ولكنني أخشى أن يكون تشييعه حمله على الطعن في أبي الفرج الأموي الأرومة، وكان شيعياً، وهذا نادر في الأمويين، فلم يرض النوبختي ما كان يظهره من التشيع! والله أعلم بما بين الشيعة، ولكن راوي الخبر عن

أن نرفض عامة هذه الفوائد الأدبية التاريخية في «الأغاني» لأنها اشتملت فيما اشتملت عليه من رواة الأسانيد على هؤلاء الرجال الذين لم يوثقهم رجال الحديث فيما روه من أحاديث.

أقول: وقد ذهب إلى مثل هذا الأستاذ الجليل أبو فهر محمود محمد شاكر حين عرض في «برنامج طبقات فحول الشعراء» لما ورد في تاريخ بغداد (٣٩٩/١١ - ٤٠٠) لما قاله أبو محمد الحسن بن الحسين النوبختي الذي جاء فيه أن أبا الفرج كان أكذب الناس، والذي ذكرته في هذا الموجز.

قال الأستاذ محمود:

«... وتساهل أبي الفرج ههنا إنما جاء من أنه ليس أمر دين تطلب في روايته الثقة والبيان، بل هو أمر أدب وأخبار وآثار، ورواة الأخبار يتساهلون تساهلاً حتى أسقطوا الإسناد في كتبهم كما فعل المبرد وغيره من أهل الأدب.

وهذا التساهل هو الذي حمل بعضهم على الطعن على أبي الفرج لأنه علم علماً يقيناً أنه ينقل من كتب معروفة معلومة، وأنه يقول: «أخبرني فلان» دون أن يبين: أهى رواية إجازة، أو مناولة أو مكاتبة كالذي فعله أبو الفرج في القسم الثالث الذي ذكرته آنفاً، وأكثر في استعماله. وبعضهم هذا تحامل على أبي الفرج تحاملاً شديداً، فاتخذ تساهله هذا ذريعة للطعن فيه، فقد روى الخطيب البغدادي [وذكر حديث ابن طباطبا العلوي في سماعه عن ابن النوبختي، ورد ابن طباطبا مقالة

البخاري، ويحيى بن معين، وأبو داود وأبو حاتم وأبو زرعة وأحمد العجلي والساجي والإمام أحمد بن حنبل وابن يونس، وكلهم قال: «ليس بثقة»، متروك الحديث، وبعضهم أشار إلى كذبه وأنه ليس بشيء».

وأعقب ذلك بقائمة أخرى تشتمل على الأجزاء من الأغاني وصفحاتها التي ورد فيها الهيثم بن عدي من الرواة الذين اعتمد عليهم صاحب «السيف اليماني»...

وهكذا صنع مع هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وأبي النضر محمد بن السائب الكلبي، وأحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار المعروف بحمار العزير، ومحمد بن زكريا بن دينار الغلابي البصري، وأبو توبة القاص، وعيسى بن يزيد بن بكر بن داب...

ويمضي في هذه السلسلة ويبلغها ثلاثاً وعشرين راوية، وكثير منهم جاء في سلاسل الأسانيد التي أثبتتها أبو الفرج.

أقول: وأنت لو نظرت إلى هؤلاء الرواة الذين اعتمد عليهم أبو الفرج أو جاء ذكرهم في أسانيدهم وجدتهم ينقلون أخباراً أدبية تتصل بمادة الأغاني في الشعر والنثر وغير ذلك، وربما جاء فيها خبر يتصل بالسنة النبوية الشريفة، وهذا قليل.

وأقوال رجال العلم، وعامتهم من المحدثين الكبار، تخص ما كان من هؤلاء من الحديث، فلم يعرضوا لرواياتهم الأدبية، وعلى هذا فليس لنا

النوبختي، وهو أبو عبد الحسين بن محمد بن القاسم العلوي الحسيني، ويعرفه «ابن طباطبغا» (٠٠٠ - ٤٤٩هـ)، وكان متميزاً من بين أهله الطالبين بعلم النسب، فإنه رد

قالة النوبختي بمقالة شيعي آخر هو أبو الحسن أحمد بن علي البتي الكاتب (٠٠٠ - ٤٥٥هـ)، وكان رجلاً عالماً، وكانت فيه دعاية، وكان أحد قدماء أصحاب الشريف الرضي الشاعر، فلما مات رثاه بأبيات في غاية الحسن، فمات بعده بأشهر قلائل في مطلع سنة ٤٠٦هـ، ورثاه أخوه الشريف المرتضى برائية مختارة من شعره.

أما أهل السنة فإنهم لم يطعنوا في أبي الفرج، فقد روى الدارقطني الإمام المحدث في (غرائب مالك) أحاديث عن أبي الفرج الأصفهاني، ولم يتعرض له بقدر (انظر ترجمته في لسان الميزان). (١٦)

وأعود إلى كتاب «السيف اليماني ...» فأجد مؤلفه يستدل على «شعوية الأصفهاني»^(١٧) بكلام للأصفهاني أثبتته في «الأغاني»، قال:

«إن أصل المثالب زياد لعنه الله، فإنه لما ادعى إلى أبي سفيان، وعلم أن العرب لا تقر له بذلك، مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره فيهم، عمل كتاب المثالب، فألصق بالعرب كلها كل عيب وعار، وحق وباطل، ثم بنى على ذلك

الهيثم بن عدي، وكان دعيًا، فأراد أن يعر أهل البيوتات تشفيًا منهم، وفعل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى، وكان أصله يهوديًا، أسلم جده على يدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فانتفى إلى ولاء بني تيم، فجدد كذب زياد، وزاد فيه، ثم نشأ غيلان الشعوبي لعنه الله، وكان زنديقًا ثنويًا، لا يشك فيه، عُرف في حياته بعض مذهبه، وكان يُورَى عنه في عوراته للإسلام بالشعب والعصية، ثم انكشف أمره بعد وفاته، فأبدع كتابًا عمله لطاهر بن الحسين، وكان شديد التشعب والعصية، خارجًا عن الإسلام بأفاعيله، فبدأ بمثالب بني هاشم، وذكر مناكحهم، وأمهاتهم وصنائعهم، وبدأ منهم بالطيب الطاهر رسول الله ﷺ، فغمصه وذكره. ثم والى بين أهل بيته الأذكياء النجباء عليهم السلام، ثم ببطون قريش على الولاء، ثم بسائر العرب، فألصق بهم كل كذب وزور، ووضع عليهم كل خبر باطل، وأعطاه طاهر على ذلك مئتي ألف درهم فيما بلغني». (١٨)

أقول: نقرأ هذا الذي قدمه مؤلف «السيف اليماني ...» ويأخذنا العجب من أنه جعله مادة استدلال بها على «شعوية أبي الفرج»، ونحن لا نجد فيه شيئاً مما ذهب إليه، بل نرى أبا الفرج قد نال من أبي عبيدة والهيثم بن عدي، وغيلان الذي وصفه بالتشعب ودعا عليه وبسط الكلام على منكراته وكذبه وزوره. وقد بدأ كلامه على زياد الذي ادعى إلى أبي سفيان وهو الذي لا يعرف له أب وقد سمي بأمه «سمية» التي عرف

أمرها وما كان من فسقها.

وقد يسأل القارئ كيف كان من الأستاذ وليد الأعظمي أن يجعل مما بسطه أبو الفرج مادة استدلال بها على شعوبيته؟

قال السيد الأعظمي:

«... وهذا الهيثم بن عدي، وهو كاذب ودعي عند أبي الفرج، فلما ذا روى عنه كثيراً من بلاياه؟

وأضاف:

«وكذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى».

أما طاهر بن الحسين، فقد ملأ أبو الفرج كتابه الأغاني بأخباره والأحاديث عن كرمه ومروءته!!

وإذا كان هؤلاء الشعوبيون أذعياء وموالي ويهوداً، فقد يكون لهم بعض العذر في كراهية العرب والتشفي منهم، فما بال أبي الفرج وهو العربي فيما يزعم أن ينال من أهل البيت النبوي، ومن بني أمية وهم أجداده؟

وإذا كان الشعوبيون قد شتموا العرب في جاهليتهم وفي صدر الإسلام، فإن أبا الفرج قد شتم أحفاد أولئك الأخيار، وخبر أبي الفرج هذا، هو من كيد أهل أصفهان». (١٩)

أقول: نعم، لقد صنف أبو عبيدة في «مثالب العرب» ولكنه أيضاً صنف في «مجاز القرآن» وكتابه معروف مشهور، وقد أثنى عليه أهل العلم ومنهم الجاحظ الذي قال فيه:

«لم يكن في الأرض خارجي ولا

إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة» (٢٠).

وأحاديث طاهر بن الحسين وما كان من كرمه ومروءته كله معروف، ولا صلة لهذا كله بما عرف عنه من رأيه في العرب، وقد تناقلت أخباره الروايات الكثيرة ورددت في جملة من المصادر غير «الأغاني».

ثم أكان على أبي الفرج الأموي الصريح وليس كما قال السيد الأعظمي، أنه زعم ذلك، أن يغضي عما فعله بعض الأمويين بآل البيت النبوي منذ زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وما كان من قتل الحسين وجماعة من أهله في كربلاء، وما أعقب ذلك كله من أعمالهم في العلويين؟

ثم أضاف الأستاذ الأعظمي:

«وقد وجه طعنتين خفيتين، الأولى إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأنه كان قد عين زياداً والياً على خراسان قبل أن يدعيه معاوية أخاً، ومعنى ذلك أن علياً لا يعرف الرجال، ولم يحسن الاختيار لأنه عين زياداً وهو مجهول الأب والياً».

والطعنة الثانية إلى آل أبي بكر الصديق لأن جد معمر بن المثنى الحاقد قد احتفى بهم ولأهـ.

فتأمل هذا الكيد!! (٢١).

أقول إن الذي يقرأ هذه الإضافة الأخيرة من كلام السيد الأعظمي ليُجل علي بن أبي طالب أيما إجلال لتعيينه زياداً والياً على خراسان برغم ما عرف

من أنه لا يعرف له أب، وذلك لأن أمير المؤمنين نظر إليه بعين المسلم الأمين الذي يعرف أقدار الناس، وليس أمر النسب بشئ إن كان لدى فلان أو فلان فضل ومقدرة.

ولم يكن من «طعنة ثانية» وجهها أبو الفرج إلى آل أبي بكر لأنهم ضموا إليهم جد أبي عبيدة فانتسب إليهم، والإسلام جاء بقول: إنما المؤمنون إخوة.

وأعرض لكلام السيد الأعظمي، وما كان من ظلمهم واعتدائهم على الخلفاء، وما كان من إساءتهم للناس في المعاملة، وكيف كانوا يسلكون في خلع الخلفاء العباسيين، وينالون من الخلافة. وعرض لوزرائهم كالوزير المهلب، وابن العميد، والصاحب، والبريدي. وقد عرض فيما عرض للشريف الرضي فقال:

«وحتى الشريف الرضي كان يتملق آل بويه، ويمدحهم لأنهم (تفضلوا) عليه وعينوه (نقيب الأشراف)، وجمع لهم كتاب «نهج البلاغة» من أقوال الإمام علي رضي الله عنه» (٢٢).

أقول: نعم كان هذا، وقد كان للشريف الرضي شعر في البويهيين مدحاً وثناءً، وهو شئ استنكره صاحب «السيف اليماني»، فما باله أي السيد الأعظمي لم يحشر الشريف الرضي مع الذين ألقى عليهم رداء الشعوبية؟

وأعود إلى أبي الفرج الذي كان له مدح في الوزير المهلب وسؤال لما كان من سوء حاله وفقره وأنه لا يملك ما يكفيه من مؤونة عياله، ولم يكن لأبي الفرج

شعر في ملوك بني بويه كالذي كان من الشريف الرضي؟

وقد اقتضى الدرس السيد الأعظمي أن يعرض لرموز العهد البويهي ليدل على شعوبيتهم فجاء خبر

مهيار الديلمي وأبياته البائية في ذم العرب، وخبر تعيين عز الدولة البويهي وتعيينه (الشاعر الماجن الفاحش القبيح الحسين بن الحجاج) محتسباً في حسبة بغداد.

وقد ختم الفصل الثاني بكلام المؤلف على كتاب الأغاني، ولمن صنعه أبو الفرج، ثم جاء الفصل الثالث وهو في «الأصفهاني وآل البيت» (٢٣).

قال المؤلف: إن كتابه الأغاني «طافح» بالأخبار التي تسيء إلى آل البيت النبوي الشريف، وتجرح سيرتهم وتقذح في سلوكهم، وتهون أمرهم، وتوهن شأنهم وتجعل منهم عشاقاً للهو والطرب والعبث.

فالإمامان الحسن والحسين مغفلان متقادان لأبن أبي عتيق، والإمام الحسين يقضي وقته لاهياً مع أشعب في المدينة، ويزيد بن معاوية يشرب الخمر بمجلسه، وعنده الإمام الحسين فلا ينكر عليه، ومعبد يغني لزوجة الإمام الحسن، والسيدة سكينه سفيهة ماجنة رعاء، تحتكم في جمالها إلى عمر بن أبي ربيعة، وتجمع النساء لملاقاة عمر ابن أبي ربيعة والحديث معه وهي تحكم بين

لم يكن شيء من هذا، لقد قرأ الأغاني وأفاد منه خلق كثير من أهل العلم وغيرهم طوال العصور، ولم يكن منهم ما كان من الأستاذ الأعظمي.

نعم: لقد رأينا كما رأى المؤلف أن في أسانيد أخباره جماعة لم يوثقهم أهل الحديث من الأئمة الكبار كالبخاري ويحيى بن معين وغيرهما، وقالوا فيهم: غير ثقات، متروكون، لا يؤخذ بما رويوا.

أقول: هذا في «الحديث» كما بينا، وليس في أخبار الأدب وما يتصل به من قريب أو بعيد. وإني لأقول أيضاً إن هذه الأخبار التي أوردها أبو الفرج في آل البيت قد خالطها شيء من التساهل في لين العبارة يناسب مادة اللهو، وقد يكون في ذلك ما فيه من الباطل، ولكني أذهب إلى أن آل البيت من الناس فلا ينبغي أن نتكثر فتصورهم ملائكة كراماً بررة، فقد يكون منهم ما يكون.

وأعود إلى «السيف اليماني...» فأجد المؤلف يتوسّع في «الشعبية» فيلقبها بردة على طه حسين لأنه أفاد من «الأغاني» واقتصر عليه في «حديث الأربعاء»، وقد أضاف إلى الأغاني كتابات المستشرقين.

أقول: كأن الأستاذ وليد ذهب إلى «الشعبوية» الحديثة التي عرفت في كتابات أهل السياسة من أصحاب القومية والعروبية، وما أظنه يجهل أن الشعبوية في التاريخ الإسلامي لصيقة بغير العرب من الأعاجم الذين حفزهم تعصب لأمجادهم التي قضى عليها

هذا، ولكنه ذهب إلى أن تشيعهم كذب وبهتان، وليس لنا أن نقول ذلك ونراهم قد ذهبوا في تشيعهم حداً بعيداً، وقد يكون هذا مع اطمئناننا إلى أنهم طلاب حكم جاءوا للشار من العرب فأصلوا الدولة العباسية وسيطروا على الخلفاء العباسيين يعزلون من يشاءون ويأتون بآخر كما يريدون.

ولا أدري كيف ذهب إلى أن أبا الفرج قد ذكر في أخباره عبارة (عليه السلام) عند ذكر آل البيت؟ وأنا أذهب إلى أنه لم يبلغ العلم في هذا الزعم. وما معنى قوله: «يهوّش علينا في تراثنا»؟

إن «التراث» ما يرثه المرء وما ترثه الأمة، وهو صنع بشر، والبشر يخطئ ويصيب ولنا أن نستظهر بالأثر: «كل ابن آدم خطاء»، و«خطاء» بناء مبالغة.

إن التراث فيه خير كثير وفيه شر، وليس له القدسية التي نرفعها عليه في عصرنا هذا، لأنه صنع بشر، وإذا كان التراث مقصوراً على ما هو مقدس أو قريب من هذا فأين نضع أخبار الإلحاد والملحدين، وأين يكون أدب المجنون والخمر واللهو؟

وإني لأعجب أن نفطن إلى شيء نزع أنه كذب وكان قد غبر عليه قرون طويلة، فلم يأتنا عن أحد من الذائدين عن السنة الشريفة وتاريخ آل البيت من أهل السنة والشيعة من رفع عقيرته ونادى بقتل أبي الفرج لأنه أساء إلى حوزة المسلمين.

المغنين، ويموت المغني حين في بيتها حين سقط السقف على الحاضرين.

إلى غير ذلك من الأخبار التافهة الواهنة الواهية التي توافق هوى آل بويه الذين يزعمون الولاء لآل البيت دجلاً، وتوافق هوى العباسيين أيضاً، لئلا يطالب العلويون بالخلافة.

والأصفهاني لم ينس أن يقول عبارة (عليه السلام) عند ذكر آل البيت، ليخدع بها البسطاء.

والأصفهاني يروي ذلك عن كذبة مجروحين، وعن ثقات عدول، حتى يهوّش علينا في تراثنا ويشككنا في أعلام أمتنا، أو في الرواة الثقات...» (٢٤).

ثم يعود المؤلف فيفصل في ذكر الأخبار التي تتصل بآل البيت كما بسط الأمر في إيجازه.

أقول: فيما بسطه المؤلف في إيجازه عن إساءة أبي الفرج إلى آل البيت لغة جديدة تعمّر بها صحف أيامنا فيما تعرض للنيل من الأحزاب والجماعات التي لا ترضاهم السلطات.

وهو ممعن في تصوره لسوء دخيلة أبي الفرج، وكأنه يخرج عن الإسلام، وقد ذكر هذا فنسبه إلى مجوسية ثقفها من موطنه، وأما قصة انتماؤه إلى الأموية فكذب وزعم وادعاء.

وهو يشعر مطمئناً أن البويهيين طلاب حكم ودينا، وهو على حق في

الفرج صحيح، ولكني أقف منه موقف الناقد والدارس لا موقف الرافض الذي يجيز قتل صاحبه.

(٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٣٩٩/١١ - ٤٠٠.

(٩) الخوانساري، روضات الجنات ص ٤٥٧.

(١٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٣٩٩/١١ - ٤٠٠.

(١١) سيد أحمد صقر، مقاتل الطالبين (المقدمة ص ٨)، وانظر: الفهرست لابن النديم ص ١٦٧.

(١٢) أبو الفرج الأصفهاني، الرواية ص ١٣٢.

(١٣) المصدر السابق ص ٢٠٢.

(١٤) المصدر السابق ص ٢٣٥.

(١٥) انظر: السيف اليماني ص ٢٧ - ٤٣.

(١٦) برنامج طبقات فحول الشعراء ص ٨٨ - ٩٠.

(١٧) الأغاني ٧٧/٢٠.

(١٨) السيف اليماني ص ٦٠. أقول: وكان الأعظمي قد جهل أن أصفهان في عهد أبي الفرج مازال فيها الكثير من ليسوا متشييعين، يعرف هذه الحقيقة من له علم بالرجال ومن نُسب إلى هذه المدينة من أهل العلم برغم ما كان من الحكم البويهي.

(١٩) نزعة الألباء ص ٨٥.

(٢٠) السيف اليماني ص ٦٠.

(٢١) المصدر السابق ص ٦٥.

(٢٢) المصدر السابق ص ٧٣ - ١٢٣.

(٢٣) المصدر السابق ص ٧٣.

(٢٤) المصدر السابق ص ١٨٧ - ٢٦٤.

(٢٥) المصدر السابق، ص ٢٤٢ - ٢٤٥.

ثم إن هذا الكتاب الكبير قد حفل بنقول من كتب عرفناها حين نشرت كان منها ما ذكره ابن سلام في «الطبقات»، وأبو الفرج يصرح فيذكر «الطبقات» أو يقول: قال ابن سلام ...

ومن هنا أليس لي أن أقول إن «الانحياز» يفسد العلم؟

الهوامش:

(١) وفيات الأعيان ط. دار صادر، ت. إحسان عباس ٣٠٧/٣.

(٢) كذا في تاريخ بغداد، وفيه أصل الخبر ٣٩٩/١١ - ٤٠٠، وفي «وفيات الأعيان»: المتشييعين.

(٣) أراد بـ «الخرافات» معنى «الأساطير» في كتابات المعاصرين.

(٤) معجم الأدباء ١٣/١٠٥.

(٥) أقول: جاء في معجم الأدباء ١٣/١٠٠: «قال هلال بن الحسن الصابي: كان أبو الفرج الأصفهاني وسخاً قذراً، ولم يغسل له ثوباً منذ فصله إلى أن قطعه، وكان الناس على ذلك يحذرون لسانه، ويتقون هجاءه، ويصبرون على مجالسته ومعاشرته ومؤاكلته، ومشاربته وعلى كل صعب من أمره، لأنه كان وسخاً في نفسه، ثم في ثوبه وفعله ...». وهذا قول رده كثير وإني لأرى أنهم بالغوا في هذا، ذلك أن أبا الفرج كان من خاصة الوزير المهلب لا يخلو مجلسه منه، وكان يؤثره على كثير ممن يحضرون. ومن هؤلاء الصاحب ابن عباد وأبو إسحاق الصابي، والقاضي التنوخي، وابن سكرة الهاشمي وأبو القاسم الجهنني وأبو النجيب الجزري وأبناء المنجم، وكان لأبي الفرج صوت في المجلس، يقص ويروي ويتقد ويثر من أدبه وعلمه. انظر أيضاً: يتيمة الدهر ٢/٢٠٢ - ٢٠٥.

(٦) انظر «المقدمة» ص ٥٥٤.

(٧) إن ما أخذه الأستاذ الأعظمي على أبي

العرب المسلمون على زعمهم فراحوا يبحثون عن مثالب العرب التي صنفوا فيها مصنوعات معروفة ذهبوا فيها إلى الظلم فابتعدوا عن العلم.

وأعود إلى «السيف اليماني ...» في الفصل الثالث^(٢٥) فأجد الأستاذ وليد الأعظمي قد بناء على الأخبار التي رأى فيها نيلاً من الأمويين الخلفاء وغيرهم، وقد جعل لكل خبر عنواناً فيه الوقاحة والبذاءة من حديث الزنا واللهو والخروج عن كل ما هو حشمة ووقار، وقد نسبها إلى الأمويين، وهي من صنع أبي الفرج يستعين فيها بالكذابين من رواته كما زعم.

وينتهي الكتاب بالفصل الرابع^(٢٦) وفيه ما فيه من أخبار متفرقة تتصل بالعرب والمسلمين في عصور عدة جاء فيها كل ما يسوء فنسبه إلى العرب ولم يستبعد منهم أبا الأسود الدؤلي والنعمان ابن بشير وغيرهما.

وينتهي الكتاب فأختم قولتي: إن الأستاذ وليد لو لم ينطلق من عروبية في بدايته ذهب به إلى إسلام لم يتسع في عمله ونظره فوجد نفسه أسير هوى يدفعه إلى الذهاب في البعيد فيكون منه ما كان في أبي الفرج. ولو أنك نظرت في عامة ما جاء به من أخبار زعم فيها أن أبا الفرج قد كاد للعرب وللمسلمين فكذب وادعى وظلم لحاجة في نفسه هي شعوبية بل مجوسية، ونظرت إليها كم تكون في هذا الكتاب الكبير الذي نيفت أجزاءه على العشرين، لأدرت أنها اليسير اليسير.

القرآن العظيم

للأستاذ / مصطفى أحمد الزرقاء *

كتاب من العلم المحيط مداده
 فآياته مـرأة صدق جليته
 عظام وأمثال، وهدي وحكمة
 ألا إنه القرآن، فاعلم، ملاذنا
 به قارعات كالصواعق قوة
 بلاغ كساه الله أسمى بلاغة
 علاج لبؤس البانسين محقق
 كفاء لحاجات الحياة جميعها
 شفاء لأولاد النفوس ورحمة
 تراه جديداً كلما جئت سامعاً
 به صفحات الكون تتلى وتسمع
 يرى ما مضى فيها، وما يتوقع
 وشرع جليل نير الحكم مبدع
 فما دونه خير، ولا عنه منزع
 ونور رفيق بالعيون مشعشع
 ترد بليغ القوم عيا، فيخضع
 وروح لروح اليانسين مشجع
 فلفرد تقويم، وللقوم مهيع
 وتكراره أحلى لسمع وأمتع
 كأن المعاني من مثانيه تنبع

* * * * *

* في سنة ١٩٦٣م حين كنت معارفاً من جامعة دمشق إلى كلية الحقوق بجامعة الخرطوم في السودان، أراد أحد المسئولين ممن تعرفت عليهم في وزارة التربية والتعليم هناك، أن يلقي سلسلة محاضرات أسبوعية في إذاعة الخرطوم عن القرآن الكريم، فرغب إلي أن أضع أبياتاً من الشعر يستهل بها المحاضرات تكون بمثابة شعار لهذه السلسلة من المحاضرات، فصغت له هذه الأبيات عن القرآن العظيم لهذه الغاية.



د. عبد الحميد إبراهيم

الناقد الكبير الدكتور عبد الحميد إبراهيم

لـ «مجلة الأدب الإسلامي» :

- الوسطية الإسلامية منطلق للحوار مع الحضارات الأخرى - عالمية أدبنا نصلها عندها يحمل إبداعنا مضمون حضارتنا

أجرى الحوار : محمد زيدان

الدكتور عبد الحميد إبراهيم محمد، صوت نقدي متميز على الساحة الأكاديمية العربية، شغل منذ فترة بعيدة بالبحث عن نظرية عربية إسلامية في الرؤية الإبداعية تكون بديلاً عن النظريات الوافدة، التي أنتجت وثمرت في ديار غير الديار وفي أحضان فلسفات وقيم غير تلك التي نشأ المجتمع العربي عليها.

والدكتور عبد الحميد إبراهيم له أكثر من ثلاثين كتاباً حول الأدب ونقده، والحضارة العربية والإسلامية، من أهمها : الوسطية العربية (خمس أجزاء) وفيها قدم رؤيته في هذا المجال، كما أنه حاضر ودرس في العديد من الجامعات العربية والأوربية، وفي هذا الحوار يكشف لنا عن بعض قضايا الإبداع والنقد.

البيئة، ونهضت الواقع، ونهضت لظهور مجموعة أو ظهور قائد يمكن أن يبلور هذه النظرية في كيان حضاري متماسك، فنحن إذن وظيفتنا إنما تتلخص في مجال الكلمة والتجريد، وأنا أشكر رابطة الأدب الإسلامي العالمية على اهتمامها بهذا الموضوع. وفي هذا الصدد أذكر أنني منذ أكثر من عشر سنوات قد طرحت فكرة النظرية العربية من خلال كتابي الوسطية العربية الذي يتكون من خمسة أجزاء، وقد فكرت في هذا الكتاب عقب تخرجي من الجامعة مباشرة، وبعد أن درست على يد د. غنيمي هلال المذاهب الأدبية، التي أتت من الخارج (الكلاسيكية، والرومانتيكية، والواقعية... الخ)، ووجدت أن جهد الرجل يتمثل فقط في تقديم أو ترجمة الفلاسفة والمنظرين في الغرب والتطبيقات الغربية، فأخذت في مثل هذه السن المبكرة أتساءل :

كيف لا نستطيع مع هذا التاريخ الطويل أن نكون مذهباً أدبياً خاصاً بنا؟! . . . ففكرت أن أكتب كتاباً حول عبقرية الصحراء، باعتبار أن الصحراء هي رمز للمنطقة العربية،

س : دعت رابطة الأدب الإسلامي العالمية إلى إقامة نظرية للأدب الإسلامي، منطلقة من التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان؛ لتقف في مصاف النظريات الأدبية العالمية . . ما رأيكم في هذه الدعوة، وما السبيل الأمثل لصياغة هذه النظرية؟

ج : نعم . . هي دعوة مباركة، ونحن نؤيدها، وإن كانت تأخرت في العالم العربي كثيراً؛ لأننا تركنا أنفسنا لنقع في مخالب الغرب ونفكر بتفكيره، ونستورد نظرياته، ونستورد أدبه، فالدعوة في حد ذاتها أتت في حينها ومطلوبة، خاصة وأننا أبناء حضارة لها تاريخها، ولها فكرها، وأثرها على المستوى الإنساني سواء في الأدب أو السلوك أو الفن أو الرؤى الحضارية لا ينكر؛ فهي دعوة تأتي في حينها إذن.

أما السبيل لإقامة هذه الدعوة، فنحن أصحاب الكلمة لا نملك إلا التجريد النظري، والكلمة كما يقولون سلاح خطير؛ فهي تمهد السبيل لإقامة هذه النظرية، فالنظريات وحدها لا تصنع بالكلمة، ولكنها جهود مطلوبة حتى نهض

زعم البعض أن مناهج النقد الأدبي جميعها تعتمد على أيديولوجية .. وهذا غير حقيقي

رواية عربية جديدة» فيه الشكل الأصيل في الرواية العربية الحديثة الذي هو استجابة لما تمر به الأمة العربية في حالتها الراهنة من البحث عن الهوية، وتابعت هذا الشكل الذي يتأثر برؤية عربية إسلامية، وسميته «الشكل الأصيل أو الشكل التاريخي»، وتابعت هذه التجارب في تونس عند محمود المسعدي، وفي فلسطين عند إميل حبيبي، وفي مصر عند الغيطاني ومحمد جبريل.

وجعلت عنوان الكتاب الثالث «نحو وسطية عربية» لأؤكد أن هذه النظرية لاتزال في مهدها، وأنه لا يمكن فرضها عن طريق التجريب النظري، لأن التنظير يحاول أن يستقري الواقع، وأن ينقل ملامح الواقع، وواقعنا الحاضر في الأمة العربية الإسلامية لا يدل على هوية مستقلة، فبعضنا قد انطرح نحو القديم يجتره كما يحلو له، وبعضنا قد ارتقى في أحضان الغرب يردد مقولاته ببلاهة، وكل هذا لا يعكس موقفًا حضاريًا، وإنما الموقف الحضاري أن نأخذ من الماضي وأن نأخذ من الغرب ثم تكون لنا إضافتنا الجديدة، فلو كنا صورة من الماضي لما اختلفنا عن الآباء، ولما استجبنا للإنجازات المعاصرة، ولو كنا صورة للغرب لكننا كالقردة التي تقلد سادتها وأصحابها.

أما الجزء الخامس من هذا الكتاب فهو رواية ألفتها على شكل رحلة إلى السماء، والتقيت فيها بالكثير من المنظرين وتحاورنا حول أشياء كثيرة، على شكل فكرة رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، أو شكل فكرة رسالة الخلود لمحمد إقبال.

فالواقع أن هذا الكتاب يمكن أن يكون مشروعًا للنظرية العربية الأصيلة التي تبحث عنها رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ويمكن أن تكون فكرة الوسطية منطلقًا للحوار مع الحضارات القديمة، ومع الحضارات الحديثة، منطلقًا للحوار مع أفلاطون، ومع أرسطو، منطلقًا للحوار مع الوجودية،

فأخذت أقرأ في الشعر القديم، وفي التاريخ، وفي الفلسفة، وفي الترجمة، وفي مختلف أنواع الثقافات العربية والإسلامية إلى أن طرأ على ذهني أن الإنسان العربي حتى قبل الإسلام ... يرى الحياة بوجهين - واقعي، ومثالي - مادي، ومتدين - يرتبط بالأرض، ويرتبط بالسماء. ففكرتُ وأنا أقرأ سورة البقرة «وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس»، أن أغير عنوان الكتاب من «عبقريّة الصحراء» إلى «الوسطية العربية»، في الجزء الأول من هذا الكتاب حددت معالم الوسطية العربية، وكنت في تحديدي أريد أن أضع هذا المصطلح داخل التيارات الفكرية العالمية، لكي أثبت أن لدينا فكرًا صالحًا وحيثًا، نستطيع أن نحاور به الحضارات المختلفة، فقارنته في الكتاب الأول بوسطية أرسطو، وبوسطية أفلاطون، وبالمثنوية الفارسية، وبالمثنوية الصينية، وأنا من خلال ذلك أحاول ... أن أجده معالم تحدده، وتابعت هذا الفكر الوسطي في جذوره الأولى عند الخنفاء قبل الإسلام، ثم الإسلام حينما حوّل هذه الوسطية إلى تاريخ، وإلى حضارة، وإلى نظرية وتطبيق، ثم ... تابعت هذه النظرية عند أهل السنة، ممن يسمونهم أهل الوسط، إلى أن وصلت بها إلى مشارف العصر الحديث؛ فوجدت أن الاستعمار والتخلف الذي أحاط بالمنطقة العربية والإسلامية جعل هذه الوسطية تتوارى في بطون الكتب، وفي أروقة المساجد، وفي أرفف المكتبات، أما الكتاب الثاني فقد تابعت فيه تطبيق معالم هذه الوسطية على الأخلاق، وعلى الفن، وعلى الجمال، وعلى الأدب، وعلى اللغة، وعلى المنهج.

ومن خلال هذين الجزأين أو الكتاين أمكن تحديد الوسطية بمفهومها القديم، وكما قلت: حينما أتيتُ إلى مشارف العصر الحديث وجدتُ أن الوسطية قد توقفت، فكان الكتاب الثالث بعنوان «نحو وسطية معاصرة» أي دعوة إلى وسطية معاصرة، أو ما تسميه في سؤالك إلى نظرية جديدة. وحاولت أن أبلور هذه النظرية من خلال النموذج الإسلامي ومن خلال النموذج الغربي، وحاولتُ أن أصل إلى توليفة أو نظرية جديدة، بين هذين النموذجين وأطرحها في الزمان وفي المكان، لكي أبلور معالم مذهب وسطي جديد.

أما الجزءان الآخران وهما تحت الطبع، فهما «نحو



محمد جبريل



جمال الغيطاني

غير واقعي، فالاتجاه الحديث العالمي في النقد أيضاً يحاول أن يجرّد الأدب من الأيديولوجية، ويرى في الأيديولوجية عبئاً على الأدب، ومن هنا ظهر عن النقد المعاصر ما يسمونه بموت المؤلف في النقد، أي أنهم يدعون إلى التخلص من ظروف المؤلف النفسية، والاجتماعية، لكي يركز على النقد الأدبي، كشكل، أو كقماشة، أو كنسيج، بغض النظر عما يحتويه من مضمون أو غيره، فالقول بأن معظم النقد الأدبي في العصر الحديث يعتمد على أيديولوجية قول لا يتفق مع الواقع، لكن من ناحية أخرى، ما هو موقفنا من الأدب الملتزم . . . ، الأدب الملتزم وارد منذ أن عرف الإنسان الأدب، فالإسلام احتضن الأدب الملتزم الذي يدعو إلى مذهب وعقائده، والبرجوازية الأوروبية الغربية احتضنت الأدب الملتزم الذي يدعو إلى فكرها، والماركسية لها أدبها الخاص، والوجودية لها أدبها الخاص، الذي يعبر عن فكرها، واليهودية أيضاً، فالجماعات اليهودية المنتشرة في داخل أمريكا لها أدبها الخاص، والمسيحية في اليونان كما نرى عند «كازا نتراكس» لها أدبها الخاص الذي يعبر عنها، فالدعوة إلى الأدب الملتزم موجودة، بل يمكن أن يعبر عن موقف إنساني ناضج ومتأكد من ذاته.

ومن ثم انطلاقاً من هذه المقدمة التي ترى أن الأدب الملتزم موجود في الحضارات الأخرى، وعلى مدى التاريخ، نجد أن الأدب الإسلامي باعتباره أدباً ملتزماً لا يشذ عن هذا المجال، أما ضرورة أن يكون هناك منهج للنقد الأدبي الإسلامي - والسؤال غير دقيق - فإنه حقاً من الضروري أن يكون هناك أدب إسلامي، لأن الحضارة الإسلامية حضارة عريقة، لها رؤيتها، ولها نظرتها، وقد انعكست هذه الرؤية على مختلف المظاهر، ومعجزتها الأولى في الكلمة، وفي القرآن الكريم، ولا بد أن يكون لها أدب إسلامي، وكذلك نقد إسلامي، يكشف عن رؤاها المضمونية، وكيف أن هذه الرؤى تسربت بنوع من الصياغة الأدبية.

إذن المطروح أن يكون لنا أدب إسلامي ونقد إسلامي، أما المنهج فهو أداة علمية يمكن أن أستعيرها من المنطق الأرسطي مثلاً أو يمكن أن أستعيرها من البنائية في العصر الحديث التي تلجأ إلى الجداول والإحصائيات، وتلجأ أيضاً إلى المعامل وإلى المختبرات، للبحث عن الكلمة الأساسية التي تتردد في قاموس

ومع الماركسية في العصر الحديث، ولا نخجل، ولا نتهيب هذا الحوار، لأن لدينا من الإمكانيات ومن البذور الحية داخل حضارتنا ما يسمح لنا بهذا الحوار، وهذا عين ما قاله ابن قيم الجوزية في أحد كتبه وهو يشرح الوسطية قال: . . . بأن تأخذ الحق عن الطوائف المختلفة ولو كانت كافرة ولا تترك ما عندها من حق بسبب ما لديها من باطل، فالحكمة ضالة المؤمن - تأخذ الحق من هنا ومن هناك ثم تضيفه إلى نفسك، لكي يكون شاهداً على الناس، إشارة إلى الآية الكريمة ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾، فالوسطية حينما تأخذ الحق من هذه الفرقة، والحق من هذه الفرقة، والحق من الفرقة الثالثة، والفرقة الرابعة، فإنها في النهاية تتحول إلى شاهد، أو بتعبير عصري إلى نموذج يجد عندها أصحاب الفرق المختلفة الحق الذي يبحثون عنه، ويحولونه إلى شاهد عدل على الحقيقة التي يفتقدونها، كل منهم عند صاحبه، فأنا أقدر رابطة الأدب الإسلامي العالمية في هذا الاتجاه، وأعرض عليها هذا المشروع، وليس هناك حساسية في أن يكون المشروع طرح عليها باسم زيد أو عمرو من الناس، فنحن نبحث عن الحقيقة معاً، وأنا أقدم لها الوسطية كمشروع من عربي ومن مسلم، وهو في الوقت نفسه أحد أعضاء هذه الرابطة لكي تتبناه وتنميه.

اتجاهات حديثة :

تعتمد كثير من مناهج النقد الأدبي بما فيها المناهج الشكلانية على أرضية أيديولوجية، فهل ترون ضرورة أن يكون هناك منهج للنقد الأدبي الإسلامي؟

ج : أنا لي اعتراض على هذا السؤال، بالرغم من أن جميع مناهج النقد أو معظمها تعتمد على أيديولوجية، فهذا زعم

الشاعر، فالمنهج باعتباره منهجاً أداة علمية ليس حتماً أن تكون إسلامية، أو أن تكون غربية، فكما أنني أنقل السيارة، والإلكترونيات، والكمبيوتر، فليس عيباً أن أفيد من المنهج المطروح، وهذا الوهم، أو هذا الخلط جاء من أن بعض المناهج في العالم العربي تتحول إلى مذاهب، خذ مثلاً البنائية - في العالم العربي - تعبد الناس به وحولوه إلى طقوس وأصبح مليئاً بالغموض، وأصبح يحارب المناهج الأخرى، ويحارب التيارات الأخرى، فتحول من منهج إلى مذهب، وهذا هو الوهم الذي وقعنا فيه.

والخلاصة أن المنهج شيء علمي نفيد منه، وهو شيء يختلف عن النقد الأدبي، ويختلف أيضاً عن النص الأدبي.

رؤية إسلامية :

ما رأيكم في الدعوة إلى منهج إسلامي في الفنون الحديثة وخاصة في مجال القصة والرواية والمسرحية؟

ج : السؤال يجب أن يكون : ما رأيكم في رؤية إسلامية في الفنون الحديثة بدلاً من منهج إسلامي / لأنني كما قلت لك إن المنهج أداة يمكن أن نستعيرها من الآخرين، أما الرؤية الإسلامية فهي مطلوبة وضرورية، ويجب أن نجد في الكشف عنها إذا كنا صادقين في التعبير عن شخصية للأمة، لأنه بدون رؤية عربية إسلامية لن تكون لنا شخصية، وغير معقول أن حضارة عريضة ومترامية جغرافياً وتاريخياً لا يمكن أن تكون لها رؤية، وهي في القديم كانت لها رؤية، وقد كشفت عن هذه الرؤية في كتابي «الوسطية العربية» في الأدب وفي السلوك وفي الشعور وفي الأخلاق، ومن ثم يجب أن نلون هذه الرؤية في الوقت المعاصر برؤية إسلامية، فالذي حدث أننا في العصر الحديث حدث لنا استلاب في الشخصية العربية والإسلامية، فحينما ضغط الاستعمار على المنطقة وجعلها تترك جذورها وتتجه نحوه، أصبحنا نرى أن تاريخ الإنسان العربي لا يتعدى عشرات السنين حينما اتصل بأوروبا، فالقصة نبدؤها بعد اتصالنا بأوروبا، والمسرح بعد اتصالنا بأوروبا، والشعر يتغير إلى الشعر الحر بعد اتصالنا بأوروبا... لقد حصلت لنا نقلة مفاجئة وكأن تاريخنا الطويل أصبح في الظل، وكأننا مثل الشعوب المتخلفة التي ليست

لها جذور، فالرؤية لابد من أن نحتفي بها، ولا بد أن تكون لنا رؤية إسلامية للأدب، كما لنا رؤية إسلامية تدرس في الجامعات وفي المراكز وفي المؤتمرات وفي المعارض فيما يسمونه الآن باسم «Islamic Art»، أو ما يسمونه بالأرابيسك في مجال النحت والرسم، وفي مجال العمارة الإسلامية التي عرفها العالم عن طريق أسبانيا، وحتى الآن في أوروبا طراز من العمارات يعرفونها بأنها طراز إسلامي، في مجال الأرابيسك، في مجال الخط والفن التجريدي، وذلك موجود على مستوى العالم، فلا بد أن يكون لنا أدب إسلامي ورؤية إسلامية في القصة وفي المسرح وفي سائر الفنون، وصدقني لن نصل إلى العالمية إلا إذا كانت لنا رؤية إسلامية في أدبنا، لأن العالمية تبدأ من المحلية، ومن التعبير عن الخصائص الحضارية المميزة، فإذا استطعنا أن نعبر عن هذه الخصائص الحضارية المميزة، فإنه يمكن أن يكون لنا مكان في الحضارات المختلفة، لأنهم يجدون شيئاً مميزاً ينقصهم، أما إذا كنا صورة طبق الأصل من الحضارة الغربية، فإنهم سيقولون : هذه بضاعتنا ردت إلينا، وستكون هذه البضاعة مشوهة، وهذا هو السبب في أننا لم نصل إلى العالمية حتى الآن، بغض النظر عن الروايات الكثيرة التي ترجمت في المراكز الأوروبية والأمريكية، فإن هذه الروايات أو القصص أو الشعر يعتبرونها نوعاً من أدب العالم الثالث، ويدرسونه في أقسام آسيا وأفريقيا، مثل الأقسام الشرقية عندنا، دون أن يؤثر هذا الأدب على وجدان الإنسان الأوروبي المعاصر، وفرق كبير بين ترجمة تدرس داخل الجامعات الأوروبية ومحصورة بين الأكاديميين والمتخصصين، وبين ترجمة تدخل في ذوق الإنسان المعاصر، وتشيع في الكتب المتداولة، والتي يطبع منها الملايين. وبغض النظر عن جائزة نوبل العالمية فإن هذه لا تدل على أننا وصلنا إلى مرحلة العالمية، وإنما هي جائزة وراءها ظروف أخرى، فمتى نكون عالميين؟ يوم أن يكون المضمون، ويوم أن يكون الشكل يحمل رؤية الحضارة العربية الإسلامية، في هذه الحالة يمكن أن نتقل من المحلية إلى العالمية.

* * *

كثرت ربّ ذنوبي في الحياة
ومضى عمري بييد الظلمات
فارسل النور لقلبي في سبات
عشت أرجو منك ربّ الرحمات
يا رحيمًا فاض عفواً وهبات
فاغفر اللهم من قبل الممات
يا إلهي ...

ضاع عمري بين أمواج الذنوب
وبحار مـلأت كل الدروب
قلق الأفكار من فيض الذنوب
فارحم المسكين خير المستجيب
ماله غيرك علام الغيوب
رحمة الإيمان للقلب الكئيب
يا إلهي ...

تغسل الآثام من قلب كسير
خاشعاً يسجد لله الغفور
فاغفر الذنب عن العبد الصغير
واحمني بالصفح والعفو القدير
أطلب التوبة بالدمع الغزير
أنت من يشمل بالعفو الكبير
يا إلهي ...



شعر / يوسف عز الدين

♦♦♦ يا إلهي ♦♦♦

ركعات لك في الليل البهيم
تغسل الآثام من قلب كليم
وتناجي خالق الكون العظيم
تطلب العفو من الرب الرحيم
يا إله الكون والرب الكريم
توبة تدخلني دار النعيم
يا إلهي ...

ذُرِّيَّةُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ * «ولادة أحمد بن حنبل»

بقلم : د. علي شلق

شخصيات المسرحية :

١ - حنبل	جد أحمد لأبيه وسيد في قومه ، في الستين من عمره .
٢ - محمد	والد أحمد بن حنبل ، شاب في الثلاثين من عمره .
٣ - عبد الملك بن سودة	شيخ وقور ، ذو شخصية قوية ، في السبعين من عمره .
٤ - زوجة محمد	امراة في الخامسة والعشرين ، أم أحمد بن حنبل .
٥ - ثمامة	عالم بني شيان ، في الستين من عمره .

المشهد الأول

دوحة ، ولكن أظن يا ولدي أن الجهاد في سبيل

الله سبحانه ، موقوف على الحرب ؟

محمد : فيها مشقة ، والثواب على قدر المشقة .

حنبل : بناء البيت ، وإنجاب النسل الصالح ، وصلة

الرحم ، وبرّ الوالدين جهاد يا بني و . . .

(طرق على الباب)

حنبل : ادخل .

خادم : (يدخل) سيدي ، مولاي عبد الملك بن سودة

قادم .

حنبل : استقبل جدك استقبالا يليق بأخلاقك وشمائل

حنبل : أراك على شئ من الذهول يا ولدي ، ما هكذا

يكون الشاب الذي بنى بعروسه منذ شهر .

محمد : لا شئ مما ذكرت يا أبي ، سوى أنني أفكر في أمر .

حنبل : ما هو؟ سلمت لأبيك .

محمد : بنو شيان عدد الحصى ، لهم في الجاهلية منعة ،

ولهم في الإسلام بلاء مجيد ، «فالمثنى بن حارثة

الشيباني» قائد لهم في الجهاد ، ورائدهم إلى الجنة ،

وأنا . . .

حنبل : أنت!! ماذا؟

محمد : إن الزواج يحول بيني وبين الجهاد يا أبت ، لقد

نذرت نفسي للشهادة .

حنبل : حسن ، حسن ، بارك الله فيك ، أنت فرع من

* تناول هذه المسرحية القصيرة عائلة حنبل ، ومكانتهم بين قومهم ، كما نتحدث عن القبيلة التي ينتمي إليها أحمد بن حنبل ، وهي قبيلة بني شيان ، ثم تصف

أحوال والد ابن حنبل ، وتعلقه بالجهاد في سبيل الله ، حتى بعد أن عرف بأن امرأته حامل ، ويجري حوار بينه وبين أبيه بشأن الجهاد ، أو الإقامة بين أهله

وذويه ، حتى تضع امرأته حملها ، فيبقى ، وتنتقل المشاهد في الحلقة إلى سيرة مولد أحمد بن حنبل ، والاحتفال بمقدمه ، وفرح القوم بمجيئه ، مع وصف

للعادات المتبعة آنذاك حين تضع المرأة مولودها الأول . ثم تصف المسرحية سفر محمد والد أحمد للجهاد في سبيل الله ، بعد أن اطمأن إلى صحة امرأته

وولده الرضيع ، كما تناول ذكر الأحوال الاجتماعية والسياسية والفتوحات الإسلامية بشئ من التبسيط ، لإعطاء صورة صحيحة عن العصر الذي نشأ

فيه أحمد بن حنبل .

شريف من شيان يا محمد .

محمد : جدي يحمل في ثوبه أرج الحمائل ، وفي طلعت بهرة الصباح ، أهلاً سيدي أهلاً .

عبدالمالك : (من بعيد ثم مقترباً) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حنبل : وعليكم من الله السلام ، والرحمة والبركات ، تفضل ، على الرحب والسعة ، أهلاً وسهلاً .

عبدالمالك : ما لمحمد ذاهلاً؟ وقد عهدته عريساً ، يتفجر نضرة وتوثباً؟

حنبل : قلت له ذلك من قبل ، وسألته ، فهل تدري يا سيدي بماذا أجاب؟

عبدالمالك : وهل الأمر يحتاج إلى أخذ ورد يا محمد؟

محمد : سيدي ، أرادني الوالد على أن أبني بشيبانية أختارها ، والطاعة تقتضي الامتثال ، لكنني ها أنذا منذ أكثر من شهر متخلف عن الالتحاق بالغزاة المجاهدين ، من رفاقي ، وإخوان الروح .

(عبدالمالك يضحك ضحكة خفيفة)

عبدالمالك : يا لك من برّ تقي ، ومجاهد وفي!! هذا فحسب؟

محمد : ألا يكفي هذا مثيراً للبلبال يا مولاي؟

عبدالمالك : وماذا قلت له يا حنبل؟

حنبل : قلت له إن الجهاد في سبيل الله ليس وفقاً على الحرب .

محمد : لكن هناك شيئاً آخر يؤرقني ، ويصرف همي .

عبدالمالك : أفصح ، وأرح نفسك ، وأرحنا .

محمد : حلم راودني في النوم ، فملاً قلبي شوقاً غامضاً ، حلواً ، سحرياً ، على قلق وتوزع بال .

حنبل : هات لنرى أحلامك من يقطتك .

عبدالمالك : أبوك أشهر مفسري الأحلام يا ولدي ، فلماذا تكتنم؟

محمد : أخشى إن أنا أفصحت عنه ، أن تطير حلاوته مع

الريح .

حنبل : إذن هو شيء جميل ، فأشركنا في سماعه ، حفظك الله يا محمد .

محمد : استيقظت ليلتنا عند منتصف الليل ، وفي قلبي حنين ، وبجوارحي خفة كأنني محمول على ريش ، فخرجت منسرباً برفق ، خشية أن تفيق زوجتي ، وقضيت وقتاً غير يسير أذرع خطاي في فناء الدار .

عبدالمالك : بادرة حسنة .

حنبل : ثم .

محمد : ثم تولاني سانح من نعاس ، كأنه النسمة بين الأوراق ، فعدت واتكأت في زاوية الحجرة كيلاً أزعج سكتي ، فغفوت ، وكان ذلك قبيل الفجر بقليل ، ورأيت كأن جداول خضراء سندسية تخرج من فمي ، ثم تشيع في الهواء والفضاء ، وهي بين أن تكون هواء أو ماء ، وأحسست لذلك بنشوة لم أعهد لها في حياتي ، ورأيت كأن الدنيا أصبحت مغمورة بتلك الجداول ، وغدت طيوراً بالغة الجمال والرونق ، تحط فوق أمواجها ثم تطير .

عبدالمالك : هاه !! ما هذا يا ولدي؟ ما هذا؟

حنبل : يا للبشرى !!! ثم تكتنم مثل هذه الرؤيا السعيدة يا محمد !!!

محمد : ماذا تعني يا أبتاه؟

حنبل : عالم بدين الله ، يملأ الدنيا علماً يخرج من صلبك ، ويكون واحداً من كبار شراح كتاب الله ، فَمُهُ فَمُكَ ، محشون نعمة .

عبدالمالك : الجداول الخضراء آيات القرآن الكريم ، وأحاديث النبي الشريفة ، تخرج من فمك لتفيض على العالم ، إنه كلمة نقية فردوسية تقولها يا بني .

محمد : الحمد لله ، وشكراً له على نعمائه ، يا لفرحي ما أعظمه !!

حنبل : ألا تزال نادماً على الزواج أيها الغازي المجاهد؟

مسرحية

عبدالملك : ألا ترضيك بغداد، لتزج بنفسك في الأصقاع البعيدة وأنت لاتزال طرياً وعريساً؟

حنبل : ستعود إلى كتيبتك بعد أن تنجب ولداً، فتكسب الجهاد مرتين .

محمد : أرجو أن يتم الله نعمته علينا، وأن تتحقق الأحلام .

المشهد الثاني

(محمد، حنبل، زوجة محمد، خادم)

حنبل : أراني على خير ما يرام صبيحتنا هذه .

محمد : أرجو أن تكون أيام سيدي الوالد، صبيحات موصولة المباهج .

الزوجة : لا أدري والله كيف أن الدنيا لا تسعني من الفرح، وأنا أكاد أضع الولد الأول، وعادة النساء أن يخشين الولادة الأولى؟

حنبل : أسأل الله لك ولنا يا بنتي، أن يجعل ما فيه الخير والسلامة زيتاً مضيئاً في بيتنا ولو لم تمسه نار .

محمد : بغداد باب يمن وإقبال يا أبت .

حنبل : على أنني أحببت البصرة، وكنت والياً على «سرخس» من خراسان، فذقت حلاوة الدنيا، وعرضني الميل إلى بني العباس ودعوتهم إلى سخط الأمويين وتعذيبهم، إلا أن بغداد أنستني كل بلاء مر، وأرجو من الله سبحانه أن يسبغ آلاءه وأن يجعل المولود القادم بشيراً بالخير .

محمد : ذاك ما أتوسل إلى الباري سبحانه بشأنه، وأضرع إليه أن يقر به عيني أبوي .

حنبل : سم يا محمد .

محمد : سم أنت يا أبي .

حنبل : للآم الحق في التسمية .

الزوجة : في فمي حلاوة اسم «أحمد» إن كان ذكراً، وبشرى أو يسرى إذا . . .

محمد : «مقاطعاً» . . . كان أنثى .

حنبل : كلاهما خير . . ماذا تقول يا محمد؟

محمد : ولد واسمه أحمد .

حنبل : وإن كان أنثى؟

الزوجة : يحج سيدي العم على نفقتي إن كانت أنثى .

حنبل : وتحجين أنت ومحمد على نفقتي إن كان ولداً .

محمد : هذا جيد، والله يضاعف لمن يشاء، وحدي من بينكما الرابع .

حنبل : ولكما بستان الأسرة في الرصافة .

محمد : ها . . . هذا كثير يا والدي، كثير .

حنبل : المولود الآتي جواب آفاق، عابر فلولات، فقد حملت به أمه في «مرو» وعرج على الكوفة، وحل في البصرة، واستقر ببغداد .

محمد : ومع ذلك . . .

حنبل : ماذا؟!

الزوجة : ومع ذلك فقد أمسكت زوجة محمد بن حنبل الشيباني جنينها، فلم تطرح .

حنبل : الشيبانيات ولودات، يسكن الأجنة، ويخصبن اللبن .

محمد : من قال يا أبت؟ «إذا كنت في ربعة فكأثر بشيبان، وفاخر بشيبان، وحارب بشيبان»؟

حنبل : قول شعاع يا ولدي كالهواء والشعاع، أظن أنه للخليفة عمر، عندما أشار مع الأمير «سعد بن أبي وقاص» - رضي الله عنهما - أن يبني البصرة، فنزلتها جموع شيبان، وذلك بعد بلائها تحت إمرة «المثنى» في حرب الفرس، قبل إمرة «سعد» .

محمد : وفيها بنى ذوونا مسجد «مازن» .

حنبل : أولئك أبائي فجنني بمثلهم . . إذا جمعنا يا جرير المجامع

محمد : زهو وخيلاء في الإسلام يا أبت!!

حنبل : زهو وفرح ببناء مساجد يذكر فيها اسم الله .

الزوجة : وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

حنبل : بارك الله ليبي بمن فيه، له الحمد والشكر على كل حال .

المشهد الثالث

(حنبل، ثمامة، جارية، خادم، محمد، زوار مهنتون)

جارية : سيدي، سيدي محمد.

محمد : ماذا وراءك؟ بشري!

جارية : سيدتي وضعت.

حنبل و محمد معاً : وضعت!!! الحمد لله.

حنبل : ما... ماذا؟ هل... .

محمد : الحمد لله، صرتُ أباً.

حنبل : زاد قدرك في عيني أيك، أترى؟

محمد : أصبحنا نتحدث عن أمور العائلة، وبذا خفت

صوت الحديث عن الجهاد.

حنبل : الآن، يستطيع القائد المجاهد أن يذهب لطيته.

محمد : أذهب لأرى الطفل، هل... هو... .

حنبل : إياك يا ولدي، فليس في بني شيبان من يقول

«ليس الذكر كالأنثى»، فالكل نعمة من الله

سبحانه.

محمد : أستاذن الوالد لأطمئن على زوجتي والولد.

حنبل : في رعاية الله وحفظه يا ولدي.

خادم : مولاي، ثمامة قادم.

حنبل : قصد أهلاً، ووطئ سهلاً، علامة بني شيبان،

ثمامة.

ثمامة : السلام على ابن العم، ومن يلو ذبه.

حنبل : عليك من الله سلام ورحمة، طائر يمن، وبشير

سعد.

محمد : (من بعيد) أبت «ثم مقترباً» ثمامة يا ابن العم، لا

تؤاخذني، فقد شغلني المولود فلم ألق التحية.

ثمامة : خير ولد لخير والد.

حنبل : كيف رأيته يا محمد؟

محمد : أحمد، يا والدي، وجهه كزيت المشكاة، فيها

مصباح، يكاد يضيء ولو لم تمسه نار.

حنبل : وأم أحمد يا محمد؟

محمد : على خير ما يرجى، وذلك من رحمة الله، والآن

...

حنبل ، مقاطعاً : جعل الله لك في كل آن خيراً، ماذا يا

بني؟

محمد : أترك لكم في البيت رجلاً، وألتحق بإخواني.

ثمامة : ألا تلبث أياماً، والضيف قد يستوحش؟

محمد : الضيف أصبح رب البيت، وكلنا في ظل حنبل بن

هلال.

حنبل : رافقتك السلامة، ادن لأقبلك، لا تجعل غربتك

طويلة يا ولدي.

محمد : ادع لنا يا ثمامة.

ثمامة : النور في قلبك، والعزيمة في دمك، ورؤية الحق

بين عينيك، والله سبحانه يحوطك بالعناية.

محمد : والآن أستودعكم الله ربي.

الاثنان : رافقتك السلامة يا محمد.

حنبل : قلت لك إنه لا يتراخى عن الجهاد.

ثمامة : كان الله في عونك، قل يا ابن عم.

حنبل : ماذا، فديتك.

ثمامة : أين نحن من العام؟

حنبل : السادس من ذي الحجة، في الثالثة والستين بعد

المائة من هجرة رسول الأنام.

ثمامة : عليه وعلى النبيين والمرسلين أذكى التحية

والسلام.

حنبل : وفيم سؤالك؟

ثمامة : ما عهدت شجر الرصافة يزهر كهذا العام.

* * *

شعر

إنهم يسرقون القدس من معجم البلدان !!

شعر / د. سعد دعبس *

أين تمضي بنا .. رياح الهوان ..
ضائع .. في متاهة الأزمات ..
للمنافي .. وغربة الأوطان ..
حسبما قيل .. كنت بنت ثمان ..
في صحارى الهوان .. ثون بيان ..
أين ألقى بيان تلك المعاني :
وانتم ماءً لمسجد وأذان ..
نسي القدس .. «معجم البلدان» ؟
لبلال الإسراء والإيمان ؟
أين ألقى بيان تلك المعاني ؟
صار منقاه .. داخل الأوطان ..
قيضه .. عبر هذه الأكوان ..
لاندماج السماء بالإنسان ..
حصرت بالقيود والقضبان ..
مستباحاً .. لليوم والغربان ..
وأطلي .. فال فجر في الأفق داني ..
عن حدود البلاد والأوطان ..
عن زمكان لمولد ومكان ..
وابحثوا .. في معجم القرآن !!
طين .. «بياب» الإسراء .. جم المعاني ..
مفردات التزييف والبهتان ..
والبقايا .. معروفة العنوان ..
مفردات التحرير للأوطان ..
في سيقاق من ذلة وهوان ..
هو باب الجهاد والإيمان ..
في صلاة .. ومدقم .. وأذان ..
نهر ضوء مجنح الشيطان ..
وربي .. مموسق الألوان ..
فابحثوا في معجم القرآن !!

سألتني .. في ثورة الأحزان
عصفت بي ريح النوى .. ذات يوم
منذ أدركت .. أنني صرت رملاً
رقماً .. صرت في الخيام .. وعمرى
مولدي .. نشأتي .. حياتي .. رمال
سألتني .. والدمع في مقلتيها
وطن .. أسرة .. صحاب .. وأهل
أترى .. زيقوا المعاجم حتى
أين ألقى في معجم اليوم .. رسماً
وطن .. مسجد .. أذان .. صلاة
آه .. يا أدمع الغريب .. إذا ما
أين مسرى الضياع .. حين تهادى
حين كانت مآذن القدس بدءاً
لانتلاق الضياع .. في كل أرض
كيف أمسست حدائق الضوء وكراً
يا ابنة الحزن والنوى .. لا تراعي
حينما تسألين .. في أي أرض
عن بيانات موطن وانتماء
فأجيبني .. دعوا المعاجم تهذي
رئماً .. تبصرون «فضل» فلس
رئماً مفرداته .. ليس فيها
مفردات «الشجب» التي قد ألفتنا
وطني .. حيث معجم القدس يجلو
معجم .. لا تبين فيه المعاني
كل ألفاظه تعود لباب
وأصول «اشتقاقه» .. في ثلاث :
وطني .. قد وجدته .. هل رأيتم
ذاك قدسي .. ذاك الزمان اخضراراً
وطني .. حيث سورة «الإسراء»

* شاعر مصري معاصر، صدر له خمسة دواوين شعرية أحدثها ديوان: حوار مع الأيام، عمل في عدد من الجامعات العربية أستاذاً ورئيساً لقسم اللغة العربية.

محمد محمد حسين مفكراً إسلامياً وناقداً أدبياً

محمد عبدالحصيد محمد خليفة*

عنها . . فمن هو محمد حسين؟ وما هي أهم ملامح فكره؟ وكيف كان درسه النص الأدبي ونقده إياه؟ وما هي مقاييسه؟

١ - أما محمد حسين فقد ولد في صعيد مصر في الرابع من أغسطس عام ١٩١٢م، وقد تربى في مدارسها حتى التحق بكلية الآداب - جامعة فؤاد الأول «القاهرة حالياً» فحصل على الليسانس الممتازة عام ١٩٣٧م من قسم اللغة العربية، ثم الماجستير في الأدب العربي ١٩٤٠م، فالدكتوراه، وتدرج في الوظائف الجامعية حتى شغل كرسي الأستاذية عام ١٩٥٤م، عمل رئيساً لقسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية وغيرها كجامعة بني غازي العربية، وجامعة بيروت، ثم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومن أهم مولفاته كتاب «الهجاء والهجاءون» في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وكتابه المتميز «الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي الحديث في مصر»، وتحقيقه ديوان الأعشى الكبير، وكتاب «حصوننا مهددة من داخلها»، وكتاب «الإسلام والحضارة الغربية»، وغيرها . . . فضلاً عن مجموعة من البحوث التي نشرها في مجلة اللغة العربية بالرياض، وبحوث أخرى نشرت جميعاً بعد وفاته في كتاب عنوانه «مقالات في الأدب واللغة»^(٢).

٢ - والمطلع على حياة محمد حسين عام ١٩١٢ - ١٩٨٢م يجد أنها تنقسم قسمين رئيسيين، يبدأ القسم الثاني منهما بكتاب «الاتجاهات الوطنية» عام ١٩٥٤، أما القسم الأول فظاهر حياته يوحى بتأثره الواضح بأستاذه طه حسين منهجاً في الدراسة وأسلوباً في التفكير النقدي، حتى إنه -

لا شك أننا الآن في حاجة ماسة إلى تناول معظم رواد الفكر والثقافة على اختلاف مشاربهم بالبحث والدرس تعرفاً على منهجهم والإفادة منه، وإبراز دورهم الريادي، ولفت أنظار الباحثين من الشباب إلى هذا الدور وأهميته، فعل ذلك يرد إليهم بعض حقوقهم التي ربما غُمطت في حياتهم.

وكان محمد محمد حسين أحد هؤلاء الرواد الذين جاهدوا زمناً بالكلمة، فكان له منهج في التفكير، وشخصية ذات حضور على الساحة الفكرية والنقدية في هذا القرن.

ولقد عُرف محمد محمد حسين مفكراً إسلامياً أكثر منه ناقداً أدبياً، وحظيت الأولى بوقوف كثير من الأساتذة والنقاد عندها^(١)، بينما ظل الجانب الأدبي النقدي عنده محتاجاً إلى مزيد من الدراسة المتأنية، والبحث المستقصي، لذلك كله عُتيت بهذا الجانب، وخصصته في بحثي للماجستير بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، والتي أنتهز هذه الفرصة كي ألمح إلى دور قسم اللغة العربية بها في إحياء ذكرى رواد الدراسات الأدبية واللغوية، وبيان عطائهم لشبيبة الباحثين، وهو دورٌ مشكور ينهض به أساتذة أفاضل، وعلماء أجلاء كالأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة وعثمان سليمان موافي، والدكتور/ عبده السيد الراجحي وغيرهم من الرواد الذين تستنير بعطائهم العلمي الأصيل والفكري الملتزم قاعدة عريضة من الشباب الباحثين المشتعلين حماسة للمعرفة في وطننا العربي والإسلامي الممتد.

ونبدأ هذا المقال بثلاثة أسئلة نحاول بإيجاز الإجابة

* باحث يحمل شهادة الماجستير في النقد الأدبي «ممتاز» جامعة الإسكندرية، له بعض البحوث الصغيرة المعدة للنشر، وكذلك قصص قصيرة، عضو بهيئة الفنون والآداب والعلوم بالإسكندرية.

في ظني - قد انتهج الشك «المنهجي» في أكثر من موضع في دراساته الأدبية، حيث حقق بعضها في الروايات والنصوص، وتصور الطبقات الأولى لآثاره في تلك الحقبة التزامه المنهج العلمي الذي نادى به طه حسين في الدراسة الأدبية، وما يقتضيه هذا المنهج من حرية في البحث، وموضوعية في التفكير، كما تصور بعض آثاره في القسم الثاني من حياته ندمه على ما فرط، ونيته في إصلاح ما أفسد^(٤) الأمر الذي أشار إليه أيضاً عند تقديمه للطبعة الثانية في بعض آثاره السالفة الذكر^(٥).

وفضلاً عن الحرية والتعقيل سمتين واضحتين في منهج محمد حسين يلاحظ مستقري حياة الرجل أنه قد مر في تفكيره بمراحل تأمل فلسفي ما، شغل فيها بمسألة تحضير الأرواح. فقد استهوته، وانغمس في البحث فيها زمناً، فزج بنفسه في هذا الميدان، فحضر جلسات مدعي بعث الأرواح وعندما تسرب إلى نفسه الشك فيما شهد من خدع، رأيناه قد نأى بنفسه بعيداً، واتخذ موقفاً أصلاً فيما بعد وأوضحه في بحثه «الروحية الحديثة حقيقتها وأهدافها»، وقد ظلت أربعمائة هذا القرن تشهد إرهابات تكوين فكر محمد حسين الجديد، وبمعنى أدق استقراره، ووضوح ملامحه الإسلامية والتزامه، ويدل على ذلك عندي - تقرير رفعه عام ١٩٤٥^(٦) إلى اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية عن تدريس الأدب العربي وإمكان استغلاله في تقوية الرابطة بين أم الجامعة العربية، ولا شك أن هناك قضايا بعينها شغلت محمد حسين في ذلك العقد، منها إعادة اطلاعه على الأدب الحديث بخلفيته التاريخية والاجتماعية، مع ما زامن ذلك من إعادته بناء ثقافته الإسلامية على أسس الموروث السلفي، وفي ضوء ما أفرزه العصر الحديث من فكر إسلامي مستنير، مؤيد بالعلوم التجريبية، كما ظهر ذلك في آثار رجل كالشيخ طنطاوي جوهرى، كما شغل محمد حسين في ذلك العقد قضية الوحدة العربية والتماس سبلها وإلحاحه في ضرورة التمسك بشخصيتنا العربية في ملامحها الإسلامية، ولعل ما نكب به العرب والمسلمون حينذاك من شتى أنواع الغزو العسكري والفكري والاجتماعي، وما نكبت به فلسطين، وما ظهر من أطماع الغرب المستعبد في الشرق المسلم، كل ذلك - أرجح - أنه عمل على إحداث هزة قوية ارتجت لها أفكار الرجل،

وثارت في نفسه وغلت، حتى فار بها قوله، وأسفر عنها كتابه «الاتجاهات الوطنية»، ولم يكن من محض المصادفة أن يواكب تأليفه هذا الكتاب شروع محمد حسين في حج بيت الله الحرام كما يحدثنا هو بذلك^(٧).

وهكذا حدد محمد حسين لنفسه الطريق الذي ينبغي أن يسير فيه، ومنذ ذلك التاريخ ظهر التزامه الفكري، وإحساسه بمسئوليته أدبياً وفكرياً، وأخذت مفاهيمه لما حوله من أفكار وقضايا تتضح وتحدد وتبلور، وقد لونها فكره، فإذا أردنا مثلاً التعرف على مفهوم محمد حسين للأدب اشتمنا رائحة فكره تسري خلال حديثه.

وهكذا أيضاً اختار لنفسه طريق العمل الجاد، وإذا كان أدبياً لا يملك إلا الكلمة فقد وجه جهده وجهة الأدب والفكر، فصال بالكلمة، وجال بالحجة، وأخذ يؤرخ للأدب والفكر والسياسة، مستنداً إلى التاريخ والمنطق، لا يهاب من خصومه أحداً، حتى ولو كان أستاذه طه حسين، يساعده في ذلك عناد في الحق، وإصرار عليه، وثقة بالنفس، وقد كان حريصاً على أن يظل فعالاً في أحداث حاضره، مشاركاً في كل ما يعن من أمر يهم حاضر الأمة ومستقبلها الثقافي والتاريخي، فخلف وراءه تراثاً كالمرآة الصافية تنعكس عليها أحداث عصره، إلى جانب استشرافه مستقبل أمته.

توفي محمد حسين ولم يستكمل ما كان يود أن ينهض به، ولعل أبرزه هو الرغبة في تعميم الكتابة عن الاتجاهات الوطنية لدى الدول التي تتخذ العربية لغة، ومن فضل القول أن نذكر أن آخر ما خلف محمد حسين حيث مات ولم يكمله ما وجد لديه من مسودات^(٨) الجزء الثالث «الاتجاهات الوطنية» الذي كان ينوي فيه تغطية فترة ما بعد ثورة عام ١٩٥٢ بالتاريخ والدرس.

٣ - أما فكر محمد حسين فهو أكثر جوانب الرجل التي حظيت بدراسة كثير من الباحثين، وتأمل كثير من المفكرين، الذين رأوا في فكره أصالة وجدة تستحق صفة الريادة، فكثير ممن يعرفون محمد حسين لا يعرفون منه إلا رجلاً ذا فكر مستنير، قبل أن يعرفوا فيه أدبياً باحثاً^(٩).

ومعلوم أن هناك تاريخاً بعينه في حياة الرجل كان بمثابة نقطة التحول في حياته كلها، حيث استقر فكره،

سالكاً كل السبل - أن يستعيد أمتنا بطرق شتى بعيداً عن العمليات العسكرية المباشرة، باصطناعه سياسة «التغريب» Westernisation، وتعميقه الفوارق بين الدول الإسلامية بعضها ببعض، مقابل تقريبه بين هذه الدول الإسلامية والغرب، وكل هذه الحرب تجري على الجبهة الثقافية والعلمية، فهي إذ تلبس أثواباً شتى، إلا أنها تهدف إلى هدف واحد، هو استعباد الغرب للأمة كلها، وجعلها تابعة له دائماً، وتكون أداة في يده، بعدما يطمس الغرب شخصيتها الإسلامية، التي هي مناط احترام العرب وتقديسهم، والتي هي أيضاً مصدر قلق الغرب ونفوره. من هنا أدرك محمد حسين أنه يستطيع خوض غمار هذه الحرب، لأنها على جبهته، فتسلح لها بفكر استقاءه من التراث العربي الأصيل، إيماناً منه أن هذا التراث يعد الجذور التي تمسك ببيان الحاضر الفكري، فأول ما نلاحظه إذاً هو أن «السلف» الذين أرسوا هذه الجذور، هم بمثابة روافد فكره الأولى، لأن «... أسلافنا أحكم منا، وأرجح عقلاً، وأسلم فطرة، وأعرف بما هم في حاجة إليه...»^(١٢)، كما دعم هذا الفكر عنده تأمل معن لسنن الله في خلقه، جعله لا يأس مما رآه من حرب بين القديم المحافظ والجديد المستجلب، بل يطمئن إليها راجياً الخير والنفع من ورائها، فهما كالحق والباطل، اللذين ضرب الله بهما المثل، إذ أن الباطل يذهب جفاء ويبقى في الأرض ما ينفع الناس من حق أبلج.

وقد كان يدرك أهمية شعار «الوحدة العربية» خاصة أنه عاين حماسة الأمة العربية في فترة ما، كان لهذا الشعار وهج عظيم، أجمع في نفوس الشعوب العربية نار الثورة على الاحتلال، في الأربعينات والخمسينات من هذا القرن، وعلى أية حال فإنني أظن أن إحساسه بعروبه كان عظيماً، وأعني «بعروبه» تلك العروبة التي لاتجد شخصيتها إلا في الإسلام، ولا مقوماتها إلا في الدين، ويؤكد ذلك عندي ما عقده محمد حسين من فصل خاص^(١٣) بسط فيه الحديث عن أهم الدعوات التي يروجها الغرب، لتفتيت ما أسميه أنا «وحدة العرب»، وما يسميه محمد حسين في صدر هذا الكتاب بـ «تآلف العرب ومجتمع المسلمين»، وإذا كان قد رأى من هذه الدعوات الثلاث (الدعوة إلى هدم الدين جملة، والدعوة إلى هدم اللغة بقواعدها وحروفها، والدعوة إلى هدم الأخلاق) ما يُهدف به

وتبلور، وتحددت ملامحه وخصائصه على أسس واضحة، كلها إسلامي الوجهة، عربي السمة والملمح. كان هذا في بداية الخمسينات من هذا القرن، فمنذ أن فرغ من إعادة تحقيقه ديوان الأعشى «ميمون بن قيس» عام ١٩٥٠م رأيناه عاكفاً على آثار أدبية حديثة، خاصة شعر شوقي، فقد كان همه في أول الأمر أن يكتب عن وطنية شوقي، وكان هذا الموضوع بمثابة الضوء الأحمر الذي جعل الرجل يقف طويلاً، فيعيد النظر في شعر الشاعر، بل في أدب عصره أجمع، من شعر معاصري شوقي ونثرهم.

سواء أكان هذا النشر مقالات صحفية أم حوليات سياسية، للدعاة ما يسمى بالوطنية والقومية من العرب مسلميهم ومسيحييهم، والأترك، وكذلك ساسة الغرب ومفكروهم. من هنا أدرك محمد حسين مفارقة كبرى في هذه الحقبة عند أدبائنا منذ قيام الثورة العربية سنة ١٨٨٢ وحتى سنة ١٩٤٥ وقت إنشاء جامعة الدول العربية، وهذه المفارقة لا تقف عند الأدباء فقط، بل تتعداهم إلى صوت الأمة كلها حين ذاك، فهي تنشأ من خلال ما لاحظته محمد حسين من ازدواجية الفهم العام للوطنية، بين عصر شوقي وعصرنا الحاضر، بما يعكسه لنا أدب ذلك العصر من صحف وكتابات، فخلص إلى نتيجة آمن بها بعد استقراء فطن لهذه الكتابات، مؤداها أن «... وطنية هذه الفترة لم تكن هي وطنيتنا، وأن قيمها لم تكن هي قيمنا، وأن تفكيرها لم يكن هو تفكيرنا، فالخطأ في الحكم يرجع في معظمه إلى تغير مفهوم الوطنية على مر الأيام»^(١٤). من هنا كان كتابه «الاتجاهات الوطنية» بداية جديدة في حياته الفكرية والعلمية، فهو فضلاً عن أنه يعد أول وثيقة واضحة لفكر محمد حسين، فهو أيضاً دليل على إيجابية الرجل ومنهجه في تصحيح الأخطاء، بما يطرحه من فكر جديد، ويؤسسه من مقاييس جديدة، تقاس بها القيم والرجال، يقول:

«ومن هنا يبدو أن البحث في لبه يستهدف تصحيح القيم الوطنية والقيم النقدية في دراسة الشعراء المعاصرين»^(١٥)، وقد تكشفنا لمحمد حسين مجموعة من الملاحظات والقضايا الفكرية، التي استنبطها بعد إمعان للتاريخ والسياسة، كلها تدور حول علاقة الشرق الإسلامي - بما فيه الدول العربية - بالغرب المسيحي، الذي يحاول -

من خلال الفكر الذي يحملانه، فهو عندما تناول الدعوات الهدامة، كالماسونية والروحية والتوفيق بين الأديان، أخذها دعوة دعوة، أي كل دعوة على حدة، فأورد من مركزاتها ومبادئها، ومن نصوص الداعين إليها، ما وضح به زيفها وزيفها، وكفرها وإلحادها، وهو بذلك قد غاص إلى داخلها، ليجعل هدمها يتم بيدها وعن طريقها^(١٩).

وهو يؤمن بأن الهجوم على هؤلاء الهدامين هو أفضل وسائل الدفاع، وذلك باصطناعنا نفس منهجهم، فإذا كانوا يكدون لنا باستقصائهم آثارنا، وعكوفهم عليها لدارستها دراسة علمية، فمحمد حسين يسأل سؤالاً يقتصر فيه كيفية التصدي لهم حينما يقول عن الغرب: «فلماذا لا نبني سياستنا في مقاومة مكايده، وإحباط خططه، والسبق إلى مبادئه، على أساس علمي مدروس، يقوم على استقصاء ما كتبه ساسته وعلماءه عن الشرق وعن العالم الإسلامي؟ ولماذا لا نتعاون على نقل هذه الدراسات...» (٢٠).

شخصية إسلامية :

وأخيراً فإن محمد حسين أشد ما يكون تمسكاً بالشخصية الإسلامية، التي تقوم عليها القومية العربية، فهو إذا ناقش علاقتنا بالغرب نراه يقول: «ليس الذي ينقصنا هو أن نسلخ من جلودنا لندخل في جلودهم، ونخلع من ديننا وتقاليدنا وأذواقنا ولغتنا وآدابنا وفنوننا لندخل في دينهم وتقاليدهم وأذواقهم ولغاتهم وآدابهم وفنونهم، فذلك لا يكون أبداً...»^(٢١).

وهكذا ينتهي محمد حسين بعد تفنيده ومناقشته الآراء، ومعركته الفكرية العقيدية إلى سؤال يواجه فيه خصومه ويلجهم به، حينما يقول في وضوح الواثق من سلامة فكره ومنهجه (فلنضع السؤال الصريح القاطع إذن دون لف أو دوران، ففيه فصل الخطاب: هل نريد أن نظل مسلمين تحكمتنا أصول الإسلام...؟)^(٢٢)، وهكذا تبدو لنا أصالة فكر محمد حسين، تلك الأصالة التي يمكننا أن نلخصها في أنه رجل قد أتى بفكر سلفه وتراثهم فأثبت أصالة هذا الفكر، ورسوخ هذا التراث، وثباتهما أمام رياح التغريب العاصفة، ودعوات الهدامين الطائشة، هذا إلى جانب احتكامه إلى المنطق السليم،

إلى هدم الأخلاق والدين، فإنه - بوصفه أديباً ومتخصصاً - أحس أخطر هذه الدعوات الثلاث وهو ما يهدف به إلى هدم «اللغة»^(٢٣)، فجاهد في بيان الحدود التي يجب أن تقف عندها عند أخذنا من الغرب، وكان له في كل ذلك مواقف واضحة كحركة الترجمة والنقل عن الغرب^(٢٤)، خلاصتها أنه يجب أن ننقل حضارة الغرب المادية دون الفكرية والثقافية^(٢٥)، لأن تخلفنا فيما تحضر فيه الغرب من علوم مادية وتجريبية هو سبب ضعفنا وانقيادنا له، ومن ثم فهو يهاجم كثيراً من الدعوات الهدامة، كالعالمية والاشتراكية والصهيونية، وغيرها من الدعوات التي تلبس ثوب العلم، كمثّل تلك التي تدعو إلى دراسة اللهجات العامية، وتطرح نوعاً جديداً من الدراسات اللغوية، على أساس منهجي صرف، وغير ذلك من دعوات تتمسح في العلم، كدعوة تخضير الأرواح، فكل هذه دعوات هدامة، تستهدف هدم الدين، لأن تصور أصحابها للمعرفة غير صحيح من الوجهة الإسلامية.

فمن قال إن العلم يقصد لذاته، وللذة المعرفة وحدها، يرد عليه محمد حسين قائلاً: «... وهذا تصور للمعرفة غير إسلامي، فصناعة الخمر معرفة...»^(٢٦)، ومحمد حسين بتصوره الإسلامي ذلك الذي يدعو إلى وحدة المفهوم الإسلامي للأشياء والحقائق، يضع إصبعه على بيت الداء، الذي يفصل بين المفهوم الإسلامي «الواحد» للأشياء، والمفهوم الغربي «المزدوج» لها، وهو «الثنائية» التي عمقتها عندهم التجربة «الوضعية والمسيحية»، وهذه الثنائية هي التي كانت سبباً في شل أفكار الغرب وعقائدهم، شللاً جعلهم عاجزين عن تحريك الإنسان وتربيته، من أجل أن يكون متوحداً متوازناً، وهي التي ملأت بالتالي حياته المعاصرة بالتفاهة والخواء، ثم إن هذه الثنائية إلى جانب إيمانهم باللاهوت النظري، والفصل القسري بين الفكر والحياة، بين التصور والواقع، بين السماء والأرض، بين العقل والروح، تقف سداً في وجه محاولاتهم الباحثة عن الأسلوب الشامل المتوازن الحيوي الصحيح^(٢٧)، من هنا كانت أهمية هذا التصور الإسلامي عند محمد حسين، في تقويم تلك الدعوات الهدامة، كالعلمانية وغيرها - وكان سبيله إلى تقويضها - أقصد تقويمها - سبيلاً مقنعاً، يأخذ «المذهب الهدام، أو الرجل المفسد، فيدخل إلى أعماقهما، محاولاً أن ينفذ إلى تقويضها

اختار طريق الكلمة .. ووجهه جهده لخدمة أدينا الإسلامي ..

بالرسوم البيانية، ترسم فيها الاتجاهات المتوازية والمنحنية، ليجئ بعد ذلك محمد حسين الناقد، كي يقيس تلك الاتجاهات، ويحدد درجة تأثيرها، قوة وضعفها في المجتمع العربي والإسلامي حين ذاك، وأظهر الشواهد على ذلك هو أنه قد بدأ هذه الدراسة بالتأريخ للاتجاهات الوطنية في الأدب الحديث في مصر، وهي تكاد تطابق مثيلاتها في باقي الدول العربية منذ قيام الثورة العربية ١٨٨٢، وحتى قيام الجامعة العربية في مارس ١٩٤٥ - وهنا يبدو حسه التاريخي سافراً في تقسيم الفترة التي يؤرخ لها إلى شطرين متميزين، تكون الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٩ حداً فيصلاً بينهما، يقول: «وقد تبين لي من بعد أن الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٩) كانت حداً فاصلاً بين عصرين متباينين في فهم مدلول (الوطنية)، ولذلك رأيت أن أقسم بحشي عن (الاتجاهات الوطنية في الشعر المعاصر) إلى قسمين ينتهي أولهما إلى قيام الحرب العالمية الأولى، وهو موضوع بحث هذا الكتاب الذي أقدمه بين يدي القراء»^(٢٦)، كما بدا هذا الحس التاريخي والتقدي واضحاً عند تعرض محمد حسين لجزئية تناولها بالبحث والدراسة بقصد تقويمها، كمثال ما لاحظته - معتمداً على حسه وذوقه معاً - في حياة رجل كالشيخ محمد عبده، فقد أدرك محمد حسين أن منفي محمد عبده سنة ١٨٨٣-١٨٨٦ كان نقطة تحول في حياة الرجل^(٢٧)، فقبل منفاه كان اتجاهه إسلامياً واضحاً يدافع فيه عن الإسلام، ويهاجم المستشرقين الذين حاولوا النيل من مبادئه، أما بعد عودته من المنفى فقد بدأ اتجاهه يتغير، فهو يداهن الإنجليز في شخص كرومر، ويعمل على تقريب المسلمين إلى الغربيين.

ومن الأدوات والوسائل التي أتاها للرجل قدرة على النقد الأدبي الحديث ما اتسم به من «شمولية» في النظرة، تدعمها بصيرة، ودقة منطقية في رصد الظواهر الأدبية القديمة، والاتجاهات الفكرية الحديثة.

والعقل المستنير، في رده عليهم.

٤ - أما دراسة محمد حسين للنص الأدبي، فقد تسلح لها الرجل بوسائل أعانتها في دراسة النص، تأريخاً وتفسيراً وتقويماً، وهذه الوسائل تتمثل في ذوق مدرب، صقلته ثقافة واسعة، وحس مرهف بالتاريخ، وهذا من أهم جوانب حسه التي يجب الإلماح إليها، فقد كان يتمتع - وكما يبين علماء النفس - بما يسمى «إدراك النسبة الزمنية» التي تعتمد على الإحساس بالوقت جيداً، ومن ثم إدراكه طولاً وقصراً^(٢٨) ليس على مستوى الساعات فحسب بل أقول على مستوى السنين والأجيال، وليس أدل على ذلك من أن نعرف محمد حسين مؤرخاً للأدب، فالإحساس بالوقت، أو لنقل موهبة الشعور بالزمن وطوله، وملاحظة ما يعترض امتداده من أحداث، تشكل ملامحه. وبصيغة أخرى: إدراك أحداث ما في زمن ما، وإدراك علاقتها ببعض يساعد بدوره على إدراك ولادة اتجاه بعينه، أو تيار خاص، ومراقبة امتداده، وتعقب أثره، حتى يصل إلى متناه، وكل هذه هي عمليات عقلية، تعقب عملية الإدراك الحسي، لخصها العلماء في عمليتي التصور والتخيل^(٢٩).

مواقف تاريخية :

والخلاصة أن الحس التاريخي كما يقولون: «هو حس الفروق»^(٣٠) كان محمد حسين إذاً ذا حس تاريخي مرهف، دفعه هذا الحس في كل دراساته إلى التأريخ للأدب قديماً كان أم حديثاً، وغثل هنا لبعض صور هذا الحس في دراساته الأدبية والفكرية الحديثة، في رصد الاتجاهات العامة، البناء منها والهدامة في الأدب الحديث، وفكر بعض هؤلاء الأدباء، حيث تجلّى حس محمد حسين التاريخي أقوى ما يكون، ولم يكن ذلك بغريب عليه، إذ أكسبه طول التجربة والممارسة في تاريخ الأدب خبرة واسعة، شحذت حسه، ولم يكن لمحمد حسين بد من هذا الحس التاريخي المصقول، إذ كانت دراساته في القسم الأخير من حياته، قوامها التاريخ، لرصد شتى الاتجاهات، وتعقب مسيرتها، ومتابعة ما تفرزه تلك الاتجاهات عن غيرها من اتجاهات أخرى، حتى جاءت دراسة مثل «الاتجاهات الوطنية» أو «الإسلام والحضارة الغربية» أشبه

كان يرى أن الهجوم على المتجاهلين على أدبنا وسيلة للدفاع عنه ..

وقد كان هذا دأب محمد حسين في شتى بحوثه العلمية، يخاطب العقل بالحجة، والوجدان بأسلوب حار، فمناطيقته في الكتابة أعطت لأرائه صفة العلمية، فالأفكار عنده تبدأ من الخاص الجزئي، حتى تنتهي إلى العام الكلي، الذي يشكل ظاهرة تستحق أن يقف عندها الباحث والمؤرخ، ونضرب لذلك مثلاً ما كتبه عن القومية العربية^(٢٨) ظاهرة وواقعا، فقد استقصى معاني القومية في التاريخ العربي فالإسلامي، ولم يترك معنى إلى غيره إلا بعد إشباعه بحثاً، ثم تقويمه بمقياسين: خلقي وفكري معاً، فهو يستدل على أصالة المعنى أو زيفه استدلالاً مباشراً بمقدمة واحدة، أو استدلالاً غير مباشر بعد مقدمتين - أو أكثر - كما يقول علماء البحث^(٢٩).

وإذا رجعنا إلى شمولية نظرة الرجل رأينا يطالب بها صراحة، بل نراه يلزم المؤرخين إياها عند الدراسة التاريخية، وهو يضرب بذلك مثلاً واضحاً، فقضية تطوير العالم الإسلامي التي تدعمها وتشجعها يد التغريب لا يظهر خطرها لدى من ينظر إليها نظرة ضيقة محدودة بحدود تخصصه فقط، فالواقع «أن إدراك حقيقة الشيء يستلزم النظرة الشاملة إليه، التي تحيط به من كل نواحيه، والذي ينظر إلى التطوير هذه النظرة الشاملة يستطيع أن يدرك خطورته ومدى آثاره»^(٣٠). فهذه الشمولية في النظرة إذاً تعتبر من عدة البحث العلمي، وأدواته التي أفاد منها محمد حسين أياً إفادة في آثاره القديمة والحديثة على السواء.

ومثال تلك النظرة الشمولية التي بدأت معه في دراساته التاريخية للأدب أنه حينما تصدى لتاريخ فن الهجاء في الجاهلية والإسلام لم ينظر إلى هذا الفن نظرة ضيقة محدودة، كما كان القدماء من نقاد العرب ينظرون إليه، بل رأينا ينظر إليه نظرة أكثر شمولية، غير مائعة للجديد من التصورات المنوطة بمؤرخ الأدب الحديث، فإذا كان القدماء قد نظروا لفن الهجاء في حدود النصوص الشعرية فحسب، وإذا

كانوا قد نظروا إليه أيضاً بوصفه فناً خاصاً بالأفراد، فإن محمد حسين يخالف القدماء من هذين الوجهين: «... الوجه الأول أننا نجعله شاملاً للشعر والنثر، والمشهور أنه لا يكون إلا شعراً، والوجه الثاني أننا نجعل موضوعه شاملاً للفرد والجماعة والأخلاق والمذاهب، والمشهور عندهم أنه مقصور على الأفراد»^(٣١).

أما في دراساته الحديثة، فإننا نرى تلك الشمولية في النظرة قد أتاحت له دراسة الاتجاهات المختلفة وأبعادها، فكانت كالمرايا المتجاورة، تبرز القضية من شتى جوانبها وصورها وأبعادها المختلفة، فمن صور رصده لاتجاهين متعاصرين تزامناً: ما لاحظته من وجود اتجاه إسلامي صرف قوي غلاب يدعو إلى جامعة إسلامية، تلم شتات المسلمين، وتوحد صفوفهم، للدين الإسلامي اعتباره في تكوينها، فإلى جانب هذا الاتجاه الديني اتجاه آخر عاصره - قبل الحرب العالمية الأولى - يقوم على أساس من الجنس لا الدين، فهو اتجاه يقوم على دعوة «... تنادي بالقومية المصرية، وثبتت الشعور بالوطنية الإقليمية في الأمة»^(٣٢)، كذلك يرصد محمد حسين تيارين متناقضين، ظهرا معاً في الحقبة ذاتها وهما: تيارا حركة الإصلاح التي نادى بهما المصلحون من المحافظين والمجددين على السواء، لكن محمد حسين يجد أن هذين التيارين المتعارضين اللذين شقا طريقهما في الحياة المصرية قد ظهرت آثارهما في أربعة قطاعات هي: السياسة والفن والتعليم والحياة الاجتماعية، يقول: «ظهرت آثار هذين التيارين في السياسة، فكان أنصار الجامعة القومية يمثلون الفريق الأول، وكان أنصار الجامعة الإسلامية يمثلون الفريق الثاني، وظهرت في الأدب وفي الفن، فكان هناك فريق يتخذ مثله الفنية من الأوروبيين، وكان هناك فريق آخر يستمد قيمه من قديم العرب ومن تقاليد الشرق، وظهرت في التعليم، فكانت هناك مدارس عصرية تأخذ بأساليب الدراسة الأوروبية، ومدارس أوروبية للجاليات الأجنبية، أقبل عليها أبناء الأغنياء من المصريين، وكان إلى جانبها معاهد دينية تقتصر على العلوم الشرعية والإسلامية وما يتصل بها، وظهرت في المجتمعات وفي سائر شئون الحياة...»^(٣٣)، إلا أن هذين التيارين المتعارضين قد أفرزا تياراً وسطاً يحاول التوفيق بينهما.

كشف سموم الكتب الخيثة . لائق شرها .

ومما يدل على فطنته وذكاؤه وبُعد نظره إدراكه ما خفي من أساليب الهدامين في هدم الدين واللغة والأخلاق، وغيرها من القضايا، فمنها تعرضه لقضية تعدد من أخطر القضايا التي شغلت - ولا تزال - كثيراً من الباحثين والمؤرخين في الفكر والأدب على السواء، وهي قضية المعركة بين «القديم والجديد»، وقد أزال بفتنة البصير ما يحيط معنى «القديم» من معان وظلال، تنفر عنه الشباب الذين يستهويهم ما يجدون من بريق حول معاني «التجديد»^(٣٨)، فأرخ لهذه المعركة، ووصف صورها في شتى النواحي الثقافية والاجتماعية والفكرية.

أساليب متعددة :

وفي مناقشة محمد حسين لهذه القضية ظهر تمرسه بشتى الأساليب التي يسلكها دعاة التجديد ضد المحافظين، الذين يعرفون قيمة القديم التراثية، فمن ذلك دخول معركة القديم والجديد الحياة الاجتماعية، فقضية المرأة كانت إحدى القضايا الاجتماعية الكبرى التي كان لها حظ كبير من هذه المعركة، فقد دعا المجددون بأساليب شتى إلى سفورها وحريتها، فظهرت النساء متبرجات ثائرات على التقاليد، وقد كانت الصحافة تغذي كثيراً من أفكارهن المتحررة، بصورة مباشرة لا مواراة فيها، ولكن محمد حسين يدرك هذه الأساليب الماكرة، فمن ذلك أن بعض هذه الصحف كانت تسلك أسلوباً خبيثاً. «... لا تظهر فيه بمظهر السيطرة والتوجيه، ولكنها تظهر بمظهر المستفتي المتسائل، لتبرز مسائل معينة، تريد أن تجعلها موضوع مناقشة وأخذ ورد»^(٣٩)، ويضرب بذلك مثيلين: أحدهما ما كانت تحمله مجلة «الهلال» من بعض الاستفتاءات في هذا الموضوع، والثاني مقال للدكتور «أمير بقطر» بعنوان «التعليم المختلط وأثره في توجيه العواطف بين الجنسين»، ففي مثل هذه المقالات توجد أفكار غريبة «... قد ينكر القراء بعض ما فيها أول الأمر، وربما انصرفوا عنها فلم يقرؤوها، ثم تستدرجهم جدة ما يدور

بقي أن نقول في النهاية إن محمد حسين في نظره الشمولية هذه التي ظهرت من خلال عرضه الاتجاهات العامة، إنما يصدر في هذه النظرة عن أساس إسلامي، يدعو إلى ضرورة تصور الوجود والكون بصورة شاملة، فميزة التصور الإسلامي في شموليته لشتى عناصر الوجود: «... إنه التصور الذي لا يأخذ جانباً من الوجود ويدع جانباً آخر...» وإنما يأخذ الوجود كله بماديته وروحانياته ومعنوياته، وكل كائناته^(٣٤)، وقد أحسن محمد حسين توظيف هذا التصور الإسلامي، أو هو قد أفاد من كلية مفهوم الإسلام للوجود، أفاده في دراساته التي أرخ بها للأدب خاصة في القسم الأخير من حياته، حيث تبلور فكر محمد حسين، وظهر ذلك في آثاره الحديثة، فهو في هذه الدراسات الحديثة التي يؤرخ فيها للاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ويفضل عالم التاريخ الأكاديمي، ذلك لأنه بما يقدمه لنا من تاريخ حي - برغم بعد زمنه عنا الآن - قد قضى على التسطح الجامد في كتابة التاريخ، كما أنه بهذا الصنيع يقضي «على فكرة الامتداد العمودي للأحداث، لكي تعطى للإنسان فرصة تدبرها أفقياً، بكل عناصرها ومكوناتها، لكي تتيح للمؤرخ فرصة معايشة التاريخ، ومن ثم أبعاد الرؤية إلى كل جوانب الكينونة الإنسانية، فعندما يعيش المؤرخ أحداث التاريخ وينفعل بها، فإن بإمكانه أن يقول لنا أشياء لا يستطيع أن يقولها لنا الأكاديميون، الذين تقتصر فاعليتهم على التنسيق والتفكير المجرد»^(٣٥)، لذلك حظي كتابه «الاتجاهات الوطنية» بثناء كل من قرأه، لأنه كان صورة جلية لسمات الرجل العقلية في الكتابة، فوصف بالدقة والعمق والشمول، إلى جانب سداد الحجة^(٣٦)، وسلامة الاستدلال، حتى إن أحد الباحثين اليوغسلاف قال عنه: «إنه يتسم بالشمول والعمق والدقة والنقد والتمحيص والصراحة والتوجيه...» لأن صاحبه وقف فيه بالمرصاد الدقيق أمام جميع الظواهر الهدامة التي انهالت على الأدب العربي الحديث^(٣٧).

أما هو فقد قصد ألا تكون دراساته التي يعمد فيها إلى التاريخ الأدبي مجرد تنسيق وترتيب في الأفكار فحسب بل استعان بذوقه، إلى جانب النظرة الشاملة ذات الأبعاد في كشف نوع من الارتباطات بين الظواهر والأشياء المتشابهة أو المتقابلة، ومن ثم موازنته بينها.

تفهم ضرورة التجديد في الأدب .. ولكن بضوابط محكمة ..

حولها من نقاش لمتابعتها، ثم يألّفونها على توالي الأيام، وقد تطمئن نفوسهم إلى بعض ما كانوا ينكرونه منها في أول الأمر»^(٤٠).

ومما يدل على يقظة الرجل وثاقب نظره ما لاحظته في أسلوب الشيخ على عبدالرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم»، فقد تعجب محمد حسين من إكثاره ذكر «صلى الله عليه وسلم»، وهو في معرض هدم الحكومة الإسلامية، يحاول بكل الطرق فصل صفة الحكم عن النبوة عند محمد «صلى الله عليه وسلم» يقول: «إكثار المؤلف من ذكر (صلى الله عليه وسلم) عجيب يلفت النظر، إذا قورن بجراته عليه وعلى صحابته، وعلى رأسهم الصديق أبو بكر رضي الله عنه فكأنما هو يكثر من الصلاة والسلام عليه تقية ودفعاً للشبهات عن نفسه»^(٤١).

فكر إسلامي :

وقد يلبس الذكاء عند محمد حسين ثوب المفكر الإسلامي، أو العالم الاجتماعي، واسع الخبرة بالأساليب التي يصطنعها الغرب المستعبد، في تغريب الشعوب العربية، وتقوية روح الشعوبية بينها، وتعميق الفوارق بين الشرق الإسلامي والعربي منه بوجه خاص، وصور هذه الأساليب كثيرة متعددة... مثل الاهتمام بتدريس التاريخ القديم على الإسلام لتلاميذ المدارس، وأخذهم بتقليده، والاستعانة على ذلك بالأنشيد، ومثل خلق أعياد محلية غير الأعياد الدينية، التي تلتقي قلوب المسلمين ومشاعرهم على الاحتفال بها، ومثل العناية بتميز كل هذه البلاد بزي خاص - ولا سيما غطاء الرأس - وما يترتب عليه تمييز كل منها بطابع خاص، بعد أن كانت تشترك في كثير من مظاهرها»^(٤٢).

كما يبدو ذكاًؤه أيضاً حينما يتعرض بالنقد لمجموعة الكتب المترجمة التي تصدرها اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية إلى جانب مؤسسات أجنبية أخرى كمؤسسة

«فرانكلين» الأمريكية للنشر، فهذه المؤسسات قد قدمت لمشروع الترجمة إلى العربية مجموعة من أشد الكتب الثقافية خطراً على الدين، لما تدعو إليه بطريق خبيثة من التشكك في الغيب والدين جملة، وقد كان محمد حسين يعمل دائماً على كشف سموم هذه الكتب واستخراج خبيثاتها «يستخرجها كما يستخرج الخبير الحية المؤذية من جحرها ليتقي الآمنون نفثة سمها حين تلدغ في الخفاء»^(٤٣). وكان كتاب «مختارات من (إمرسون)» وكتاب قصة الحضارة «لهويل ديورانت» أشد هذه الكتب خطراً في هدم الدين والغيب، ومقارنة الرسول (عليه الصلاة والسلام) بغيره من العباقرة والفلاسفة تلميحاتاً وتصريحاً، بل تعدى محمد حسين مشروع الترجمة باللجنة الثقافية في الجامعة العربية، من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٦، إلى مجموعة البحوث الإسلامية التي قدمت في مؤتمر الشرق الأدنى بجامعة برينستون عام ١٩٥٣، وهي بحوث لا تقل عن الكتب السابقة في خبث مقاصدها وسمومها، كتبها مجموعة من المستشرقين أو القسوس المتأسلمين، فبين خطر مثل هذه المترجمات، وكشف ما تهدف إليه من تغريب العالم الإسلامي.

٥ - بقي أن نشير إلى العلاقة الوطيدة بين المتزعم الأدبي للرجل ومنزعه الفكري: فالوحدة العربية والإسلامية فكرة سيطرت على عقل محمد حسين وقلبه، فجاهد من أجلها، واستمر طوال حياته منادياً بها، وخاصة في القسم الثاني من حياته، ولهذه الوحدة صور شتى، والشخصية العربية مظهر من مظاهر هذه الوحدة بين المسلمين، ويعد الأدب العربي القديم، شعره ونثره «هو التراث المشترك الذي تلتقي عنده الشعوب العربية وتفاخر به، فالعناية به وصرف الشباب إليه من أنجح الوسائل لإحياء روح العربية فيهم وإزالة ما أحدث الزمن والظروف من فوارق وحوائل»^(٤٤).

وشأن الأدب بهذا المعنى شأن أي نشاط بشري، فالأدب العربي «واحد من الأنشطة البشرية في المجتمع العربي، خضع لما تخضع له سائر الأنشطة من نواميس، وجرى عليه ما يجري عليها من سنن، احتك بالآداب الأخرى قديماً وحديثاً في السلم وفي الحرب، غازياً أحياناً ومغزواً في أحيان، وأخذ منها وأعطى لها، وجرى الصراع في داخله بين الأصيل والدخيل، ولا يزال يجري في أدبنا المعاصر إلى مستقر

له سوف يبلغه في حين»^(٤٥).

وهذه النظرة الفكرية جعلت محمد حسين يقف موقفاً ملتزماً، يدافع فيه عن الأدب العربي والشعر منه خاصة، ويفند^(٤٦) دعاوى المغرضين، الذين عابوا فيه قافيته، ووحدة البيت فيه، وشعر المناسبات، والخلاصة أن القضية كانت تمثل عند محمد حسين دفاعاً عن التاريخ والأصل والشخصية والقومية وتراث العرب والمسلمين.

كما امتد هذا الموقف الملتزم إلى رفض^(٤٧) ما يسمى بالأدب الشعبي لما ينطوي عليه من فساد يجر إلى إفساد الذوق العام^(٤٨).

والأدب الشعبي - لصفات في طبيعته الفنية وصفات في ذوق محبيه وما يهدف في النهاية إليه - لا قيمة له ولا حاجة لنا به، فحقيقته الأصلية «أنه أدب سطحي بسيط، يغلب عليه الارتجال والعفوية، ويلائم السذج من عامة الناس، ولكنه لا يشبع حاجات المثقفين، وطلاب المعرفة من أصحاب الفكر الرفيع والذوق الصافي الصقيل»^(٤٩)، وهو فن العوام، غير جاد أو هادف ولا يستحق - في نظره - نقداً أو نظراً «فالنقاد غير مكلفين بعفو خواطر البدو والعوام، لأن عفو خواطر العوام لا يصلح إلا للهو أمثالهم من العوام»^(٥٠).

وبالجملة، فنظرة محمد حسين إلى الفن بعامة متمثلة في الأدب، نظرة تكشف عن مذهب الرجل الذي يتطلع إلى الكمال الفني، متمثلاً في الروائع من النصوص، ليس في الشكل وحسب، وإنما فيما تهدف إليه من قيم سامية، تهذب الذوق، وتسمو بالنفس، فالفن في صورته الكاملة الناضجة يهدف إلى ترقية الذوق الساذج المتخلف وثقافته، لا الهبوط بالذوق العام إلى مستوى الأذواق الفجة، التي لم يهذبها الثقيف، باسم الشعبية والواقعية.

وكذلك كان لمحمد حسين موقفه الواضح تجاه المذاهب الأدبية الجديدة، التي نشأت في أوروبا، وصدرت إلى البلدان العربية والإسلامية، مع ما وفد إليها من تيارات فلسفية، واتجاهات فكرية متباينة، فهو يرفض الرومانسية مثلاً لما تقوم عليه من ثورة لا تبقي ولا تذر، فالأدب الرومانسي «أدب نادر بكل معاني هذه الكلمة، نادر على القواعد اللغوية، وعلى القواعد الفنية، وعلى القيم الاجتماعية، وعلى العقائد

الدينية، وعلى النظم السياسية»^(٥١)، فالخطورة التي ينطوي عليها أدب هذا الاتجاه عظيمة الشأن، خاصة إذا ضمت إلى المذاهب والاتجاهات التي نشأت في ذلك المناخ الرومانسي النادر، ذلك «لأنها جميعها تتسم بذلك الطابع الثوري، الذي فتحت الرومانسية بابه، وبالطابع الفردي الذي يهدم الروح الجماعية ويقوض أسس الاستقرار»^(٥٢)، ويلفتنا من النص السابق لفظاً «الثورية، والفردية» اللذان جعلاً محمد حسين يرفض تلك الآداب والمذاهب، التي تتسم بهاتين السمتين، ونستدل منهما على ملامح اتجاه الرجل النقدي بعامة، فرفضه للثورية مثلاً نفهم منه أن اتجاهه يدخل ضمن الاتجاه «المحافظ» في الأدب، الذي يقوم على سد الذرائع، إذا كان مع الوافد الجديد ما يهدم النظام «الكلاسيكي» الذي يمثل التراث العربي على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، أما رفضه «الفردية» فيكشف لنا عن ذلك البعد القومي والجماعي الذي كان ينظر به محمد حسين إلى الأدب، ويعدّه مظهرًا من مظاهر الوحدة بين أفراد الأمة العربية الإسلامية.

ولا يفهم من حديثنا السابق أن محمد حسين باتجاهه المحافظ يقف من التجديد في الأدب العربي موقف العداء، أو أنه يتقوقع حول الأدب العربي، فيحول بينه وبين أن يتنفس هواء جديداً يساعده على الإنشاء والتأثير، ويدفعه إلى الخلود، بل نراه متفهماً ضرورة التجديد في الأدب العربي، لأنه سنة طبيعية في الحياة، لكنه يضع ضوابط لهذا التجديد، فهو مقبول إذا لم يمس الذوق العربي الأصيل، ولا ينفر القارئ من أسلوب الصياغة.

ويمكننا تلخيص ما وافق عليه محمد حسين من «تأثيرات» غربية أو تجديد في أدبنا العربي ممثلاً في أهم فنونه «الشعر»^(٥٣) فيما يأتي:

١ - تقسيم القصيدة إلى فقرات، يصور التخطيط للقصيدة وإدارة معانيها في الفكر قبل الأخذ في كتابتها، والتروية في النظر فيما هو مقبل عليه من معالجتها.

٢ - دخول ألوان جديدة في موضوعات الشعر، كشعر الخرافات على لسان الحيوان، كمثّل الذي استحدثه شوقي، وتأثر فيه بالشاعر الفرنسي «لافونتين».

٣ - التجديد في شكل الأبيات، بما يشبه الموشحات الأندلسية

شخصية متميزة :

لم تكن نظرة محمد حسين إلى الشعر تختلف عما ذكر من نظرة النقاد السابقين^(٥٥)، فالشعر في نظره - كالأدب - يمثل الشخصية العربية، أو أنه صورة من صور هذه الشخصية العربية في جانبها الفني. يقول محمد حسين عن الشعر العربي إننا ورثناه «فتاً عربياً ناضجاً واضح القسّمات، لنا فيه تقاليد عريقة عميقة الجذور، ألّفها الأذان وتشربتها القلوب، ومرنت على سماعها والطرب لها، ثم بعدنا به في شعرنا المعاصر عن أصوله، بعداً يهدد التراث بالدروس، ويهدد أذواقنا بالمسخ والانحراف، ويهدد «شخصيتنا» بالتميع والانطماس»^(٥٦). فاهمية الشعر عنده إذاً ترجع إلى أنه يصور «ذوقاً واحداً أو متشابهاً للجماعة العربية»، وهو مظهر من مظاهر الامتياز والتشابه معاً، فأما الامتياز فإنه بحكم صياغته وأسلوب صناعته وشكله العام، يختلف عن نظيره في الآداب الأجنبية، أما التشابه فلأن كل الشعراء العرب تشابهوا، أو هم اتفقوا بالفعل على هذه الخصائص، التي توجد النظرة الفنية عند التأليف له، وبذلك يكون الشعر العربي، الذي يقوم على هذا النحو من نهج القصيدة وعمود الشعر عاكساً لهذه الشخصية العربية، التي «تقوم على تشابه أذواق العرب وملكاتهم، وهذا التشابه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتراثنا الثقافي العريق وبعمالقة الشعر والأدب بخاصة، الذين سجلوا مثلنا العليا إيجاباً وسلباً في شعر الحماسة والأدب والرياء والهجاء، وفي الخطب وفي الرسائل بمختلف صنوفها، بين ديوانية وإخوانية ووصفية ووعظية وأخلاقية»^(٥٧). وإن كانت هذه نظرة خلقية ذات غاية نفعية من جانب محمد حسين للشعر، فإن هناك نظرة أخرى فنية يمكن أن نلمسها له في الشعر أيضاً، ولكن أصلها عنده، لا يبعد عن النظرة الخلقية السابقة، فما تلك النظرة؟ في ظني^(٥٨) أن الشعر عند محمد حسين فن لغوي في ذاته، وهذا ما يرفعه فوق باقي الفنون الأدبية، ولكن لهذا الفن أسلوباً خاصاً في صناعته، تعارف عليه شعراؤنا القدماء، فهو كصناعة الحياكة والنسيج، التي يدع فيها الصانع المهرة، حتى إذا انتهوا من صناعة الأساليب والأنماط الشعرية، التي يتجهون فيها إلى تصوير مثلهم العليا، ألبسوها من يريدون - الممدوح أو المهجو - وإذا أرادوا خلعوها عنه، فهم لا يمدحون الشخص لنفسه مثلاً، وإنما قالب المدح عندهم جاهز ومعد من

في قوافيها، دون إخلال بالمعنى.

٤ - توزيع جديد للوحدات العروضية المألوفة للأذن العربية.

كما أنه يقف الموقف نفسه من الثقافة العربية بأدبها ومعارفها، إذا «اتصلت» بغيرها من الثقافات الأجنبية عنها، حيث لا نراه يقف موقف الجمود أو الانغلاق، يوصد الأبواب على ثقافتنا، ويقطع كل أسباب الاتصال بينها وبين الثقافة الغربية، بل يسمح بهذا «الاتصال» الذي هو مهم بين الثقافات، ولكن هذه الأهمية لا ترجع إلى الاقتباس من هذه الثقافات الغربية فحسب، بل «المهم في ذلك كله هو أن يكون الاقتباس والتطور على كل حال بالقدر الذي لا ينقلنا عن جيلتنا، ولا يغير حقيقتنا، ولا يقطع صلتنا بالماضي، وبالقدر الذي لا يخشى معه أن يتطور إلى قطع صلة»^(٥٩).

وأول ما يلاحظه المتتبع لفنون الأدب في آثار محمد حسين هو إعلاؤه فن الشعر بخاصة دون الفنون الأدبية الأخرى.

وهذا الموقف يقابله موقف مغاير تجاه بعض فنون الأدب النثرية، أو بمعنى أدق «فنون الموضوعية»، متمثلة في القصة والمسرح. وسناقش هذا الموقف محاولين رده إلى أصله عنده وكشف مسوغاته لديه.

الشعر ديوان العرب، وهو مرآة صادقة تنعكس عليها أخبارهم وعواطفهم، ويحدثنا الشعر بمدى اختلاف بيئاتهم، وأثر هذا الاختلاف في أمزجتهم، وتوجهات العلماء والأدباء فكرياً وفنياً. هذا ما يعرفه علماء الشعر ونقاده قديماً وحديثاً، حتى بعد أن ظهرت في العصر الحديث نظريات جمالية، وشكلانية نصية، حاولت جميعها أن توجه الأنظار إلى ما في الشعر من طاقات إبداعية، لا نعرف أقصدها المبدع أم لم تخطر له على بال؟

والشعر فن لغوي، يعبر عن الأحاسيس والعواطف التي ينفي بها الفرد، ولكنه لا يعكس في الأصل عواطفه الخاصة فحسب، بل يصور لنا صلته بالجماعة، بوصفه كائناً اجتماعياً مصوراً لحياة جماعته وعواطفهم المشتركة، ولأن للشعر قدرة على التأثير، بما يمتاز به من أدوات فنية، فقد أخذت مكانته تثبت في النفوس، وتعلو على مر الأزمان.

٢ - أنه شعر استجداء :

وقد قصد المتهمون للأدب العربي بهذا الاتهام فن المدح، الذي كان يتكسب من ورائه جماعة من شعراء العربية، ويربرر محمد حسين موقف الشعراء هذا قائلاً بأن الشعر في الآداب العربية واليونانية والرومانية، عاش جميعه في كنف البلاط، ضمناً لاستمراره في الحياة «ولم يستقل الشاعر بنفسه إلا بعد ظهور المطبعة والصحافة، التي مكنته من الاعتماد على القراء في كسب رزقة وتحصيل معاشه»، ولم يكتف بنفي التهمة التي وجهت لشعراء المدح أنفسهم، بل رأيناه يعود فيدافع عن فن المدح نفسه، حيث إنه يصور قيصراً إنسانية رفيعة يعجب بها العرب، (و غاية ما في الأمر أنه ينسب هذه القيم الرفيعة للممدوح، وقد لا يكون منها في قليل أو كثير، فهذا الشعر في لبه وفي صميمه شعر حماسة، أروع ما تكون الحماسة، وكله تصوير للمثل العربية العليا، التي نحن الآن أحوج ما نكون إلى بثها في شبابنا) (٦٣).

٣ - وحدة البيت في الشعر العربي :

وقد رد على من هاجم في الشعر العربي وحدة بيته، والتي رأوا أنها سبب تفكك القصيدة العربية.

وقد أرجع سبب وحدة البيت في الشعر العربي إلى أنه «شيء قد اقتضاه نظام القصيدة العربية من ناحية، ودعا إليه تصور العرب لوظيفة الشعر والشاعر من ناحية أخرى، فالقصيدة العربية مقلقة، وتذوق القافية والإحساس برنينها يستلزم وقفة قصيرة عقب كل بيت، لذلك استحسّن العرب أن يكون ذلك موافقاً للفراغ من معنى جزئي يحسن عنده السكوت» (٦٤).

وهو يخلص في النهاية إلى أن ما رماه أعداء العربية في أدبها من عيب في وحدة البيت، ليس بعيب، بل هو للمتذوق يصنع شيئاً من الجمال، فإفراد كل بيت واستقلاله، يجعل الأبيات كحبات العقد المفصلة (لكل حبة منها جمالها مفردة، ولكن اجتماع بعضها إلى بعض، ينشئ لوناً من الجمال هو جمال التوافق والانسجام والنظام) (٦٥)، على أنا نقرر أن

ذي قبل، فالفن إذاً صناعتهم، ويضرب مثلاً بشعر الهجاء الذي ينصرف فيه الشاعر إلى تصوير مثله الأعلى (٥٩) ولكن بطريق سلبية.

وتلك نظرة خلقية يمكن ربطها بأراء من قالوا إن إعجاز العرب محصور في اللغة وكمالها ونضجها عندهم، وقد دفعه موقفه هذا من الشعر العربي إلى أن يوقف نفسه له، دافعاً عنه شتى المغامز التي غمزها بها بعض المغرضين على الأدب العربي - كما سألين - ولكن أقف هنا وقفة متأنية، أحاول بها توسيع دائرة ظني وترجيحي للأسباب المعقولة التي دفعت محمد حسين للحديث عن فكرة تشابه الأغماط الشعرية عند الجاهليين، فإذا كان طه حسين قد اتخذ من هذا التشابه نفسه دليلاً على نحل الشعر من قبل الرواة (٦٠) المتأخرين، فلإني أرجح أن بحث محمد حسين في هذا الموضوع يعد رداً على أستاذه، وذلك بتأكيد فكرة التشابه هذه، وأنها كانت متحركة في نهج القصيدة العربية عند الجاهليين، فلا يستحق الأمر بعد ذلك من أن يسخر طه حسين من تشابه أغماطهم الشعرية، فهكذا كان دأبهم في التأليف الشعري.

وبعد فلنعد إلى تبيان أهم القضايا التي دافع فيها محمد حسين عن الأدب العربي، ويمكننا تلخيص دفاعه عن الأدب العربي - متمثلاً في الشعر - فيما يأتي :

١ - أنه شعر مناسبات :

وقد رد محمد حسين هذه الشبهة بما يفيد أنه أديب من دعاة الوحدة، ومن يحرصون على وجوب التجمع، الذي هو سبب القوة، لأن الفرقة ضعف، وذلك مفهوم إسلامي صرف، أمر به الله سبحانه وتعالى وحث عليه الرسول ﷺ (٦١)، وهو في رده هذا المغمز، ينعى على الأوروبيين في آدابهم تلك الفردية والانطوائية، أما في الأدب العربي فالأمر يختلف حيث تظهر فيه روح الجماعة والاتحاد، فالواقع أن مشاركة الشاعر في المناسبات هي مظهر من مظاهر ارتباطه بالجماعة وتجاوبه معها، وأنه لا يرى الخير إلا ما شمل الصحب والوطن، كما قال الشاعر العربي القديم :

فلا هطلت علي ولا بأرضي

سحائب ليس تنتظم البلاداً (٦٢)

الهوامش :

- (١) (أ) مجموعة البحوث التي قدمت أثناء انعقاد ندوة محمد حسين العلمية في قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية في الفترة ما بين الرابع والعشرين والخامس والعشرين من ديسمبر - كانون أول لعام ١٩٨٣ م. وتشمل على ثلاثة عشر بحثاً، تناول فيها أصحابها جهود محمد حسين الفكرية، عدا بحثين أحدهما للدكتور محمد زكي العشماوي، والآخر للدكتور محمد زكريا غناني، حيث تناول الجانب الأدبي والنقدي في جهود الرجل، وسيأتي ذكر بعض أسماء هذه البحوث لاحقاً. والعجيب أنها نشرت جميعاً تحت عنوان «موقف الدكتور محمد محمد حسين من الحركات الهدامة». ت. د. إبراهيم محمد إسماعيل عوضين - مؤسسة الرسالة - بيروت عام ١٩٨٥ م.
- (ب) عليان بن دخيل الله الحازمي «محمد حسين وآثاره الفكرية والأدبية» رسالة ماجستير مخطوطة - كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٧ هـ.
- (٢) نشر بعد وفاته عام ١٩٨٨ م بمؤسسة الرسالة - بيروت، ومن أهم أبحاثه بحث بعنوان «أثر الأدب الغربي في أدبنا العربي المعاصر»، وهو آخر ما كتبه محمد حسين ومات دون أن ينشره.
- (٣) (أ) الأعشى، صناجة العرب «رسالة ماجستير مخطوطة»، المقدمة ١٩٤٠ م.
- (ب) الهجاء والهجاءون في الجاهلية - الطبعة الأولى ١٩٤٧ م، القاهرة، مكتبة الآداب، ص ٧ وما بعدها حيث تحدث بشئ من الحرية عن بعض الصحابة كالسيدة عائشة وعلي وعثمان رضي الله عنهم جميعاً.
- (ج) ديوان الأعشى، الطبعة الأولى ١٩٥٠ م، طبع في القاهرة، المقدمة.
- (٤) أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين، طبعة ١٩٧٢ - بيروت، المقدمة، الحاشية.
- (٥) الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام، طبعة ١٩٦٩، بيروت.
- (٦) وهو تقرير في ست صفحات، لخص فيه محمد حسين العقبات التي تحول دون تدقيق الأدب العربي والإقبال على التراث العربي في نقاط أربع.
- (٧) تراجع ظروف تأليفه كتاب «الاتجاهات الوطنية» حين كتبها بقلمه، ضمن أوراقه الخاصة بمكتبه.
- (٨) ضمن أوراقه الخاصة بمكتبه الخاص في منزله برمل الإسكندرية.
- (٩) راجع الإحالة رقم (١).

محمد حسين لا ينفي وجود نوع من الوحدة يشد أبيات القصيدة بعضها إلى بعض، وسبب هذه الوحدة هي «العاطفة» التي تتوافر لدى بعض من فحول الشعر العربي، ففي قصائدهم وحدة عاطفية (تتلاءم فيها المقدمة الغزلية أو الطللية مع موضوعها تلاؤماً يُشعر القارئ منذ البيت الأول فيها بحال الشاعر، وبما هو مقدم على تناوله من معان) (٦٦).

٤ - القافية :

ولم تسلم قافية الشعر العربي من اتهامات المتقصرين من قدر الأدب العربي، ممن فتنوا بالآداب الغربية، ويريدون أن يحملوا أدبنا عليه، فعاثوا على الشعر العربي نظام القافية فيه ووحدتها، التي يرون أنها تقيد الخيال والصور والمعاني عند الشعراء، وقد وقف محمد حسين من تلك القضية موقفه من سابقتها، قائلاً: (إن نظام القافية في البيت هو على التحقيق كمال «في انسجام» النغم ورصف الألفاظ وتنسيق الصور. وقد جمع شعراء العرب في مختلف عصوره بينها وبين خصب الخيال ودقة المعنى وروعة الأسلوب» (٦٧)، وهو بذلك لا يرد القصور الذي يعيب القصيدة إلى نظام القصيدة نفسها، بل العيب في رأيه يرجع إلى الفنان ذاته، الذي لا يحسن الملاءمة بين عناصر القصيدة ونظامها في الشكل والمضمون.

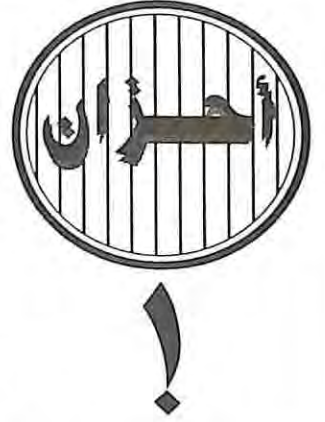
كان هذا موقف محمد حسين من الشعر العربي وقضاياها الموضوعية والفنية، التي حاول بها بعض أعداء العربية أن يشوهوا معالمة ويمسخوا هويته العربية.

فالشعر عنده يعبر عن الوحدة، والتواصل بين الموروث الحضاري والقومي، وبين الحاضر بكل متغيراته، ولذلك اتخذ مكانته في نفسه وفي آثاره، بينما كان للشعر مكانته الثانية بعد الشعر.

كان هذا عرضاً موجزاً لبعض أهم جوانب الرجل الفكرية والأدبية التي رأينا جدارتها بالبحث والدرس، ونعود لنؤكد أن محمد حسين في النهاية واحد ممن أخلصوا الجهد والعطاء طيلة حياته العلمية، وهو إحدى حبات عقد ينتظم في سلكه كثير ممن هم على شاكلته الفكرية من فكر مستنير والتزام إسلامي، وهو عقد يزين جيد أمتنا الإسلامية المترامية الأطراف شرقاً وغرباً.

- (١٠) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - ج ١، «مقدمة الطبعة الأولى»، ص. ز. س ١١، مكتبة الآداب - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٦٢.
- (١١) المصدر السابق، ص ٦٥.
- (١٢) مقالات في الأدب واللغة «فقه اللغة العربية بين الأصالة والتغريب»، ص ٦٤ س ٦، كذلك يراجع بحثه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودفاعه عن دعواته بالكتاب نفسه.
- (١٣) الاتجاهات الوطنية - ج ٢ - الفصل الرابع، «دعوات هدامة»، ص ٣٧٥، وراجع أيضاً: «اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر»، ج ١ - سبيل المسلمين بالإسكندرية ١٩٦١ / ١٩٦٢ م.
- (١٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤٧.
- (١٥) مقالات في الأدب واللغة، ص ٦٤-٦٥ وما بعدها، «فقه اللغة بين الأصالة والتغريب»، وأيضاً يراجع بحثاً «الدكتور محمد محمد حسين، وحركة الترجمة في العصر الحديث»، د. محمد مصطفى هدار، «خصوصيات الدكتور محمد محمد حسين في سبيل الدين واللغة»، د. طاهر سليمان حموده.
- (١٦) الإسلام والحضارة الغربية، ص ١٠٤-١٠٥، مقالات في الأدب واللغة، ص ٦٥.
- (١٧) مقالات في الأدب واللغة، ص ٥٤ س ١٩ «تطوير قواعد اللغة العربية».
- (١٨) في النقد الإسلامي المعاصر، د. عماد الدين خليل بتصرف، ص ١٣٦، ١٤٣، وراجع أيضاً كتاب «منهج الفن الإسلامي»، أ. محمد قطب، ص ٤٦ وما بعدها.
- (١٩) محمد محمد حسين حياته وأثاره الفكرية والأدبية «رسالة ماجستير»، ص ٦٣٤.
- (٢٠) الإسلام والحضارة الغربية، ص ١٠٥ س ٢.
- (٢١) مقالات في الأدب واللغة، ص ٦٥ س ٥ «فقه اللغة العربية بين الأصالة والتغريب».
- (٢٢) المصدر السابق، ص ٥٥ س ٣.
- (٢٣) في علم النفس، تأليف د. حامد عبد القادر، محمد عطية الأبراشي، ج ٢ - ص ١٣٨.
- (٢٤) تذوق الأدب طرقه ووسائله، تأليف د. محمود ذهني، ص ٤٦ وما بعدها.
- (٢٥) «منهج البحث في تاريخ الآداب - بقلم لانسون - ترجمة د.
- محمد مندور، مطبوع مع «النقد المنهجي عند العرب»، ص ٤٠٠، د. ت.
- (٢٦) الاتجاهات الوطنية - ج ١ - ص ٧.
- (٢٧) المصدر السابق - ج ١ - ص ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، وشبيه بذلك حسه في إدراك تحول سياسة «عباس» من الوطنية والباب العالي، والسلطان عبد الحميد إلى سياسة أخرى اتسمت بجشعه في جمع الأموال، الاتجاهات - ج ١ - ص ١٧١ - ١٧٣.
- (٢٨) الإسلام والحضارة الغربية، الفصل الثامن، ص ١٩٥، ومن ذلك الاستقصاء الجزئي في استقراء التصوص، تتبعه صحف العصر على مدى شهور - الاتجاهات الوطنية - ج ٢ - ص ٣٥ بالخاصية.
- (٢٩) المنطق ومناهج "حث، د. محمد الشنطي، ص ٨٩.
- (٣٠) الإسلام والحضارة الغربية، ص ١٦٨، ١٦٩.
- (٣١) الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص ١٦، ١٧.
- (٣٢) الاتجاهات الوطنية، ج ١، ص ٥٠.
- (٣٣) المصدر السابق - ج ١ - ص ٢٣٥، ٢٣٦، ويراجع أيضاً في ص ٢٤٤، وما بعدها صدى حركة الإصلاح في مصر «ثلاث دعوات».
- (٣٤) منهج الفن الإسلامي، تأليف محمد قطب، ص ١٣، دار الشروق، ط ٥، ١٩٨١ م / ١٤٠١ هـ.
- (٣٥) في النقد الإسلامي المعاصر، تأليف د. عماد الدين خليل، ص ١١٧، الرسالة - بيروت، ط ١، ١٩٧٢ م.
- (٣٦) الدكتور محمد محمد حسين في «الاتجاهات الوطنية» بحث بقلم د. أحمد ماهر البقري.
- (٣٧) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفتش - أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بكلية الدراسات الإسلامية في سراييفو - يوغسلافيا.
- (٣٨) الاتجاهات الوطنية - ج ٢ - ص ١٨٢، وما بعدها، ويراجع بحث د. محمد حسين عواد «الدكتور محمد محمد حسين والدفاع عن قضايا الإسلام»، د. عثمان سليمان موافي «موقف د. محمد محمد حسين من قضية الصراع بين القديم والجديد».
- (٣٩) المصدر السابق - ج ٢ - ص ٢٤٥.
- (٤٠) المصدر السابق - ج ٢ - ص ٢٤٦، وما يد على ذكائه أيضاً في هذا الصدد ما ذكره مستدلاً بحجج نقلية وأخرى عقلية لتفسير آية العدل مع النساء في القرآن الكريم، ص ٢٧٨ بالخاصية.
- (٤١) الاتجاهات الوطنية - ج ٢ - الحاشية (٢) ص ٨٦، ويمكننا تبرير

- (٥٤) صنع الشيخ «علي عبدالرازق» بيسر إذا علمنا أنه أزهرى، فمن لوازم أسلوب الأزهرين في الكتابة الإكثار من الصلاة والسلام بإزاء كل موضوع يذكر فيه اسم الرسول.
- (٤٢) المصدر السابق - ج ٢ - ص ١٣٥.
- (٤٣) د. محمد حسين وحركة الترجمة في العصر الحديث، بحث بقلم د. محمد مصطفى هدار.
- (٤٤) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٢٤٣-٢٤٤، ص ٢٤، ويتلقى محمد حسين في هذه النظرة للفن والأدب بخاصة مع أرست فيشر، الذي يرى «أن الفن هو الأداة اللازمة لإتمام هذا الاندماج بين الفرد والمجموع، الفن الاشتراكي، ترجمة أسعد حليم، ص ١٨، كتاب الهلال، عدد ١٨٣، يونيو ١٩٦٦.
- (٤٥) مقالات في الأدب واللغة «أثر الأدب الغربي في أدبنا المعاصر»، ص ١٩ س ١٠.
- (٤٦) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٢٣٢-٢٣٥، مقالات في الأدب واللغة، ص ٤٠.
- (٤٧) يمكننا القول أن نظرة محمد حسين الفكرية للأدب تجعله ضد ما يسمى «بإقليمية الأدب» أو الأدب الإقليمي.
- (٤٨) الخوف على الذوق العربي أيضاً ساعد محمد حسين على أن يعد الأدب من مظاهر الوحدة، فالأدب العربي إلى جانب القدر المشترك من الثقافة العربية هما اللذان يكونان (القدر المشترك من الذوق، ومن التفكير الذي لا تفاهم ولا تواصل لغيره)، الاتجاهات الوطنية - ج ٢ - ص ٣٦٣-٣٦٤، وقد سبق القول أنه مما يؤكد نظريته للأدب كمظهر من مظاهر الوحدة تقريره الذي رفعه إلى اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ تحت عنوان «تدريس الأدب العربي وإمكان استغلاله في تقوية الرابطة بين أم الجامعة العربية».
- (٤٩) أزمة العصر، ص ٢٥٧ س ١٠.
- (٥٠) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٢٤٠ س ١٥، ١٠، ويمكننا في معرض هذا الفصل أن نصف مطمئتين - محمد حسين ضمن أنصار مدرسة الفن «الهادف» أو الملتزم أو الموجه، وهو بذلك بعيد عما يعرف بنظرية الفن للفن، ويراجع أيضاً «حصوننا مهددة من داخلها»، ص ١٥١.
- (٥١) مقالات في الأدب واللغة «أثر الأدب الغربي في أدبنا العربي المعاصر».
- (٥٢) المصدر السابق، ص ٢٦ س ١٨، «البحث السابق».
- (٥٣) المصدر السابق، ص ٣٣-٣٦.
- (٥٤) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٢٣٠ - ٢٣١ س ٢٣.
- (٥٥) أعتقد أن المقام لا يسمح بالإحالة إلى المصادر العربية والأجنبية القديمة، والمراجع الحديثة التي تؤيد تلك النظرة، فهي في معظمها تفيض بجمل من التعريفات للشعر لا تخرج عن ذلك المعنى.
- (٥٦) مقالات في الأدب واللغة «أثر الأدب الغربي في أدبنا المعاصر»، ص ٢٣.
- (٥٧) حصوننا مهددة، ص ١٦٨، ١٦٩ س ٢٧، ويراجع أيضاً «الإسلام والحضارة الغربية»، ص ٢٢٤، ٢٢٥.
- (٥٨) بنيت رأيي هذا على بحث محمد حسين «أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين»، وما قاله في كتاب «الإسلام والحضارة الغربية»، ص ٢٣٤.
- (٥٩) الهجاء والهجاءون في الجاهلية، ص ١٩، ٢٠، ويراجع أيضاً «الإسلام والحضارة الغربية»، ص ٢٣٤.
- (٦٠) الأدب الجاهلي، د. طه حسين، ص ١٦٨ وما بعدها.
- (٦١) الشواهد من القرآن والسنة على ذلك المعنى كثيرة، وفي ظني أن محمد حسين قد انطلق في مفهومه إلى القومية العربية الإسلامية وحتمية الوحدة بين أفرادها من منطلق هذه الشواهد، مثل قوله تعالى في آل عمران - الآية (١٠٣): «وراعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»، وقول الرسول ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وترحمهم كمثل الجسد الواحد... إلى آخر الحديث).
- (٦٢) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٢٣٣ س ١٦، مقالات في الأدب واللغة، ص ٤٠، والبيت للمعري.
- (٦٣) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٢٣٤ س ٦.
- (٦٤) المصدر السابق، ص ٢٣٥ س ١٣، مقالات في الأدب واللغة، ص ٤٠.
- (٦٥) المصدر السابق، ص ٢٣٦ س ٣.
- (٦٦) مقالات في الأدب واللغة، «أثر الأدب الغربي في أدبنا العربي المعاصر»، ص ٤٠ س ١٠، ويراجع اهتمامه بوحدة القصيدة العضوية في معرض نقده حماسة أبي تمام، «الهجاء والهجاءون في الجاهلية»، ص ٧.
- (٦٧) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٢٣٣ س ٦ - وتراجع الأهمية الجمالية والدلالية للقفية في القصيدة في كتاب نظرية الأدب: رينيه ويليك، ص ٢٠٨، ٢٠٩، وهو ما يؤكد رأي محمد حسين في هذا الصدد.



بقلم / عنتر مخيمر

كان يوشك أن يغلبه النعاس ، حين تعالت من خارج مسكنه زغردة صاخبة ،
تضج بفرحة غامرة .. طار النوم من عينيه ..
تلمل في مقعده ..
النتيجة .. بالتأكيد هي .

ماذا يقول لها؟!
مهمته ثانية :
- نتيجة الثانوية يا حاج .
ثم راحت في نشيج فاجع مكتوم .
أغمض عينيه .
تنهد ملتاعاً متحسراً .
آه .. هو أيضاً يريد أن يبكي .. أن يصرخ من أعماقه
عالياً .
ارتعشت شفتاه في استعطاف :
- ستذهب لترى النتيجة؟ .. أليس كذلك؟
شمّلها بنظرة هالعة .
النتيجة؟! .. هل يقدر؟ .. مستحيل .. وأيضاً ما
الفائدة؟ .. الأحلام الزاهية تمزقت .. صرح الآمال
الشامخ تهدم .. وأصبحت أيامه - ليلاً ونهاراً - ظلمة
حالكة .
ترقرقت الدموع في مقلتيه .
أبصرت زوجته دموعه الحبيسة ، فاجتاحتها نوبة بكاء
حارقة .
النتيجة؟ .. يا للحسرة .. حتماً ستكون باهرة .
الكل كانوا يتحدثون بإعجاب عن نبوغها .. بل كانت أمل
مدرستها في نتيجة تفتخر بها .. من الصغر ونتائج
امتحاناتها رائعة .. الأولى دائماً ..
تلاحقت الذكريات .
صورتها مازالت ماثلة في خياله ، وهي تحدّثه عن آمالها .
أعدك يا أبي .. لن تفلت كلية الطب من يدي ! وبعد أعوام
سرعان ما ستنتهي .. سترتفع على واجهة بيتنا لافتة

برق في خياله وجهها ، فهاجت أحزانه ، وأتقد خاطه .
اليوم كان يمكن أن يكون يوم سطوع نجمها .. أما أمها
فكان يمكن أن تطلق هي الأخرى زغاريداً ، وكان
سيصرخ فيها وهو يغالب عواطفه .. يا امرأة اعقلي!
فتهتف والفرحة تهز أعطافها .. دعنا نفرح يا حاج .. هل
لنا غيرها؟ .. الدنيا - اليوم - لا تسع فرحتي .
مزقت سمعه زغردة ثانية .
ارتجح حتى الأعماق .. تندت عيناه بدموع حبيسة .
ستتوالى الزغاريد .. تدوي في سمعه .. تنكأ جرحه
الغائر .
أشعل لفافة بيد ترتعش ، وفي غم وكآبة جعل ينثف
دخانها .
بعد لحظات مدّ بصره إلى غرفة النوم ، من خلال بابها
المفتوح ، أبصر زوجته على الفراش ، تدفن وجهها في
حجرها .
لا بد أنها تبكي ، ستموت حزناً .
علا نحيب قلبه .
أبصر زوجته تنهض من فراشها ، ثم تجرّ قدميها إليه .
احتضنها بعينيه ، والأسى يغمره .
راعه الشحوب الذي كسا وجهها .
الأحزان تعصرها ، في أيام أصبحت وكأنها حطام آدمي .
تهالكت على مقعد بجانبه .
وبعد أن هدأت أنفاسها همست في صوت واهن :
- سمعت يا حاج ؟
ارتجفت شفتاه .. احتقن وجهه .. بلغ عذابه منتهاه .
سحق لفافته في المنفضة .

الأدب الإسلامي المقارن

للدكتور / الطاهر أحمد مكي

عرض / د. سمير عبد الحميد إبراهيم

صدرت الطبعة الأولى من كتاب «مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن» للدكتور / الطاهر أحمد مكي عن دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالقاهرة.

عرض المؤلف مفهوم الأدب المقارن، الذي يعنيه في دراسته، فذكر أن من الخطأ في مفهوم الأدب المقارن أن نفهم من الأدب الإسلامي ما كتبه عرب حول قضايا إسلامية، وإنما هو الذي أبدعه مسلمون أيًا كانوا، وأيًا كانت لغتهم، فقد وحد الإسلام بين قلوبهم، وأقام فيهم رابطة فكرية قوية، أقوى من أية رابطة أخرى، وأذاب قدرًا من التباين الفكري الذي يباعد بين الجماعات، ووحد مصادرهم الثقافية، وبالتالي فإن رد أفعالهم تجاه مشكلات الحياة يجيء متقاربًا إن لم يكن واحدًا.

وهكذا تناول الدكتور الطاهر أحمد مكي الأدب العربي، وذكر أنه يعني به كل ما كتب في اللغة العربية على أي أرض، ومهما كانت جنسية كاتبه، ثم تناول بعد ذلك الأدب الفارسي، والأدب التركي، والأدب الأوربي، والأدب الإفريقي (السواحلي، والهوسا)، والأدب الأندونيسي، والأدب الألباني... ثم ناقش الموروث الديني المشترك، وأوضح الأخذ والعطاء بين الآداب، ثم المأثورات الشعبية، ونماذج منها في آداب الشعوب الإسلامية المختلفة، وجعل منها أمثلة لنقط التلاقى بين آداب هذه الشعوب، ذات اللغات المختلفة، تصلح مجالاً للأدب المقارن.

ولس المؤلف نقطة حساسة لدينا جميعاً حين قال: «أما شعوب العالم الإسلامي فمعرفتنا بها لاشئ، وأما آدابها فلا نعرف منها إلا قشوراً...».

كبيرة، مكتوب عليها بخط جميل... الدكتور هدى علي... ومن يدري... ربما يحالفني الحظ فأصبح أستاذة بكلية الطب... لا شئ مستحيل... وأنت تعرف ابتك... ذكاء وإرادة صارمة... وإن شاء الله سأخصص في طب الأطفال... ما رأيك يا أبي؟... أليس أفضل تخصص للمرأة كطبيبة؟... سأثبت أن تفوق الرجال على النساء في مهنة الطب خرافة أطلقها رجل.

فجأة... أتقادت في خياله ذكرى اليوم المشؤوم.

هدى في عيادة الطبيب... تتلوى من شدة الألم.

- لابد من عملية عاجلة.

صاح هو في دهشة بالغة...

- عملية؟!... هكذا فجأة؟!!

ويرد الطبيب في هدوء وثقة:

- لا تخف... إنها الزائدة.

وكانت المأساة... وقعت الفاجعة... يا لهول ما جرى...

الأمل الوحيد في دنياه الكالحة... الشباب والحيوية جسد ملفوف... جثة هامدة.

أما تصرخ مفجوعة مولولة... وهو في ذهول... مذعور

لا ينطق، فقد أخرسته المفاجأة.

وفي المقابر - قبل دفنها - أما تصرخ في جنون... دعوني

... دعوني أدفن معها... من لي بعدها... أما هو فقد

ألقى نفسه في حضن شقيقه باكيةً مهتماً.

- لابد أن تذهب يا حاج.

قالتها في إصرار.

أفاق هو من جحيم ذكرياته.

غاصت عيناه في وجهها الذابل.

هو أيضاً توججه الرغبة العارمة نفسها... أن يعرف ما

انتهى إليه نبوغها.

صاحت من بين دموعها...

- ماذا قلت يا حاج؟!!

تأوه قائلاً:

- سأذهب يا حاجة... طبعاً سأذهب.

وقام من مكانه في إعياء... ثم بعيداً عن عينيها أطلق

العنان لدموعه الحبيسة والبكاء المكتوم في داخله، وهو

يدعو الله أن يلهمه الصبر.

ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا لأكثر من مجلد، وهي ترجمة مصحوبة بدراسة قيمة، وتعليقات مفيدة، وفي الأدب التركي لم تقع يده على الكتاب القيم لمحمد هريدي بعنوان (الأدب التركي الإسلامي)، كما رجع إلى القليل مما كتبه د. حسين نجيب المصري، والدكتور المصري له دراسات قيمة في الأدب الإسلامي المقارن، طبعت في مصر، وتخدم موضوع الكتاب إلى أقصى حد، كما رجع إلى ما كتبه د. محمد سعيد جمال الدين في الأدب المقارن، دراسة تطبيقية في الأدبين العربي والفارسي، ودراسات في تاريخ المغول، ولكن د. مكي أشار إلى مؤلف آخر وهو رسالة الخلود «جاويد خان» التي درسها د. محمد سعيد جمال الدين وقام بترجمتها للعربية أيضاً (ص ٣٧٢).

مقارنة أدبية:

وراح د. مكي يتحدث عن رسالة الخلود لإقبال، ويقارن بينها وبين ما جاء في الأدب العربي، ويعدّها من الأدب الأردّي، والحقيقة خلاف ذلك، فرسالة الخلود أو جاويد نامه التي ترجمها أيضاً د. حسين مجيب المصري، هي من الأدب الفارسي، ومحمد إقبال كتب شعراً بالفارسية وشعراً بالأردية، ويبدو أن المصادر لم تسعف أستاذنا الدكتور مكي ليقف على هذه الحقيقة، وقد كتب د. عزام عن إقبال ومؤلفاته، وكتابه مطبوع في القاهرة، وجدير بأن يعاد نشره مرة أخرى.

وأتمنى أن يهتم أستاذنا في الطبعة الثانية بالأدب العربي في شبه القارة الهندية الباكستانية، وأن يلفت إليه أنظار المهتمين بدراسة الأدب العربي، ويقوم الآن أحد أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهو الدكتور محمد ابن عبدالرحمن الربيع بدراسة أدب المهجر الشرقي، الأدب العربي في الهند وفي ماليزيا واندونيسيا وغيرها، وسيصدر بحثه قريباً، كما أتمنى أن يهتم أستاذنا بالأجزاء التي صدرت ضمن سلسلة آداب الشعوب الإسلامية هنا في الرياض عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ضمن خطة تنفذها عمادة البحث العلمي بالجامعة منذ أكثر من عشر سنوات، وقد صدر المجلد الأول بعنوان «الأدب التركي الإسلامي» للدكتور



د. الطاهر مكي



غلاف الكتاب

ثم يعترف المؤلف الفاضل أنه لم يكن يدرك أن الآداب الإسلامية تنطوي على كل هذا القدر من الرونق والبهاء، ومن التشابه في الظواهر، وتقارب الحركات، والأخذ والعطاء فيما بينها، ظاهراً أحياناً وخفياً في كثير من الأحيان.. . وحقاً كانت محاولة الدكتور مكي المحاولة الأولى التي لم تسبق على النحو الذي جاءت فيه، وكان مُحققاً حين ذكر أنه بحاجة إلى فريق أو مؤسسة تضطلع بهذا العمل الملح والضروري، وبارك الله في حركة الدكتور مكي؛ لأنه أضاء مشعلاً في سرداب مظلم، ليدخل فيه كل من يريد كشف كنوز الأدب الإسلامي.

والنقطة الحساسة الثانية التي لمسها المؤلف كانت في كشفه للتمييز الظاهر في المصادر الأجنبية على اختلافها، إذ أهملت هذه المصادر أدباء المسلمين كلية، أو مرت بهم مروراً سريعاً، على حين ركزت على أدباء غير مسلمين، كتبوا أدباً بلغة هذا البلد المسلم، واهتموا بهم اهتماماً لا يستحقونه.

وينوي المؤلف أن يقدم عملاً آخر موازياً لعمله هذا، يتضمن نصوصاً أدبية مختلفة، مترجمة إلى العربية، وإلى كل لغات العالم الإسلامي، كما ينوي أن يضيف ويعدل في الطبعات القادمة إن شاء الله.

مصدر إسلامي:

ولعل أستاذنا الدكتور مكي اكتفى أثناء كتابة هذا «المصدر» الرائع من مصادر الأدب الإسلامي، بالمراجع والمصادر التي تيسرت له في القاهرة، وبخاصة العربية منها، أو بعضها، فقد رجع مثلاً إلى (جلال الدين الرومي: المثنوي المجلد الأول ترجمة كفا في طبعة بيروت ١٩٦٦م)، وترك

أغنية في زمن الانكسار

شعر: د. مأمون فريز جرار*

أيا زمن الموت والاندثار
ويا زمن الانكسار
تمرّس تاريخنا بالبلايا
ولكننا بعد كل انهيار
نشق الظلام ببركان نار
أذكر يوم أسال الفرنجة في حرم القدس أنهار دم
وطاف على شرقنا المبتلى غيوم الألم
وكانت سيوف بني الشرق مغروزة في القلوب
وداحس سابحة في دمانا
وفي لحنا ذكريات البسوس؟
ولكننا من رماد الهزيمة نصنع معراجنا
وفي أنهر الدم نغسل عصر الذنوب
ونغرق شمس الغروب
وفي حلقة الليل تولد أعمارنا
وينهض فجر جديد
أيا زمن الموت والاندثار
ويا زمن الانكسار
تمرّس تاريخنا بالبلايا
ولكننا بعد كل انهيار

* شاعر وناقد أردني، له عدة دواوين منها: (القدس تصرخ)، (قصائد للفجر الآتي)، وهو رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن.

الأدب الإسلامي المقارن

محمد هريدي، والمجلد الثاني عن «الأدب الأردني الإسلامي» للدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، ويصدر خلال أشهر المجلد الثالث «الأدب الأفغاني الإسلامي» (البشتو) للدكتور أمان الله صافي، وكذلك «الأدب الأندونيسي الإسلامي»، و«أدب الهوسا»... وهكذا.

وقد جاء مخطط هذا المشروع في محاضرة ألقاها الدكتور محمد الربيع عميد البحث العلمي الأسبق بعنوان: «من آداب الشعوب الإسلامية»، وطبعت المحاضرة هذا العام وصدرت عن نادي القصيم الأدبي، ورغم صفحات الكتاب القليلة (مائة صفحة)، فإنه يلقي الضوء على فكرة آداب الشعوب الإسلامية، المصطلح، مصادر البحث، الأدب الفارسي، التركي، الأردني، السواحلي، الأندونيسي، مع نماذج مختارة من كل أدب، بالإضافة إلى إحالات وهوامش مهمة، ثم قائمة ببيوجرافية تضمنت معظم ما كتب بالعربية عن موضوعات تهتم كل من يبحث في موضوع الأدب الإسلامي، والأدب الإسلامي المقارن.

كما أن رابطة الأدب الإسلامي العالمية تهتم هذه الأيام بترجمة نصوص إبداعية من آداب الشعوب الإسلامية: من العربية إلى الأردية أو التركية أو غيرها والعكس، وتصدر مجلات فصلية باللغات المختلفة تعنى بالأدب الإسلامي، كما تصدر الرابطة بعض الكتب الأدبية في المجال نفسه. وقد أعلنت عن مسابقة أدبية في مجال ترجمة النصوص الإبداعية لآداب الشعوب الإسلامية.

كل هذا يضع أمام أستاذنا في المستقبل نماذج مترجمة إلى العربية من آداب الشعوب الإسلامية الناطقة بغير العربية: شعراً ونثراً، قصة ورواية، وما إلى ذلك من فنون الأدب وأنماطه.

وأستاذنا من موقعه يستطيع أن يبحث القائمين على الدراسات العليا في أقسام الدراسات الشرقية واللغات والترجمة ليوجهوا طلاب الماجستير والدكتوراه إلى الاهتمام بترجمة نماذج أدبية ودراساتها كل في تخصصه تخدم الهدف الذي أعلن عنه في مقدمة كتابه الرائع.

نشقُ الظلامَ بيران نارُ

أتذكرُ يومَ أسالَ الفرنجةُ في حرمِ القدس أنهارَ دمٍ

وطافَ على شرقنا المبتلى غيومُ الألمِ

وكانت سيوفُ بني الشرقِ مغرورةً في القلوبِ

وداحسُ سابحةً في دماناً

وفي لحمننا ذكرياتُ البسوسِ؟

ولكننا من رمادِ الهزيمة نصنعُ معراجنا

وفي أنهرِ الدمِ نغسلُ عصرَ الذنوبِ

ونغرقُ شمسَ الغروبِ

وفي حلقةِ الليلِ تولدُ أعمارنا

وينهضُ فجرٌ جديدٌ

نغني لمجدك يا سيفَ زنكي ..

وإن غاله عبدكُ القرمطي

ففي حلب كان ميعادُ حلمك يقتلهُ الأشقياءُ

ويحملُ محمودُ .. سيفك ينهضُ عبرَ

دمشق إلى بابِ مصرَ

يلبي النداءُ

يشقُ الطريقَ إلى حرمِ القدسِ بحسبِ من

دمننا ذكرياتِ الهزيمةِ

يخطُّ على المنبرِ الوعدُ :

إنّا إلى قدسنا قادمونُ

وإن طال دربُ

فها منبرُ الوعدِ في كلِّ معركةٍ يتقدّمُ نحوك عمرا

ويولدُ في الزمنِ الصعبِ .. يوسفُ ..

يولدُ فجر .. صلاح ..

لنا موعدُ فيك يا سهلَ حطينَ

يا «عينَ جالوت» ميعادنا يتجددُ في كلِّ عصرِ

ويا سورَ «عكا» على قدميك تكسرُ موجُ الغزاةِ

ويولدُ فجرك يا «قدس» .. يرحلُ ليلُ البغاةِ

وينحسرُ الليلُ والحقْدُ عن صخرةِ «القدس»

.. يغسلُها الطيبونُ!

سنون .. سنون

مضت يخنقُ الكفرُ فيك الضياءُ

فيا شوقنا للقاءِ

ويا شوقنا للبكاءِ

ويا شوقنا للفداءِ

نغذُ الخطي نحو سورك يا قدسُ

يجبسُها الوهنُ حيناً

ويغتالها الليلُ حيناً

ولكننا قادمون

وإن طال دهرُ .. ومرّت سنون

فيا زمنَ الانكسارِ

ويا زمنَ الوهنِ والانهيارِ

تمرّسَ تاريخُنا بالفرنجةِ وارتدَّ سيلُ التّارِ

فمهما يكن من دمارِ

ستورقُ أشجارنا

تبرعمُ أغصاننا بالنهارِ .

* * *

أحمد كمال عبدالله ..

شاعر مسلم من ماليزيا

د. محمد مصطفى بدوي *

دخل الإسلام إلى جزر الملايو في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد، ولم يكن ذلك عن طريق السيف أو الفتوحات العسكرية، بل كان عن طريق الاحتكاك التجاري - الاقتصادي والثقافي، وقد دخل أبناء الملايو بمجملهم في الإسلام، وحملوه بقوة ومايزالون، ويذخر الأدب الملايوي القديم بالمواضيع الإسلامية المستقاة في معظمها من التراث الإسلامي العربي القديم، ومنها سيرة حياة الرسول ﷺ، وقصص من حياة الصحابة رضي الله عنهم، بالإضافة إلى تواريخ وقصص مغامرات أخرى.

عبدالله، الذي اتخذ له اسماً «فنياً» عرف به هو «كمالا» (kemala).

ولد الشاعر في إحدى ضواحي العاصمة الماليزية كوالالومبور في العام ١٩٤١، وقد عمل في بداية عمره المهني في التدريس، وكتب بعض القصائد والأقاصيص والمقالات الأدبية، ثم تطور اهتمامه بالشعر، فنشر عدداً من الدواوين الشعرية، نذكر منها ميد يتاسي (تأملات) في العام ١٩٧٢، وعين (عين) في العام ١٩٨٣، وقد نال عدداً من الجوائز التقديرية في المهرجانات الشعرية التي تقيمها الهيئات الأدبية في ماليزيا، عن عدد من أعماله الشعرية في السنوات ١٩٧٢، ١٩٧٥، ١٩٨٢، ١٩٨٣، وقد شغل منصب الأمين العام للاتحاد الوطني للكتاب الماليزيين من ١٩٧٢ إلى ١٩٧٤، وكان رئيس الرابطة الوطنية للأدباء الماليزيين بين عامي ١٩٨٣ و ١٩٨٤، وله بالإضافة إلى الشعر كتابات في القصة والنقد الأدبي، ويذكر أنه أدى فريضة الحج منذ عامين.

وتنضج قصائد كمالا (القصائد منها والمطولات) بالاهتمامات والمقاصد الإسلامية المختلفة، من الروحية الذاتية الشخصية، إلى الوطنية، إلى الاهتمام بشؤون الأمة

وقد حافظ الشعر الماليزي الحديث في معظمه على وشائج قوية مع التراث الإسلامي بشكل عام، ومع العربي على وجه الخصوص، والمتصفح للروايات الماليزية والشعر الماليزي المكتوبين في القرن العشرين (وبخاصة بعد الاستقلال في ١٩٦٣) يجد أن الإسلام لا يزال في مقدم اهتمامات الأدب الماليزي. ونجد في الشعر الماليزي كل ما نعهده من مقاصد الشعر الإسلامي، من مثل مدح الله عز وجل والتغني بحبه الذي يلامس شغاف القلوب، وكذلك التغني بحب الرسول المصطفى ﷺ. كما يجسد الشعر الماليزي المعاصر هموم الشعب والأمة، وتظهر فيه نبرة الحزن والأسى للوهدة التي يتردى فيها المسلمون بابتعادهم عن الإسلام اليوم. ونجد الشعراء الماليزيين المسلمين، شأنهم في ذلك شأن إخوانهم من شعراء الإسلام في كل من مكان من العالم الإسلامي، يعبرون عن الغضب والحزن والتفجع إزاء ما يشهده عالم المسلمين اليوم من اعتداءات صارخة، وانتهاكات لأبسط المبادئ الإنسانية، يمارسها أعداء الإسلام تحت سمع العالم وبصره، ولا من مجبر.

ومن أهم شعراء ماليزيا الشباب، الذين يحملون الإسلام في قلوبهم وفي شعرهم، الشاعر أحمد كمال

* رئيس قسم اللغة الإنكليزية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة اللبنانية، له بحوث في آداب الشعوب الإسلامية.

... مع أنني لا أعدو
أن أكون ذرة، فهذا حبي الذي تنفخ أنت فيه
الروح والإيمان ...

ويختم الشاعر قصيدته برؤية نور الله في كل شيء:
في ومضة النور ليس هناك إلاك.

وفي قصيدة مطولة تحمل عنوان «عين» يطوف الشاعر
في مشاهد من التاريخ والتراث الإسلامي، يعرضها علينا
مستخلصاً منها العبر والدروس، وهنا أيضاً يجدر أن نلاحظ
أن العنوان المأخوذ من اللغة العربية يشير إلى العين الداخلية أو
البصيرة، في المشهد الأول ينقلنا الشاعر إلى:

أمام كهف حراء
المغطى بنسيج العنكبوت

وتتوالى المعاني والأفكار، ويتذكر الشاعر ساكن ذلك
الغار عليه الصلاة والسلام وصاحبه، ويدعونا لمشاركته
الدهشة والدفء والحب التي تثيرها في النفس تلك المشاهد:

النبى الأمين سكن هنا،
وكذلك أبو بكر الصديق الذي أحبه حباً عظيماً
إن أصداء رحيل النبى لاتزال تتردد في الدروب
المدينة، مدينة النور تداعبني
وأقف مأخوذاً أمام الألحان الدافقة

في المقطع الثاني تطالعنا قصة آسيا زوجة فرعون
المؤمنة، وفي الثالث تنتقل إلى مشاهد من حياة رابعة العدوية،
أما في المقطع الرابع فيسرد علينا الشاعر قصة أهل الكهف:

إذا كانوا قد ناموا ثلاثمئة سنة
بأمري

إذن ما الحاجة للمنطق؟

أما المقطع الخامس فيروي مشاهد من حياة النبيين
الكرمين: إبراهيم وموسى عليهما السلام، وفي المقطع
السادس مناجاة يرفعها الشاعر إلى الذات العلية:

يا رب، تقبل تلك النجوى التي تشدها روحي.

المقطع السابع يعالج مشاهد من رحلة الإسراء والمعراج،
أما في المقطع الثامن فترافق هاجر زوجة إبراهيم في سعيها بين

الإسلامية الواسعة. وقصائده التي تعالج الشأن الروحي تعلن
بوضوح حب الشاعر العميق لله عز وجل، وللنبي ﷺ، وهو
في ذلك يشارك الطبيعة بمظاهرها المختلفة الحية منها والجامدة،
أما قصائده الوطنية فتعبر عن القلق الذي يساوره من ابتعاد
مواطنيه عن جادة الصواب والحق، ومن انجراف الشعب وراء
الأوهام التي تبعثها الحضارة الغربية المجافية للإسلام.
وبالانتقال إلى القصائد التي تعبر عن هموم الأمة نجد الشاعر
يتألم لما يحل بالشعوب الإسلامية (وخاصة في فلسطين وفي
البوسنة والهرسك) من ويلات على أيدي الأعداء، وعلى
مرأى ومسمع من العالم الذي يقف موقف المتفرج.

ولنبحث أولاً في قصائده الروحية التي يمكن أن تعد في
مصاف روائع الأدب الإسلامي على مر العصور، في قصيدة
قصيرة بعنوان «حميم» (Hamim) يصور الشاعر العلاقة
الوثيقة التي يرى أنها تربطه بالخالق الرحيم، الذي يحفظه من
الويلات ومن الانحراف، وتمتلى القصيدة بالرموز الموحية،
وغني عن البيان أن العنوان - المأخوذ إما من أوائل سور
الحواميم أو من الكلمة العربية «حميم» بمعنى الصديق والخليل
- مشحون بالإيحاءات الروحية:

عاد المسافر بعد سنوات من الترحال
إلى قريته سالماً ولم
يعطب فيه عضو، بل، على العكس
لقد ازدادت خبرته

فالمسافر هو الشاعر نفسه الذي طوف في الآفاق الروحية
والعالمية، وعاد إلى موطنه أو ذاته سالماً، وهو يرى الفضل في
ذلك لله عز وجل ولرحمته ولطفه:

يا من أنت هو اللطيف، أنت حميتني،
ولذلك لم تأكلني السباع الجائعة والثعالب الوحشية.

والشاعر، رغم إتضاعه كمخلوق فإن الله قد وهبه
التكريم والرفعة بمنحه الحب الذي يربط قلب الشاعر إلى الذات
العلية:

**الغيرة على الدين متأججة في
قصائد شاعرنا، وبغيته محكمة**

اتسعت قصائد الشاعر لتحتوي هجوم الأمة الإسلامية ..

ومن الواضح أن قصائد كمالاتي تهتم بالشأن الوطني نابعة من قلب متألم لما يعتري مجتمعه ووطنه من هتات ومفاسد، وهي تارة تتفجر ألماً وغضباً بأسلوب جزل، وطوراً تتخذ شكل السخرية المرة، تعود في نهاية المطاف إلى الطلب لله عز وجل أن يحفظ ذلك الوطن من الفساد والانحراف، وتعود لترى في دين الله المنقذ من التفكك والتحلل. ونلاحظ أن الشاعر يوجه سهام الانتقاد إلى الممارسات الفاسدة في مختلف مناحي الحياة، من سياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية وبيئية وغيرها.

ففي الناحية السياسية نجده مثلاً ينتقد حمل أعضاء مجلس النواب، فيتساءل بتهكم مرير في قصيدة «موزاييك»:

هل لا يزال السادة الكرام أعضاء مجلس النواب نائمين
في قاعة المجلس؟

ثم يعود في القصيدة ذاتها ليخاطب رئيس الوزراء:

دولة رئيس مجلس الوزراء
... أنا أنقل إليك مطلب الشعب
أن تكشف الغطاء : الحسابات المصرفية
للسادة الكرام النواب والوزراء!

ويعود في قصيدة «ومباباهومبابي» ليتساءل عمن سيخلف رئيس الوزراء، مثيراً بذلك قضية أهمية الاستقرار السياسي ومصير المسلمين في ماليزيا:

بعد أن يترك «محاضر» مركزه
من سيكون رئيس الوزراء التالي؟

ويكتسب هذا التساؤل حدة وأهمية إذا أدركنا طبيعة الحياة السياسية في ماليزيا، فصحيح أن السياسة والحكم والجيش والشرطة والإدارة كلها بيد الملايو المسلمين، ولكن لا يغفل المراقب عن حقيقة أن العنصر الصيني (الذي شجعه الاستعمار البريطاني على القدوم والاستيطان في البلاد في أثناء احتلاله لها) يشكل ما يقرب من نسبة ٤٠٪ من السكان،

الصفاء والمروءة حتى تفجر ماء زمزم في قلب الصحراء:

هاجر حلت السر، ماء زمزم العذب
أعلن حبها وشوقها.

وبالانتقال إلى قصيدة ثالثة، «سمعت» (I Heard)، نجد الشاعر يعلن حبه على الملأ، وهو في ذلك يشترك مع سائر مخلوقات الله من حيوان وجماد ومظاهر طبيعية:

سمعت الريح المتعبة تهمس للجبال
عند غروب شمس آخر يوم من شهر الصوم:
«هناك في بلد بعيد
ولد شاعر يحب الله عز وجل».

وحال الريح في ذلك هو حال دودة الأرض التي «تخبر طفلتها»:

«هناك رجل يغني للحب
للأرض، للسماء
لك، لي، لله ولنبيه!»

والهمس نفسه حول جنون الشاعر بالحب الإلهي نسمعه من حوريات الأزهار المائتة، ومن الأعشاب البحرية، ومن الأصوات المكتومة في الغابات، ومن الصبايا يتوضأن استعداداً لصلاة الفجر، ومن النصال التي تعد لتكسير الجبال والصخور، وأخيراً من البرق الذي يدمر كل شيء في طريقه.

وهكذا نرى أن الحب الذي يكنه كمالاتي لله ولنبيه يظهر واضحاً في قصائده، ولكن هذا الحب لا يجعل من كمالاتي شاعراً صوفياً بالمعنى التقليدي للكلمة، فهو لم يعزل نفسه في تكية أو زاوية عن قضايا شعبه ووطنه، ونحن نجد الاهتمامات الوطنية مبثوثة في كثير من قصائده كمالاتي، ولكن سيكون تركيزنا هنا على ثلاث من هذه القصائد هي:

«لا تحزني يا ماليزيا» (Don't be sad my Malaysia)
المكتوبة عام ١٩٨٤.

«موزاييك موزاييك» كوالومبور (Mosaic Mosaic)
Kuala Lumpur من العام ١٩٨٦.

«هومباباهومبابي» (Humpapahumpapi) العائدة
للعام ١٩٨٩.

اتسعت قصائد الشاعر لتحتوي هجوم الأمة الإسلامية ..

ويمسك الصينيون بمقاليدهم الاقتصاد، ولا يتركون فرصة إلا ويغتنمونها للتعبير عن وجودهم وقوتهم، وأحداث ١٩٦٩ العنيفة لا تزال ماثلة بقوة ووضوح في مخيلات الملايو والصينيين على حد سواء، ولذلك نرى الصينيين في أعيادهم يطلقون المفرقات النارية بكثافة لافتة للنظر، وهذا ما يسجله كمالاتا في قصيدته ذاتها حين يقول :

هو مباها هو مباي
المفرقات المجنونة
تخرب أرضنا
فهل هونغ كونغ
أو بيجينغ هي عاصمة
بلادنا؟

فهو القلق على الهوية الإسلامية الذي يساور الشاعر،
كما يساور أبناء قومه برمتهم .

وبالانتقال إلى الهم الاقتصادي نجد الشاعر يغني أحزان
الفقراء في قصيدة «لا تحزني يا ماليزيا» :

هناك لدى صيادي الأسماك أغان حزينة
هناك أغان بلا إيقاع يغنيها الفلاحون الفقراء
الباحثون عن المحبة
بصوت أجش مبجوح

ويلازم هذا الهم الشاعر مرتبطاً مع فضائح الرشوة
والفساد، المصاحبين للازدهار والتطور الاقتصادي، فنجد
في قصيدة «موزايك» يشير إشارات خاطفة بجمل وعبارات
مقطعة، إلى المظهر الاقتصادي البراق، الذي يخفي وراءه
مشاكل اقتصادية بعيدة الغور، ترتبط بأخلاق الساسة ورجال
الأعمال، فينتهي إلى التحذير من أخطار الديون الحكومية .

كم يبلغ مقدار الدين الوطني عندنا؟
الحرية! العمال يضربون مطالبين برواتبهم
كم يبلغ مقدار الدين الوطني عندنا؟

إذا لم نلزم جانب الحذر
فسترهن ماليزيا عند المرائين!

ويعود هذا الهم إلى الظهور في قصيدة
«هو مباها هو مباي» في أعتاب تخفيض قيمة العملة الوطنية :

هو مباها هو مباي
بعد تخفيض الرينت
ماذا سيكون مصير ماليزيا؟

وبالإضافة إلى الهموم السياسية والاقتصادية يحمل
الشاعر في قلبه الهم البيئي، إن التقدم الاقتصادي والصناعي
وإنشاء المزيد من المصانع قد أدى إلى تخریب البيئة، وتلوث
الأجواء في أمكنة كثيرة. وهذا يملأ نفس الشاعر بالأسى
والضيق والقلق على المستقبل، وهو يفتح قصيدته «موزايك»
بوصف مشهد لنهر كلانغ، وهو شريان نقل نهري حيوي
يصب في مرفأ كلانغ، وهو بدوره مرفأ بحري رئيسي في
ماليزيا :

ذات أصيل رمادي، هل لا يزال هنالك شعر
في قلبك يا كمالاتا؟ إن نهر كلانغ
الكثيف الموحل يكتظ بسفن النقل
يلهث ليتنفس، هذا هو العرق
مع اقتراب القرن الحادي والعشرين

ثم ينتقل ليصف الضباب الملوث ودخان المصانع الأسود
الذي يملأ الضواحي، ويلازم هذا الهم الشاعر أيضاً ليجد له تعبيراً
جلياً في قصيدة «هو مباها هو مباي» حين يقول :

هو مباها هو مباي
هذا الكوكب الأرضي
لا يمكننا استبداله
بواحد آخر

وإذا كان التلوث البيئي يشغل بال الشاعر فإن التلوث
الأخلاقي يقض مضجعه ويشير في نفسه أعظم القلق، وهو
يوجه النظر للأثر السيئ على الأخلاق، الذي تمارسه وسائل
الإعلام عامة، والتلفاز خاصة في «موزايك» نقراً :

الإعلانات والنشرات الفاجرة
أشرطة الفيديو القذرة لها عملاؤها

برامج التلفاز اللاهثة
تلد

ويتعلم الأطفال القتل

على طريقة ماغنوم

على طريقة مستر تي

والقصص العاطفية اللاهبة

على شاشة تلفاز القتال الثالث

ثم ينعي على المنجرفين وراء الإعلام الغربي ابتعادهم
عن القيم الإسلامية :

هل يشبه وجه سويلين

وجه السيدة عائشة؟

مادونا

مثل رابعة العدوية!

ألا تزال هناك ومضات من القرآن

وهو يرد هذا الانحراف في معظمه إلى النظام التربوي
ذي التوجه الغربي :

إن نظام التربية

مثل سفينة منجرفة مع التيار

والريح الغربية الفاسدة تنفخ النار في الرماد

وأمام هذه المشاكل العصية والعقبات الكأداء الجديرة
ببعث اليأس في النفوس، لا يجد الشاعر الأمل إلا في كنف
الله الرحيم، فيلجأ إلى الله الذي لا ملجأ سواه، وفي نهاية
قصيدة «موزاييك» نقرأ هذه المفاجأة :

يا إلهي

احفظ

هذه الأرض

قبل أن تنقرض

قبل أن تختفي

يبتلعها العمالة الجائعون

الجائعون؟!

ولئن كان الشاعر يصرخ في وجه مجتمعه، محذراً من
الفساد والابتعاد عن قيم الأخلاق، فهو في ذلك لا يعدو كونه
ابن هذا المجتمع المحافظ المتمسك بالأخلاق في كل مناحي

الحياة، والشاعر يريد أن يبقى كذلك، وأن يرذل الممارسات
الفاسدة الآخذة في الانتشار .

إلا أن الهم العام عند كمالات لا يقتصر على حدود وطنه
الضيقة، بل نراه يحمل في قلبه وعقله هم الأمة الإسلامية
بالمعنى الواسع للكلمة . فهو يشعر أنه واحد من أبناء الأمة،
التي تتعرض في هذه الأيام للنكبات والويلات، على أيدي
الأعداء، وتتمثل هنا بقصيدتين للشاعر هما «قصيدة الفجر»
التي كتبها عام ١٩٨٢ إبان الحصار الإسرائيلي للقوات
الفلسطينية في لبنان، و«رسالة من سارايفو» التي تعود للعام
١٩٩٢ وتصف حالة الشاعر النفسية إزاء جرائم الصرب بحق
المسلمين في البوسنة .

تبدأ «قصيدة الفجر» بموعده للشاعر مع روح الفاتح
الإسلامي طارق بن زياد :

موعده مع روح طارق بن زياد

...

الإسلام لا يُقهر، تعالوا

نعبر هذي المضايق

...

ترتجف رياح الفجر وتضرب الأسوار

أنت تصرخ كالرعد يمزق السكوت

أحرق السفينة

قاتل

لا طريق للوطن

أرض الأندلس لله

ونحن في رحمته . . .

ظلال الجنود عند الفجر على الشاطئ: الله أكبر

ويتنقل الشاعر بعد هذا المشهد المجيد، إلى مشهد من
العصر الحديث، يضعه في مواجهة المشهد الأول :

ألف حيلة من اليهود وحيلة

وهذا لبنان محاصر

وهذا عرفات وجنوده الستة آلاف يقصفون

ينهمر الرصاص بغزارة، قذائف الهاو

بيروت مدينة الموت

وأكثر ما يحز في نفس الشاعر انفضاض الأشقاء
المسلمين من حول أشقائهم في البوسنة والهرسك، فينادي
بصوت ينضح مرارة:

يا إخوتنا في الدول الإسلامية
ما أخباركم؟ أين أنتم؟

أيها الإخوة في الإسلام، أين أنتم؟

ثم يتوجه الشاعر بالخطاب الساخر إلى القوة الكبرى في
العالم:

والآن تنجبه الأنظار إلى سيادة رئيس الشرطة العالمية
ما هي أولوياتك، سيادة الرئيس؟
أولوياتي واضحة: كرسي الرئاسة!
هم... البوسنة والهرسك
ليست على جدول أعمالي
أسف، أنا أسف

ويعود الشاعر إلى مخاطبة المسلمين بالمرارة نفسها:

إنسوا صرخات إخوانكم في الإسلام
في البوسنة والهرسك

...

دعوا مساجد ساراييفو تموت

دعوا الأذان يصغر في المآذن

دعوا الإسلام ينهار في أرض أوروبا

ويعود الصمت ليلف العالم كما يلف نفس الشاعر:

الأشجار صامته، خط الاستواء صامت

الشمس صامته، القمر صامت

الصمت موحش، الصمت مرعب

ويختتم الشاعر قصيدته بمشهد يذكر بيوم الحساب:

عندما كانت أرواحنا تعبر

قابلتنا ناساً من القرن العشرين

حمقى وغافلين

عن مواجهة يوم الحساب

وهكذا نرى أن هم الأمة المظلومة يسكن قلب الشاعر،
وتزداد المرارة حين يقارن بين ماضي الأمة المجاهد وحاضرها

الموت في كل مكان، اليهود، اليهود
يكتصون دماء الشعوب، إنهضي يا منظمة التحرير
إنهضي بجيشك الصغير وأسلحتك الصغيرة

...

روح طارق في صدره

لن يستسلم، يحمل في عطفه أمة

كرامة الوطن الأم فلسطين

وبعد عقد من السنين كانت الأمة لاتزال تواجه الأعداء
وسكاكين الجزارين، وفي العام ١٩٩٢ تحولت ساراييفو وسائر
مدن البوسنة إلى أراض للقتل، وسالت دماء المسلمين،
وتهدمت مساجدهم، وانتهكت أعراضهم. وقد أثار هذا
الإجرام مشاعر الأسى والغضب في قلوب المسلمين في سائر
أنحاء العالم، وكان الشعراء أشد الناس تأثراً بفضاعة المحنة،
وقد تفجر الغضب في قلب شاعرنا، فعبر عنه في قصيدة
«رسالة من ساراييفو» التي تبدأ بذكر الصمت الذي يلف
العالم:

أشجار صامته، أحجار صامته، بحيرات صامته

غزيت البوسنة والهرسك

مساجد ساراييفو المثة هوجمت ودمرت

وأمرت القذائف الموجهة على البوسنة القتل

...

الشياطين الصرب يغسلون أجسامهم بدم البوسنة والهرسك

يجرعون دموع الأطفال الأبرياء

وصرخات الضحايا

ثم يسخر الشاعر من الأوهام التي تراود البعض بأن

الدول الكبرى ستذهب لنجدة المسلمين:

واشنطن ماما، نيويورك ماما، باريس ماما

بون ماما، لندن ماما، موسكو ماما

...

يا للكارثة

البوسنة والهرسك بلد إسلامي في قلب أوروبا

وميلاد جديد للحمرء وغرناطة؟

مستحيل، مستحيل

أبدًا!

البائس، على أن قلب الشاعر المسلم يتسع لحمل هم كل المظلومين وكل المسحوقين في الأرض، وإن كان معظمهم من المتحمين إلى أمة الإسلام. وهو يشير بإصبع الاتهام إلى القوى الكبرى في العالم، التي تدعي حماية النظام والعدل والحرية، وتكذب كل ذلك ممارساتها. وأوضح دليل هو ما تفعله هذه الدول القوية في الدول الأضعف والأقل حظاً. وفي «قصيدة القوى الكبرى» المكتوبة عام ١٩٨٩ يشير الشاعر إلى حقيقة استيلاء القوى الكبرى على القرار في النظام العالمي، وإلى ضعف منظمة الأمم المتحدة وعجزها عن القيام بالدور المتوط بها:

يا له من استعراض
في مبنى الأمم المتحدة الجبار!
إن قرار الأكثرية
لا يزال يحتاج إلى الموافقة
من القوى الكبرى

ثم يمضي الشاعر في إعطاء الأمثلة على ذلك:

لقد صرخ العالم في وجه سياسة التفريق العنصري
في جنوبي إفريقيا، كان البيض يقتلون السود
وأكدت القوى الكبرى ذلك بقرار النقض!
لقد ساند العالم بقوة منظمة التحرير الفلسطينية
لإنشاء دولة فلسطينية مستقلة
ولكن الرئيس الأمريكي منع عرفات من دخول
أمريكا

لقد قاتل المجاهدون بشجاعة
النظام - الدمية الذي أقامه الاتحاد السوفيتي
فاستعملت الصين واعية حقها في النقض
إن الاستنكار العالمي
قد تحول إلى مشهد هزل، وها هو ذا لبنان
يشتعل باستمرار، وها هي ذي الضفة الغربية
تصبح حقل قتل وإبادة

ويتتقد الشاعر ما يجري داخل جدران المنظمة من مناقشات واتخاذ للقرارات يشترك فيها مندوبو الدول الضعيفة، وبعد أيام طويلة من المداولات تأتي الدول الكبرى لتقدم الإنذارات:

«لقد دخلتم المنطقة المحرمة
أنتم تحاولون تقويض مصالحنا
أفضل لكم أن تعروا أبعاد ذلك»
ثم يتوجه الشاعر بالاتهام للدول الكبرى:
لقد غزو العالم بالإرهاب وبالتخريب
الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي
غزوا الدول الصغرى في آسيا وإفريقيا وأمريكا
اللاتينية

ثم ينادي الشاعر على العالم للحد من قوة رؤساء
الدول الكبرى وغطرستهم:

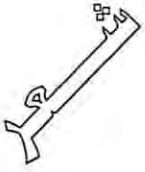
قبل أن يتحول هذا الكوكب
إلى جحيم

فالشاعر، انطلاقاً من حس العدل الذي يبعثه في القلب الانتماء إلى الإسلام، يفيض بالمرارة لما يرى في العالم اليوم من الظلم، ويود أن يعود العدل ليسود هذا العالم قبل أن يتحول إلى جحيم.

هذه الإطلالة على العالم الشعري للشاعر الماليزي كملاً كفيفة بأن ترينا أن الإسلام لا يزال حياً في قلوب الشعراء والفنانين المسلمين في أصقاع العالم الإسلامي المترامي الأطراف. كما ترينا أن مقاصد الإسلام في روحية ودينية لا تزال تبعث الإلهام في نفوس هؤلاء الشعراء، وفي هذا إشارة إلى أن الأدب الإسلامي لا يزال بخير برغم التراجع الذي نشهده على الساحة الإسلامية في نواح عديدة. إن الأدب الإسلامي لا يزال يحمل المشعل لينير درب هذه الأمة، ولا يزال الصوت الحادي لركبها.

الهوامش:

- (١) هذا المقطع والمقاطع التالية من القصائد من ترجمة الكاتب نقلاً عن ترجمات للقصائد إلى اللغة الإنكليزية، قام بها الشاعر نفسه في بعض الأحيان وأشخاص آخرون أحياناً أخرى.
- (٢) عنوان القصيدة هو عبارة عن كلمة مرحة يقصد بها السخرية.
- (٣) يذكر هنا أن أعداداً كبيرة من الماليزيين تطوعوا ولكن لم تسنح لهم الفرصة للقتال إلى جانب القوات العربية في حرب حزيران العام ١٩٦٧ م.



قَدْ بُحَّ صَوْتُنَا *

للشاعر الماليزي : أكمل بن الشيخ الحاج محمد زين

إننا قد رأينا الكواكب السوداء على مبعدة
من ضباب الرصاص
فقطبت الشمس جبينها ومضت
وقد أمعنا النظر
كيف أن الأم ، والأطفال الأبرياء
يمدون أيديهم ملتجئين الرحمة
أيها الشهداء قد قرأنا مرثيتكم
أقوال الجسد البشري
لقد شاهدنا انصباب الدم
الذي يفيض بأرضكم
خاضباً مدينتكم
عزاءنا العميق لكم
قَدْ بُحَّ صَوْتُنَا .

* * *

إخواننا
ها نحن إخوانكم في الدين
معاً نصلي كل وقت
من كل ركن
نبعث بتعازينا
بينما الأجساد الجامدة
ترسل إلى الموقف الأخير .
سنة عشر منا يهتفون
وقد بُحَّ منا الصوت
ونحن نندب الناس
الذين ليس لديهم وقت
ليسلموا عليكم
ليس لديهم الوقت كيما يحملوا السلاح معكم
وعلى كل حال فإننا نفهم
لأجل من أنتم تسقطون .

* من ديوان «تنفيس» جمع كمالا ورزيي س . س . وأحمد غزالي ، ترجمة عارف كرفي أبو حضيري وإسماعيل محمد عارفين والحاج محمد بخاري لوبيس (كوالامبور ١٩٩٤) .

حاج بلا راحلة

بقلم / أنور بدر الدين

كان يتقلب على فراشه أرقاً ، ينتظر بزوغ ضوء الشمس بفارغ الصبر ، فقد أضرت به الحشرات الصغيرة التي لم تجد لنفسها مكاناً خيراً من ثيابه ترتع فيها ، لقد أضنته الأوساخ التي علا بعضها بعضاً فوق جلده ، حتى لم يعد هو نفسه يعرف اللون الحقيقي لذلك الجلد .

كان دائماً يهرش هنا وهناك ، وكثيراً ما كانت يده تذهب بشكل تلقائي ناحية أعضائه ، فقد كانت تلك الحشرات تحب الأماكن التي يكثُر فيها الشعر الذي امتلأت جنباته بالأوساخ ، كما أنه كان يقلب جفنيه في سماء جبال السلسلة الشرقية المشربة في السماء ، كأنه يرسل برسائل تُطمئن ذويه على أنه مازال حياً ، ولكنه على كل حال ليس بخير .

شريعة .

أسند ظهره إلى جذع الشجرة ، وقد ظهر تحت ضوء الشمس بأسمال بالية ، كانت في الأصل ثياباً مرموقة ، يوم أن لبسها في أواسط أوروبا ، في يوم من أيام سنة خلت ، ووضع في جيبه ثلاث قطع من الفضة ، كانت الحد الأدنى لكل مقاتل يريد أن يكون صليبيّاً ، ليستطيع أن يأتي مع الحملة الصليبية ، التي استمر توافدها على الشرق قرنين من الزمان .

لقد اهترأت تلك الثياب ، كما اهترأت معها الأحلام الجميلة الكبيرة ، التي كان حملها عشية قدومه إلى الشرق حاجّاً ، فلست ترى الآن على رأسه إلا قلنسوة قديمة ، قد تراكمت عليها الأوساخ ، وضعها فوق رأسه انحسر عنه الشعر إلى الخلف ، حتى كأن فيضاً جاء عليه فتركه صليداً ، إلا من شعيرات استطاعت أن تستقر على الجوانب البعيدة من وسط الجمجمة ، ولقد طالت تلك الشعيرات ، واتسخت ، وتجمعت ، حتى تحولت إلى كتل صغيرة منتنة ، أما لحيته فقد طالت وتشعثت ، وزاد من شعثها ما يعلق عليها يومياً من غبار جديد ، وعرق غزير ، نتيجة العمل المضني المستمر ، الذي - لولا القهر - لا يستطيع القيام به ،

وعندما أضاءت الشمس ، وأذن الله لنهار جديد بالبداية ، أسرع تلقاء شجرة الصنوبر العالية المتطاولة التي تقوم على كتف الوادي ، كرقيب يشهد مصارع العظماء ، وتقلب الأحداث ، وتطل على ذلك السهل الذي لا ينقطع العشب فيه في فصل من فصول السنة ، فيحيل الأرض إلى ربيع دائم ، تعلوه هذه الأشجار الباسقات ، التي تزيد المكان جمالاً إلى جمال ، ويقطع عليك منظر الخضرة من مكان إلى مكان انتشار خيام المجاهدين المتفرقة المتقاربة في آن .

كما يقطع صمت المكان صوت العصافير الكثيرة المنتشرة فوق الأشجار العالية تقفّت من ثمارها ، أما على الأرض فقد كانت جلبة الخيل ولجمها وصهيلها ، ونهيق الحمير ، وأصوات قطعان الخراف تنبعث من كل مكان مؤذنة بقدوم يوم جديد .

كانت خيول المسلمين تقضم العشب قضمًا ليلاً ونهاراً ، فإذا ما اشتد لفح الشمس ، وطن الذباب ، وجعل يقف على جلودها ، طفقت تلوّح بأذنانها ، طاردة الذباب من مكان إلى مكان ، وكثيراً ما كشر رأس منها عن أنيابه ، ملتفتاً إلى ناحية من جسمه ، دافعاً أذنيه إلى الخلف ، ثم يجعل يلوّك جلده ليريقه من ألم بسيط أحدثته ذبابة

وطال شاربته حتى صرت تتحير، إذ كيف تعرف اللقمة طريقها إلى فمه وسط هذه المتاهة المتننة؟!

ألقى بظهره إلى جذع الشجرة، واتجه نحو مصدر نور الشمس، وقد وضع قلنسوته بين يديه، وجعل يقتل كل حشرة تبرق تحت ضوء الشمس، منطلقاً من تلك القلنسوة القذرة، كما كان بين الحين والحين يحك ظهره بجذع الشجرة يمناً ويساراً، لعله يريح جلده المقرح من لدغات البراغيث والقمل.

كان هذا واحداً من آلاف الأسرى الذين وقعوا في يد المسلمين، بعد تحرير عكا، وأكثر الساحل الفلسطيني، وقد أتي بهم، واصطفوا حول خيام المسلمين فيما يشبه معسكر اعتقال.

وكان يخطر بين تلك الجموع المترامية الأطراف رجل مديد القامة، جميل المحيا، تزين وجهه لحية جميلة، تزيد وقاره وقاراً، وتشع وجناته نوراً لكل من يراه، كان يأتي ويذهب مدججاً بسلاحه، شفتاه لا تتوقفان عن الحركة، تتمتمان بأدعية وأذكار مأثورة، إنه يعتقد بأن المؤمن يجب ألا يترك ثانية واحدة من عمره القصير تذهب من دون ثواب، فإذا كان الوقت لا يتسع لصلاة أو صيام أو صدقة أو جهاد، فليس أقل من أن يلهج بالذكر، ليكتب الوقت له لا عليه.

كما كانت جموع الأمراء والجنود والباعة والرعاة لا تنقطع عن هذا السيد المحبوب، كل يأتي إليه مسرعاً، يطلب حاجته، أو يحدثه بما يريد. فيقف السيد حائياً على كل واحد حنو الوالد على ولده، مبتسماً ابتسامته المحببة التي تشد العدو إليه بلة الصديق، يحدثهم مصافحاً إياهم، مقبلاً عليهم بقلب مفتوح، حتى إذا خف مقدم الناس عليه، حانت منه التفاتة تلقاء الشجرة الكبيرة، فرأى الشيخ المتهدم جالساً يعبث ببراغيشه وقملته، تحت نور الشمس، الذي يلعب من بين أغصانها، وكأن فراسته قالت له: إن وراء هذا المسكين قصة. فنادى جندياً من جنوده: بهاء الدين. قال الجندي: لبيك يا سيدي السلطان. قال: اذهب إلى ذلك الرجل الجالس تحت الشجرة، وتبسط معه في الكلام، وهاته إليّ دون أن تدخل الروع إلى نفسه، لقد كفاه ما يحمل فوق كتفيه من ثقل

السنين. قال بهاء الدين: حالاً يا مولاي السلطان. وانطلق يعدو كالسهم، حتى إذا وصل إليه ألقى عليه التحية، وخاطبه بلطف، أن أقبل معي، فإن السلطان قد أرسل بطلبك. تعجب الرجل، إذ هذه هي المرة الأولى التي يدعى مثله فيها إلى سلطان ليقابله، ثم ما لبث أن تبددت دهشته، إنه أسير، ولعل السلطان رأى فيه رأياً، إنه يريد قتلي لا شك، أو من يدري؟ لعله يريد أن يطلق سراحه، أو يريد أن يمن عليّ فأعمل بين خدمه، بالضبط - قال في نفسه - هذا هو ما يريد السلطان، إنه نظر إلى شيوخوتي فأشفق عليّ.

رفع قلنسوته من بين ركبتيه، وثبتها على رأسه، ثم توكأ على جذع الشجرة الضخمة، وحرك يده اليسرى في الهواء، كأنه يستعين بها، وتتم بكلمات مقدسة عنده، وانطلق متثاقلاً خلف الجندي، يصعد في التل القريب لتقاء السلطان، ولما أن وصل إليه قبل الأرض بين يديه، وقال بلغته ما يعني بالعربية: مولاي السلطان: أنا بين يديك أسمع وأطيع.

نظر إليه السلطان وقال: أيها الشيخ: من أي البلاد أنت؟ وما أن فهم الشيخ الكبير عبارة السلطان حتى تدرجت دمعتان من عينيه المتهللتين، وجعل يتنفس بصعوبة بالغة، ويحاول أن يكفكف دموعه بكفه المهترئ، فتخونه أصابعه، ويحاول الكلام وهو يزم شفثيه، كطفل تلقى تأنيباً فهم بالبكاء، ولكنه كان يجد نفسه في كل مرة وشفثاه تنفرجان بعضهما عن بعض، ثم يقطع تنفسه المتلاحق كلماته فلا يستطيع أن يجيب.

أعاد السلطان سؤاله، من أي البلاد أنت؟ رفع الشيخ رأسه إلى صلاح الدين، بعد أن استجمع ما أبتقت له السنون من قوة وقال: يا مولاي إنني من بلاد بعييدة، لو أردت الوصول إليها لاحتجت لسنة أشهر أو سبعة أشهر. قال السلطان: مادام الأمر كذلك فما الذي حملك إلى هذه البلاد لتقاتلني؟! قال الشيخ: يا مولاي، قال رجال الكنيسة: إنها أرض تقطر عسلاً ولبناً، وقد وعدهم الرب المسيح بها، وإنه منجز لهم ما وعدهم به، وإن فيها قوماً كفاراً، دنسوا قبر الرب المسيح، وأفسدوا البلاد، وظلموا العباد، ولا بد من تطهير الأرض المقدسة منهم، والحج إلى كنيسة القيامة. ثم هز رأسه

عندما كانت خيول صلاح الدين تقول : نحن هنا !

كما كانوا يوزعون رسوماً تذكارية يظهر عليها القبر المقدس يُدّسه جواد أحد المماليك، وأخرى مرسوم عليها الرب المسيح يسوقه محمد أمامه، فكانت هذه تزي في نفوسنا الحقد عليكم، والشوق الشديد لتطهير الأرض المقدسة من شركم ورجسكم. قال صلاح الدين: وهل اكتفى الرهبان والكرادلة بتهيج الجماهير ضدنا؟ قال الشيخ: لا يا مولاي السلطان، فلقد خلع قساوسة ورهبان وكهنة مسوحهم، وتسربلوا بالدروع، كما قرر بعضهم أن يسعى إلى بيت المقدس سيراً على الأقدام، وهم يستجدون الحسنات أسفاً على سقوط القدس بأيديكم. وامتنع آخرون عن بيع صكوك غفران الحبر الأعظم إلا لمن تطوع صليبيًا. وهز الشيخ رأسه في أسى وهو يقول: وماذا أقول لك يا مولاي، إنها قصة طويلة. قال صلاح الدين: هدى من روعك أيها الشيخ الضعيف ولا تبتس، وأخبرني ما الأمانة التي تمنّاها؟ قال الشيخ: أطل الله بقاء السلطان، وماذا يتمنى شيخ مثلي أسير في أيديكم، وقد تخلى عنه أقرب الناس إليه، وترك أهلاً وأولاداً في بلاد بعيدة؟ إنني لا أتمنى أكثر من أن أحج إلى القبر المقدس قبل أن يأخذ الرب سره مني، ولكن ليس إلى ذلك من سبيل! فالقبر المقدس بين أيديكم، وأنا اليوم أسيركم. قال صلاح الدين: هدى من روعك يا شيخ وأخبرني، ماذا تقول فيمن يهوى لك هذه الفرصة لتحقيق أمنيته الغالية؟ قال الشيخ: وقد بدأت يدها ترتجفان، وشفتاه تنضمان بعضهما إلى بعض: لا تسخر مني يا مولاي السلطان، أو بعد هذا العمر الطويل، وهذه التجربة التي مرت علي من خلال معاشرتي لكبار قومي يمكن أن أصدق وعداً؟ ثم استدرك وكأنه أحس أنه أساء الأدب، أنا أسف يا مولاي فما تعودت من الكبار والوجهاء في بني قومي إلا خلف الوعد، ونقض العهد، وانتهاك الأعراض، وتضييع الأمانة، والاستهتار في كل

ميتاً وشمالاً وهو يقول: لقد خدعونا يا مولاي السلطان، لقد خدعونا. قال صلاح الدين: وكيف صورونا لكم أيها الشيخ؟ كيف استنفروكم لقتالنا؟ قال: يا مولاي السلطان، لقد حضر بطريك (صور) بعد سقوط بيت المقدس بأيديكم، وأطلع البابا أوربانوس الثالث على المصيبة الكبيرة التي حلت بالنصرانية، فتأثر البابا تأثراً عظيماً، ولم يستطع تحمل الصدمة، فوقع من فوره ميتاً، وتناهدت القصة إلى أذان العامة، فنسجوا قصصاً خيالية كثيرة. قال السلطان: مثل ماذا؟ قال الشيخ: يا مولاي، قالت العامة: لولا أن البطريك لم يذكر أمام البابا صوراً مروعة لوحشية المسلمين وهمجيتهم، لما سقط البابا ميتاً. وأردف: وعندما سمع الكرادلة قصص العامة حاولوا أن يستفيدوا منها إلى أبعد الحدود، وأن يهيجوا بواسطتها مشاعر الجماهير. قال صلاح الدين: وماذا حدث بعد ذلك؟ قال الشيخ: اعتلى عرش البابوية - يا مولاي - غريغوريوس الثامن، الذي أعد العدة من فوره، ومنذ اليوم الثاني لاعتلائه عرش البابوية أعد حملة صليبية جديدة، وجعل يحث المسيحيين القادريين على حمل السلاح على ذلك. قاطعه السلطان قائلاً: وما الأساليب التي استخدمها؟ قال الشيخ: لقد أمر بالصلاة والصوم جهراً، كما نذر هو والكرادلة أن يعيشوا على الصدقات، وألا يركبوا خيولاً قبل إعادة احتلال بيت المقدس، وأن يطوفوا بالدول المسيحية سيراً على الأقدام وهم يحملون الصليب. قال السلطان: وهل برّ غريغوريوس بما وعد؟ قال الشيخ: أجل يا مولاي، ولكن أجله لم يمهله، إذ بقي على كرسي البابوية مدة شهرين ثم توفي. قال صلاح الدين مقاطعاً: وانتهت بذلك الاستعدادات. قال الشيخ: ليت الأمر كان كذلك يا مولاي، فلقد اعتلى العرش (كليمانس الثالث)، وكان أكثر إصراراً من سبقه، لقد جدد الغفرانات والامتيازات التي منحها أسلافه للذهابين إلى الأرض المقدسة، وهذا الإصرار، وهذا العناد من جانب رجال الدين جعلنا أكثر تصديقاً لعدل قضيتنا، وإيماناً بحقنا فيها. يا مولاي السلطان، لقد كان وعظاه يطوفون الممالك المسيحية يستنزلون اللعنات عليك وعلى جيشك أمام مستمعهم،

لا تحزني

شعر / حامد محمد الشريف

غداً إن غفت جثتي راقدة
وأضحت معالمها جامدة
فلا تجهشي طفلي في البكا
فما للبكا هاهنا فائدة
غداً إن فقدت أباك هناك
لدى اللهو أو ساعة المائدة
وحين تمر الثواني على
دروبك يا حلوتي باردة
فلا تحزني طفلي حينها
ولا تذرني دمة واحدة
غداً طفلي عند سح السحاب
على الأرض أدمعه الراحدة
وعند انكباب رياح الشتاء
على شرفتي في المسا ساجدة
فلا تجزعي لغيابي المريب
ولا تنهري الدمعة الشاردة
ومري على القبر عند الغروب
وقولي أنا يا أبي صامدة

شئ حتى روح الإنسان ليس لها قيمة عندهم، فلا تؤاخذني أن عممت الحكم. قال السلطان: يا شيخ أنت أسيرنا منذ فترة ليست بالقصيرة، فهل أسأنا إليك؟ قال الشيخ: معاذ الله يا مولاي، ولكنه هم أقض مضجعي، وأنهك قوتي، غربة ليس لها نهاية، وذلل الأسر شئ قاس يا مولاي السلطان، وخاصة على رجل مسن مثلي، ولكن شهد الله أنني ما رأيت فيكم إلا ما يكبره الإنسان ويعظمه، الصدق والأمانة، والشجاعة والنبيل، واحترام الإنسان، وإكرام النساء، والعطف على الصغير. والحيوان، واحترام العهد، وكل ذلك لا يذكر أمام انتظامكم في الصلاة بين يدي إلهكم، لتقدموا له قداسكم الذي يتكرر مرات كثيرة كل يوم، دون قسيس يقوم أمامكم بطقوس العبادة. نزلت من عيني صلاح الدين دمة، وانحدرت مسرعة نحو لحيته، وقد تقطب حاجبه قليلاً، وزم شفتيه كمن يريد أن ييكى، ثم ما لبث أن رفع عينيه إلى السماء وهو يقول: اللهم رب كل شئ ومليكه، لك الحمد في الأولى والآخرة، زين الإيمان في قلوبنا، وكرة إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم لك الحمد، أنت هديتنا وربيتنا على دين نبيك محمد ﷺ، ثم خفض رأسه نحو الشيخ وقال: أيها الشيخ ما رأيك فيمن يحقق لك الأمنية الغالية بزيارة البيت المقدس؟ قال الشيخ: تعود لتسخر مني يا سيدي السلطان! قال السلطان: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. قال الشيخ: إذا لا أجلس في مكان ولا أقابل شخصاً إلا أخبرته بما صنع. قال السلطان: ولو كان ذلك الفاعل مسلماً من أعدائك؟ قال الشيخ: ولو كان مسلماً. قال السلطان: أتفي بعهدك وتبر بوعدك، أم تفعل كما يفعل كبار قومك؟! فابتسم الشيخ، وضحك صلاح الدين ملء فمه، ثم قال للشيخ: لقد حققت لك أمنيته. والتفت إلى جهة مرافقه وقال: بهاء الدين، إلي بحصان من خيرة جيادنا، وزاد وسلاح، وخذ الشيخ ليغتسل، ثم خذه إلى الحلاق ليصلح من شأنه، ثم سيره محروساً إلى بيت المقدس، إنه يريد الحج، ولا نمنع مؤمناً صادقاً في إيمانه مهما تكن ملته من التقرب إلى الله على طريقته مادام في عهدنا.

القصص الإسلامية

في عهد النبوة والخلفاء الراشدين

تأليف / د. أحمد بن حافظ الحكمي
عرض / د. حسين علي محمد



في زهاء ألف وخمسمائة صفحة من الحجم الكبير جمع الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي القصص الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، وحققها، ووثقها، وشرح غريبها، وترجم لأعلامها، ووضع فهرسها تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا (يرحمه الله).

فهرساً، وهي: للآيات القرآنية، والقوافي، والرواة، وتراجم الأعلام، والأعلام من غير الأناسي والأمكنة، والقبائل والطوائف والجماعات، والحوادث، والأيام، والأماكن والمواضع والبلدان، ثم فهرس مصادر القصص، وفهرس مصادر التراجم ومراجعتها.

وفي الكتاب جهد ضخم، قد حقق - فيما نرى - ثلاثة أشياء:

١ - جمع القصص الإسلامي في عصر النبوة والخلفاء، وقد جمع المؤلف في هذا الكتاب مائتين وسبعين نصاً، ووضعها أمام الدارسين ليروا القصص الإسلامي، وخصائصه التي تختلف بالطبع عن خصائص القصص الغربي الذي عرفناه في العصر الحديث.

٢ - يقدم وجهاً صحيحاً من سيرة الرسول ﷺ، لمن يريد دراسة السيرة النبوية دراسة صحيحة عن أوثق مصادرها.

٣ - يقدم مصدراً ثراً من النثر الإسلامي في عصر صدر الإسلام للدارسين، لعل الدارسين يلتفتون إليه ويتوقفون أمامه، بعد أن كانت الخطب والمواظ هي مصدرهم الأوحى لدراسة النثر الإسلامي في عصر صدر الإسلام.

والأذى في سبيل الله.

* وفي الباب الرابع وعنوانه «الدعوة في مجال التطبيق العملي: الجهاد في سبيل الله» (ص. ص ٣١٩ - ٤٧٢) يُسجل قصص الغزوات والفتوح، والسرايا والبعوث، وبطولات الصحابة، والشهادة في سبيل الله، والسهر على رعاية الرسول والمسلمين، وعاقبة المشركين.

* وفي الباب الخامس «قصص التوابين» (ص. ص ٤٢٧ - ٥٢٠).

* وفي الباب السادس «من قصص الوفود» (ص. ص ٥٢١ - ٥٣٢).

* وفي الباب السابع «الشمائل والفضائل» (ص. ص ٥٣٣ - ٧٠٢) وفيها يسجل قصصاً من شمائل الرسول ﷺ، ومعجزاته، وفضائل الصحابة وكراماتهم.

* وفي الباب الثامن «من صفات المؤمنين» (ص. ص ٧٠٣ - ٧٣٨) ويتوقف أمام قصص عن العدل، والكرم، والتواضع.

* وفي الباب التاسع يروي قصصاً عن «الشورى» (ص. ص ٧٣٩ - ٧٥٤).

وفي الباب العاشر «أشتات» (ص. ص ٧٥٥ - ٨٢٨) يجمع قصصاً مختلفة مما لم تندرج في الأبواب السابقة.

* ثم تبدأ الفهارس وعددها أحد عشر

يقول الدكتور رأفت الباشا في تقديمه للكتاب: «المراد بالقصة التي جمعناها في هذا الكتاب كل حادثة نبعت من معين الإسلام، فأبرزت موقفاً من مواقفه الفذة، أو حكمت شأناً من شؤونه الرائعة، أو صورت علماً من أعلامه الميامين، على أن يروي الحادثة راو عاش في عصر النبوة والخلفاء الراشدين بأسلوب ينأى عن أساليب الأخبار التاريخية، ويأخذ بطرف من أساليب القصص».

ويضم الكتاب عشرة أبواب:

* في الباب الأول وعنوانه «من قصص الأمم الماضية» (ص. ص ٥ - ٤٠) يجمع قصصاً تتحدث عن الدعوة وما واجهوه من فتن.

* والباب الثاني عن «الرسول والدعوة» (ص. ص ٤١ - ٧٢)، يضم قصصاً تحكي إعداد الرسول ﷺ لتحمل أعباء الرسالة، كما يضم قصص الوحي والإسراء والمعراج، وقصص الدعوة إلى الله، وقصص التبشير بالرسول والدلالة على صدقه.

* والباب الثالث عنوانه «من نتائج الدعوة» (ص. ص ١١٩ - ٣١٨) يسجل المؤلف فيه قصص الهجرة بدين الله إلى الحبشة، والمدينة المنورة، وقصص إسلام الصحابة، وقصصاً تحكي تحمل الشدائد

في الأدب الإسلامي

قضايا وفنونه ونماذج

تأليف / د. محمد صالح الشنطي
عرض / د. محمد علي داود



كتاب مطبوع في دار الأندلس للنشر والتوزيع عام ١٤١٤هـ الطبعة الأولى في ٥٠٤ صفحات من القطع المتوسط، ويضم مقدمة وخمسة فصول وقائمة بالمصادر، تحدث في المقدمة عن ميلاد فكرة الكتابة في الأدب الإسلامي وواجب الجامعات في صياغة النظرية، كما بين ملابسات كتابته في الموضوع وما تناوله من أبعاد، وحققه من طموحاته.

قصصه.

وفي الفصل الخامس تناول المسرح الإسلامي: فتحدث عن دوره من خلال ما قدمه الدكتور عماد الدين خليل، وفرق بين المسرح الإسلامي والديني، ووقف عند مجموعة مسرحيات منها «أهل الكهف» لتوفيق الحكيم، و«جبل الغسيل» لعلي أحمد باكشير، الذي ترجم له وعرف ببعض أعماله، كما تحدث عن المطولات والملاحم.

ثم تناول موضوعات وقضايا في الأدب الإسلامي، ومن ذلك «القدس في الشعر العربي قديماً وحديثاً» و«استلهام القرآن الكريم في القصيدة المعاصرة».

والكتاب يضم جهداً طيباً وعلمياً غزيراً ولكنه في حاجة إلى مراجعة في الجزء النظري ليتحقق فيه العمق المطلوب، كما أن فيه قليلاً من الأخطاء اللغوية، والموضوعية، ومن الأخيرة ما جاء في حديثه عن رواية قاتل حمزة: إذ نراه يجعل وصلاً هي عبلة، ويصف عبلة بأنها داعرة بينما وصال غير عبلة: فوصال رومية داعرة تاب الله عليها بعد، وأما عبلة فهي أمة مملوكة لجبير بن مطعم، وهي بعيدة كل البعد عن الرذيلة. والكتاب جدير بالقراءة.

كتب في هذا الجانب، كما تحدث عن الالتزام، والالتزام الإسلامي، والفني والجمالي ومجالات الأدب الإسلامي «الكون والإنسان والحياة»، ونظرية الأدب الإسلامي وما تناولت من مباحث تخص نظرية الأدب «الماهية والمهمة والأداة»، واستعرض المحاولات الخاصة بذلك في التراث، ودور الأديب المسلم تجاه نظرية الإبداع. كما تحدث من خلال ما ذكر من كتب للأدب الإسلامي عن الجمهور المعاصر، ثم انتقل يتحدث عن الأدب الإسلامي والمذاهب الغربية: أصولها وفلسفاتها الجمالية وموقفه منها، وقدم في الفصل الثاني نماذج تطبيقية.

وفي الفصل الثالث تحدث عن: فن القصة، فبدأ بالقصة الإسلامية ومفهومها ومهمتها، وعرض نماذج لقصص قصيرة.

وفي الفصل الرابع تحدث عن الرواية الإسلامية، ومثل بروايات، منها «قاتل حمزة» لنجيب الكيلاني، وحلل جزءاً وأشار إلى الملامح الإسلامية في أعمال نجيب الكيلاني، كما تحدث عن عبد الحميد جودة السحار وجهوده في مجال الرواية والقصة، محللاً رواية «جسر الشيطان» وبعض

الفصل الأول تناول قضايا المفهوم والتنظير، وضم خمس قضايا: أولاً المصطلح ورأي المتكرين وحججهم وردود المؤيدين، وثانيها الأدب الإسلامي، والزمان مستعرضاً آراء المؤرخين لهذا الأدب بإطار زمني ورأيه وأدلت في ذلك، ويستعرض بعض المؤلفات في هذا الأدب ومسيرته في العصور الأولى حتى العصر العباسي والأندلسي، وثالثها الأدب الإسلامي في إبداعات غير المسلمين، موضحاً أن وصف الإسلامية يتصل بالدين في جوهره، ولا تلصق الصفة بنتاج غير المسلمين مطلقاً، مستنداً على وجهة نظره، ورابعها الأدب الإسلامي والعقيدة التي هي: سلامة في الرؤية، وامتلاء بالروح، وصحة في الوجدان، وبعد عن الانحراف والإفساد، وقدرة على الانطلاق من تصور رباني سديد، وخامستها الأدب الإسلامي واللغة.

وفي المبحث الثاني: تحدث عن المسألة الجمالية، وعرض لبعض من بحثوا في هذه الظاهرة كصالح الشامي وعماد الدين خليل، ثم تناول الأدب الإسلامي والأساليب الفنية الحديثة والموقف منها، ورأي من دعا إلى الانفتاح عليها، ثم عرج على خصائص الأدب الإسلامي وما يمكن الرجوع إليه من

الفارس والأسد*

لأبي الطيب المتنبي

- أَمْعَفُ اللَّيْلِ الْهَزِيرِ بِسَوَاطِهِ (١) لَنْ أَذْخِرَ الصَّارِمَ الْمَصْفُولَا (١)
وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُ بَلِيَّةٌ نَضِدَتْ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تَلُولَا (٢)
وَرَدَ إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةُ شَارِبًا وَرَدَ الْفَرَاتُ زَنْبِيرُهُ وَالْيَلَا (٣)
مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا يَسُ فِي غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتِيهِ غِيَلَا (٤)
مَا قَوِيلَتْ عَيْنَادُ إِلَّا ظُنْتُ تَحْتَ الدَّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولَا (٥)
فِي وَحْدَةِ الرَّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا
يَطُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تِيهِهِ فَكَأَنَّهُ أَسْرَجُ عَلِيَلَا (٦)
وَيَرِدُ غَفْرَتَهُ إِلَى يَأْفُوخِهِ حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إَكْلِيلَا (٧)
وَتَظْنُهُ مِمَّا يُزْمَجِرُ - نَفْسُهُ عَنْهَا لَشِدَّةُ غِيْظِهِ مَشْغُولَا (٨)
قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخَطِيءَ فَكَأَنَّمَا رَكِبَ الْكَمْيَ جِوَادُهُ مَشْغُولَا (٩)
أَلْقَى فَرِيَسَتَهُ وَبَرِيرَ دُونِهَا وَقَرِيبَ قُرْبَا خَالَهُ تَطْفِيلَا (١٠)
فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ وَتَخَالَفَا فِي بَذْلِ الْمَأْكُولَا (١١)
أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيهِ فَيَكُ كِلَيْهِمَا مَتَا أَزَلَّ وَسَاعَدَا مَقْتُولَا (١٢)
- فِي سِرْجِ ظَامِنَةِ الْفُصُوصِ طُمْرَةٌ يَأْبَى تَفَرُّدَهَا لَهَا التَّمْثِيلَا (١٣)
نِيَالَةُ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَُا تَعْطَى مَكَانَ لَجَامِهَا مَانِيَلَا
تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا وَيُظْنُ عَقْدُ عَنَانِهَا مَحْلُولَا (١٤)
مَازَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زُورِهِ حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرَضَ مِنْهُ الطُّولَا
وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ يَغِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلَا
وَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنُ فَادَتِي لَا يُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلَا (١٥)
أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدُّنْيَةِ تَارِكُ فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلَا
وَالْعَارُ مَضَاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ مِنْ حَتْفِهِ مِنْ خَافٍ مِمَّا قِيلَا
سَبَقَ التَّقَاءُ كَهْ بُوْثَةٍ هَاجِمٍ لَوْ لَمْ تُصَادِمَهُ لَجَازَكَ مِيلَا
خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحَتْهُ فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلَا (١٦)
قَبِضَتْ مَنِيتَهُ يَدِيهِ وَعَنْقَهُ فَكَأَنَّمَا صَادَفَتْهُ مَقْلُولَا (١٧)
سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَتَجَا يَهْرُولُ مِنْكَ أَمْسٌ مَهُولَا
وَأَمْرٌ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فَرَارُهُ وَكَقَتْلُهُ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلَا

المواشي:

- * خرج بدر بن عمار إلى قتال أسد، فهرب الأسد منه، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر، فهاجبه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل، فوثب الأسد إلى كفل فرسه، فأعجله عن استلال سيفه، فضربه بالسوط، ودار به الجيش فقتله.
- (١) عفره: مرغه في التراب. الهزير: الشديد. الصارم: السيف القاطع.
(٢) نضدت: جمع بعضها فوق بعض. الهام: الرؤوس. تلولا: تلالا.
(٣) الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة. والبحيرة: بحيرة طبرية، وكان بدر بن عمار واليا عليها.
(٤) الغيل: الأجمة. اللبدة: الشعر المجتمع على كتفي الأسد.
(٥) الفريق: الجماعة. حلولا: نازلين.
(٦) الأسى: الطبيب.
(٧) العفرة: الشعر المجتمع على قفا الأسد. اليافوخ: الرأس.
(٨) نفسه: فاعل «تظنه»، مشغولا: مقعول به ثان للظن.
- (٩) قصرت الخطي: جعلتها قصيرة متباطئة. الكمي: البطل التام السلاح.
(١٠) الفريسة: أراد بها البقرة التي هاجه عنها.
(١١) الخلقان: الطبعان.
(١٢) المتن: جانب الصلب. الأزل: القليل لحم العجز والفخذين.
(١٣) ظامنة الفصوص: يعني فرسا دقيقة المفاصل. الطمرة: الوثابة.
(١٤) السوالف: جمع سالفة، وهي صفحة العنق. استحضرتها: من الحضر وهو الركض.
(١٥) ادنى: اقتتل من الدنو.
(١٦) كافحه: استقبله في الحرب بوجهه. التجديل: أراد أنه طرح نفسه على الأرض عندما خائنه قوته.
(١٧) ابن عمته: أراد أسداً آخر كان قد هرب منه بعد ذلك.

فلما لنصف حرّ يومنا ومماطلته، إذ صرّ أقصى الخيل
أذنيه، وفحص الأرض بيديه، فوالله ما لبث أن جال،
ثم حمحم فبال، وفعل فعله الذي يليه واحداً فواحداً،
فتضعضت الخيل، وتكعكت الإبل، وتقهرت
البغال، فمن نافر بشكاله، وناهض بعقاله، فعلمنا أن
قدأتينا وأنه السبع^(١).

ففرع كل امرئ منا إلى سيفه فاستله من جربانه، ثم
وقفنا زردقاً، فأقبل يتصالح من بعيد كأنه مجنوب أو في
هجار، لصدره نحيط، ولبلاعيمه غطيط، ولطرفه
وميض، ولأرساغه نقيض، كأنما يخطب هشيماً، وإنما
يطأ صريماً، فإذا هامة كالمجنّ، وإذا خد كالمسن، وعينان
سجراوان، كأنهما سراجان يقدان، وقصرة ريلة،
ولهزمة رهلة، وكند مغبط^(٢)، وزور مقرط، وساعد
مجدول، وعضد مفتول، وكف شنة البراثن، إلى
مخالب كالمحاجن، فضرب بيديه فأرهم وكشر فأفرج
عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة، وفم أشدق
كالغار الأخرق، ثم تمطى فأشرع بيديه، وحفز وركبه
برجليه، حتى صار ظله مثليه، ثم أقعى فاقشعر، ثم
تميل فاكفهر، ثم تجهّم فازبار^(٣).

فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناها إلا بأول أخ لنا
من بني فزارة، كان ضخم الجزارة، فوقصه ثم نقضه
نفضة، فقضض متته، ثم جعل يلغ في دمه، فذمرت
أصحابي، فبعد لأي ما استقدموا، فهجهجنا به، فكرر
مقشعراً بزبرة، كأن بين كتفيه شيهماً حولياً، فاختلج
رجلاً أعجز ذا حوايا، فنفضه نفضة ترايلت مفاصله ثم

جاء أبو زبيد إلى مجلس عثمان بن عفان رضي الله
عنه، وعنده المهاجرون والأنصار يتذكرون مآثر العرب
وأشعارها، فالتفت عثمان إلى أبي زبيد قائلاً: يا أختبّع
المسيح، أسمعنا بعض قولك، فقد أنبئت أنك تجيد،
فأنشده قصيدته التي يقول فيها:
من مبلغ قومنا النائن إذ شحطوا

أن الفؤاد إليهم شيق ولع
ووصف فيها الأسد، فقال عثمان: تالله تفتأ تذكر
الأسد ما حييت. والله إنني لأحسبك جبناً هذان^(٤)،
فقال: كلا يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت منه منظراً
وشهدت منه مشهداً لا يبرح ذكره يتجدد في قلبي،
ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم، فقال عثمان:
وأتى كان ذلك؟ قال خرجت في صيابة أشراف من أفناء
قبائل العرب، ذوي هيئة وشارة حسنة، ترتمي بنا المهاري
بأكسائها، ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني
ملك الشام^(٥)، فاخروط بنا المسير في حمارة القيظ،
حتى إذا عصبت الأفواه، وذبلت الشفاه، وشالت المياه،
وأذكت الجوزاء المعزاء، وذاب الصيهد، وصرّ الجندب،
وضاف العصفور الضب في جحره - أو قال في وجاره
- قال قائلنا: يا أيها الركب: غوروا بنا في ضوج^(٦) هذا
الوادي، وإذا واد قديديمتنا كثير الدغل، دائم الغلل،
شجراؤه مغلّة، وأطيابه مرتّة، فحططنا رواحلنا في
أصول دوحات كنهيلات، وأصبنا من فضلات الزاد،
وأتبعناها الماء البارد.

ضربها بقدمه، كأنه يحفرها ويقلب ترابها، وذلك عند الفزع. حمحم: صوت صوتاً دون الصهيل، كأنه يكتمه في صدره. والفرس يول من الفزع. تضعضعت: ذلت وخضعت من الخوف، وتكعكت: أحجمت وتأخرت إلى وراء من شدة الهيبة. الشكال: قيد تشد به قوائم الفرس. أي، هب ليعدو وهو مقيد بشكاله.

(٥) الجربال: غمد السيف. وزردق: صف مستو. الجنوب: الذي به ذات الجنب. الهجار: حبل يعقد في يد البعير ورجله في أحد الشقين، ومشية المهجور فيها غمز وميل. والنحيط: زفير ثقيل من الغيظ. التقيض: صوت مفصل الإنسان والحيوان إذا أثقله الحمل. الصريم: الرملة المقطعة من معظم الرمل. المجن: الترس العريض. المسن: الحجر الذي يس على السيف والسكين وغيرهما. القصرة: العنق وأصل الرقية. وريلة: ضخمة كثيرة اللحم. اللهزمة: مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن. الكند: مجمع الكتفين ما بين الكاهل إلى الظهر.

(٦) الزور: ملتقى أطراف عظام الصدر. ومفرط: ممتلئ باللحم، مجدول: تام حسن الطي كأنه مفتول. الشنة: الخشنة الغليظة. البرائن للأسد: كالأصابع للإنسان وفيها المخالب، وهي الأظفار. والمحاجن، جمع محجن: وهي عصا معقوفة الرأس. أرهج: أثار الرهج، وهو الغبار. أشدق: واسع الشدق. أشرع يديه: مدّها ورفعها جداً. حفزه: دفعه من خلف، وكل ذلك صفة لتهيئته للوثبة، أقمى الأسد والكلب: إذا جلس على استه مفترشاً رجليه، وناصباً يديه. اقشعر: تقبّض وتجمّع، يستعد للوثوب. تمّيل: تمّائل. واكفهر: عبس وكلع وجهه. وازبار: تهيأ للشر وانتفش شعره.

(٧) الجزيرة: البدان والرجلان والعنق، وأصلها من الذبيحة تذبح فيأخذها الجزار أجرة له. وقص عنقه: دقها وكسرها. قضيض الشيء: كسره ودقه وسمع صوت كسر عظامه. ولغ السبع والكلب وغيرهما بلغ: شرب الماء أو الدم بلسانه. ذمر أصحابه: حضهم وشجعهم وحشهم. اللاي: الجهد والمشقة. هجهج بالسبع: صاح به وزجره ليكف. الزيرة: شعر مجتمع على موضع الكاهل من الأسد. الشهيم: ما عظم شوكه من ذكور القناقد. حولي: أتى عليه حول. اختلج: انتزع من بينهم. أصر: ضخم عظيم البطن. والحوايا: جمع حاوية. وحاية البطن: أمعائه. برير: هاج وقذف صوتاً فيه شدة وغضب. وجرجر: ردد الصوت في حنجرتة.

(٨) اصطكت: اضطربت وأرعشت وضربت الركبة الركبة. أطت: صوّتت نتيجة الخوف. ارتجت: أغلقت فلم تسمع من الرعب. حمجت: انفتحت وحدقت وتغير معها الوجه، وذلك من الفزع المستبد بها. لحقت: ضمرت. انخرلت: انقطعت، فلم يستطع الرجل أن يقيم صلبه، وكاد يخر. (انظر طبقات ابن سلام/ ٥١٠)، ومجلة الرسالة/ ٩١٠/ ١٩٥٠.

نهم ففرفر، ثم زفر فبربر، ثم زار فجرجر، ثم لحظ، فوالله خللت البرق يتطاير من تحت جفونه، من عن شماله ويمينه^(٧).

فأرعشت الأيدي، واصطكت الأرجل، وأطت الأضلاع، وارتجت الأسماع وحمجت العيون، ولحقت البطون، وانخرلت المتون وساءت الظنون^(٨).

فقال عثمان: اسكت، قطع الله لسانك، فقد رعبت قلوب المسلمين.

الهوامش:

* شعر أبي زيد الطائي، جمع وتحقيق د. نوري حمودي القيسي، المقدمة ص ٩.

** هو حرمة بن المنذر، شاعر مخضرم من طيء، أدرك عمر بن الخطاب، وجالس عثمان بن عفان (رضي الله عنهما)، ومدح الوليد بن عقبة والي الكوفة. ويقال إنه ظل نصرانياً حتى أسلم على يديه، وتوفي نحو سنة ٤٠ للهجرة.

(١) الهدان: البليد الوخم الثقيل في الحرب.

(٢) صيابة: خيار الناس وأخلصهم نسباً. أفناء القبائل: أخلاط منهم. الشارة: اللباس الحسن الجميل. ارتمت بهم: أسرعت بهم، وقتلتهم من بلد إلى بلد. والمهاري، جمع مهريّة: وهي إبل عتاق منسوبة إلى مهرة بن حيدان، قبيلة من اليمن، والأكساء جمع كس: وهو مؤخر كل شيء. يقول تمضي بنا مسرعة متتابعة يتوالى بعضها في أدبار بعض.

(٣) اخروط به السير: امتد وطال. وحمارة القيظ: شدته كأنه حمى حتى احمر. عصب القم: يس ريقه وجف من عطش أو خوف. شالت المياه: قلت ونشفت. المعزاء الأرض الحزنة الكثيرة الحمى. الصبيد: شدة الحر، والجندب: صغار الجراد أو ضرب منه. ضاف: نزل ضيقاً. والوجار: الجحر. الضروج: منعطف الوادي.

(٤) غور القوم: إذا نزلوا للقيولة نصف النهار. الفائرة القافلة. وضوج الوادي: وهو منعرجة حيث ينعطف إذا انتهى من بين جبيلين متضايقين ثم اتسع. قديديتنا: قدامنا وأمامنا. الدغل: الشجر الكثير الملتصق المشتبك، والغلل: الماء الذي يتغلل الأشجار فيسيل ظاهراً على وجه الأرض ظهوراً قليلاً. الشجراء: الأشجار المتكاثفة. فحص الأرض:

أناشودة طفل

شعر / عبدالرحمن علي الصوفي *

أنا الطفل أنا الطفل
 تُحاكي شدوّ عصفور
 أناشيدي لكم تحلو
 وبه طهر به دل
 ويبرق حوله الطل
 أهزجي بها الدرر
 وقد تطفو بها النذر
 لدى من زانه النطر
 وأمّل لو ترى أثرًا
 هي الفصل ولا هزل
 أسراريري لكم تحكي
 لأنني عارف همي
 وأسراتي وقد تبكي
 وأنتم منه في شك
 وفيلي للدني ويل
 أرى مستقبلي يخبو
 كأتني سلعة بارت
 وحقلي نابه الجذب
 ولا أحد لها يصبو
 وذاك الحمق والجهل
 وأنا غرس لدى أمي
 ولا شيء سوى يدها
 ومنها يصدق النهل
 وأبي سند لتربيّتي
 ورجلي خطوه ثقو
 ومنها نسغ تنشئتي
 هو الحامي هو الظل
 أنا دخر وعنوان
 وإن هذبت أرفعكم
 وأنا الوعي أن العقل
 أنا الإيصال والوصل
 وغشى عيشكم دل
 أنا ضوء لأجبال
 بضغفي يهدم الأصل

* شاعر سوري عمل مديراً لتحرير مجلة الواحة الزراعية.

مسرحية شعرية ذات ثلاثة أصوات من مشهد واحد

شعر / محمد عادل سليمان

مركبة التقوى

صوت : صوت ينقذني من موج الفتنة .
صوت آخر : موج الفتنة أعنف من مجدافك
مجدافي أقوى :
وحذك لا تقوى :
أعيتني الحيلة . . والتيار عنيف
بحر الظلمات مخيف :
ويدي المقلتان؟ :
قل : ويدي المرهقتان . .
أعرف . . لكنني أبحث عن مركبة تحملني
في عُرفات الإنقاذ إلى شاطئ .
لا تبحث إلا عن مركبة تحملك إلى الصخر
النائي .
مركبة . . أو زورق . . أو أي شراع .
يبلغك الحوت الأزرق . . أو تغرق في
القاع .
أبحث حتى عن قشة . . أنعلق .
القشة مركبة هشة . . تتمزق
لا وقت - الآن - لمعركة جدلية
الوقت أمامك :
البحر . . الموج . . التيار
والفتنة . . والإعصار
والمخرج أين؟ :
لا في الأين . . ولا في البين
في ماذا؟ :
فتش في ذاتك :
فتشت ، فأعيتني الحيلة :
في ذاتك مركبة الإنقاذ :
أتحسس عقلي في رأسي . . عيني في
وجهي . . أذناي تحسان التامة في كل
الجبهات . . وذراعي الأمس بهما كل
الأشياء . .
حتى قدماي تدقان مسامير الأرض بكل
الأنحاء .
هذا سر الداء .
ماذا تعني؟ :
أعني أنك مخدوع بسطوح الأشياء .
مخدوع بسطوح الأشياء؟ :
لو عقلك في قلبك لو عيت :
لو عينك بوجه بصيرتك رأيت
لو أذناك تحسان الصوت الأخفى لسمعت
لو أن يديك مطهرتان من الدم . .
لو قدماك الغائصتان بقاع الأرض تفران إلى
نهر الأنجم لنجوت .
لكني الآن أموت .
لا ينقذك من الموت سوى القوت .
القوت :
القوت :
القوت :
القوت . . وفي البحر الموج . . وليل الفتنة

* شاعر مصري نشر له النادي الأدبي في المدينة المنورة ديوان «أباريق النور» .

.. والتيار؟

_____ : بالقوت تواجه كل الإعصار.

_____ : أي القوت يكون دليلي في صحراء الحيرة

والظلمات ..

_____ : وأنا في تيه ضلالي .. قل لي ماذا أقتات؟

_____ : تقتات من الآيات

_____ : هل فيها سر القوت .. ودليلي في الحيرة

.. وهادي بصحراء حياتي؟

_____ : هل فيها مركبتي إن تعصف بي زوبعة

الفتنة؟

_____ : فيها قوتك في الجوع .. وليلك في الحيرة

.. وهذاك بصحراء ضلالك .

_____ : فيها مركبتك في ظلمات الفتنة .. فيها

مخرجك من المحنة

_____ : والقوت .. طويل .. أم موقوت؟

_____ : عجل .. أنت تموت .

_____ : عجل أنت .

_____ : اسمع ..

صوت ثالث : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. بسم الله

الرحمن الرحيم .. ألم .. ذلك الكتاب

لا ريب فيه هدى للمتقين ﴿

الصوت الأول : يا متجلي بهذاك .. أنقذني، فالوقت

هلاك .

الصوت الثاني : الآن عرفت طريقك حين دعوت .

_____ : من غير سلوك؟

_____ : الصرخة بدء الميلاد

وأذان الفجر الصادق صوت الضوء القادم

من شرفات الشمس ..

ثم تموج الحركة في الكون .. وتبدأ أولى

خطوات النفس .

_____ : أو من بالله

_____ : لا يكفي القول

_____ : أو من بالغيب

_____ : حتى هذا الإيمان المصفر على شفتيك .. لا

يخضر بغير التقوى

_____ : التقوى؟

_____ : التقوى في القلب المؤمن ميزاب الرحمة

والنور ..

_____ : التقوى فيض نور على العقل الوهبي

المكنون بقلبك

_____ : أهما عقلان؟

_____ : أجل .. عقل في رأسك تكسبه بجوارح

حسك ..

_____ : والآخر فطري في القلب يطل - إذا أبصر -

في الملكوت .

_____ : والتقوى ..

الصوت الثالث : ﴿الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون

الصلاة، وما رزقناهم ينفقون، والذين

يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك،

وبالآخرة هم يوقنون .. أولئك على هدى

من ربهم، وأولئك هم المفلحون﴾

الصوت الأول : يا شمس الإيمان أطلي .

الصوت الثاني : تقترب المركبة الآن .

_____ : أسمع .. هذا صوت .

_____ : الآن نجوت .

الصوت الثالث : تقترب المركبة الآن .

الصوت الأول : ومن الربان؟

الصوت الثالث : محمد (صلى الله عليه وسلم) .

الأصوات الثلاثة : تقترب المركبة الآن ..

تقترب المركبة الآن ..

تقترب المركبة الآن

فليركب أهل الإيمان .

موقف ابن عباس من شعر البهتان*

للدكتور / فهد العرابي الحارثي

مادام الخبر الذي مر ذكره من قليل يكشف لنا، من جهة ما، ميل ابن عباس الممكن إلى شعر الحكمة، بالإضافة إلى بعض أغراض الشعر الأخرى كما ذكرنا، فإنه من الحريّ بنا أن نقف عند بعض الأخبار التي ميزت موقفًا خاصًا لابن عباس من شعر الهجاء، على الرغم من صلته بأبرز شعراء هذا الغرض في ذلك الزمان (الخطيئة)، وعلى الرغم من إقراره بموهبته وقدراته الإبداعية.

- هو المؤمنون، وهو من أخرى الناس في الأخذ به، وتمثله والحض على اتباعه، لأنه «ترجمان القرآن» في أقواله، ولا بد أن يكون كذلك في أفعاله وسلوكه وطريقة تفكيره، وأسلوب تعامله مع الأشياء والناس.

ويقول ابن عباس: «إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوب نفسك»^(١).

وعن سعيد الجريري عن رجل قال: «رأيت ابن عباس رضي الله عنه أخذ بثمره لسانه (طرفه) وهو يقول: ويحك قل خيرًا تغنم، واسكت عن شر تسلم، فقال له رجل: يا ابن عباس مالي أراك أخذًا بثمره لسانك تقول كذا؟ قال: إنه بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء أحق منه على لسانه»^(٢).

هذه هي فحوى الفلسفة الأخلاقية التي ألزم ابن عباس نفسه بها، عفة اللسان، وعدم العمد إلى الأذى، فالؤمن قبل أن يتتبع عيوب الآخرين عليه معالجة عيوبه، والناس لهم - دون شك - عيوب يدارون افتضاحها في الملام، وهي غالبًا تظل مستورة، أو مغفلة، إلى أن يأتي الشعراء المأخوذون بالهجاء فيفضحوها كشفًا للعورات وتسقطًا للهنات وإصرارًا على الإضرار بالآخرين وإمعانًا في إيذائهم والنيل من كرامتهم وكبرياتهم.

لقد كان ابن عباس من خلال دفاعه عن حسّان بن ثابت يميز بين هجاء وهجاء. فهو، ضمن مفارقة لها منطقها، يهاجم هجاء، ويدافع عن هجاء، إنه يهاجم هجاء يفضي إلى الظلم والأذى والبهتان بين المسلمين، وهو في الوقت نفسه يدافع عن هجاء استدعته ضرورات مرحلية في تطور الدعوة، وقد قيل في «الدفاع» عن الحق والدين، بعد أن تألب المشركون لدحض ذلك الحق ومحاربة ذلك الدين.

إن ابن عباس الذي يدافع عن هذا اللون من الهجاء، مثالاً في شخص أبرز شعرائه وهو حسّان بن ثابت، يتخذ هو نفسه موقفًا آخر من الهجاء على إطلاقه، أو من ألوان الهجاء الأخرى، فهو لا يخفي إدانته للهجاء «الظالم»، ولا يوارى تحفظاته على «البهتان» وأهله.

وموقف ابن عباس هذا ينطلق من قيم مبدئية، ألزم نفسه بتدريدها، والإعلان عنها كلما واتت المناسبة، وهو في جانب من تلك القيم يستلهم روح القرآن الكريم نفسه، وهو في الجانب الآخر ينطلق من فلسفة أخلاقية خاصة لها معناها ودلالاتها.

يقول في قول الله عز وجل: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾^(١)، أي «لا يطعن بعضكم على بعض»^(٢)، وهدف هذا التوجيه القرآني الكريم - كما يفهمه ابن عباس

* عن كتابه «قال ابن عباس... حدثتنا عائشة» - الرياض ١٤١٥ هـ، من ص ٢٢٧ إلى ص ٢٤٢.

ابن عباس والحطيئة، والفرق إنما هو في كونها - أي تلك العلاقة - إما قديمة فتجددت وإما حديثة فتبثت.

والمهم هنا هو أن ابن عباس قد كرر في هذه القصة مسألة «العفو» مرتين، محباً ومشجعاً، ومنوهاً بما لذلك من فضل، فهو يقدمه على الانتقام، أو الانتصار للنفس، مادامت هناك فسحة للتسامح.

كما وردت كلمة «البغي» مرتين في سياق التكريه والتنفير، أما في الثالثة فقد وصف البغي صراحة بأنه «مرتع وخيم»، معطياً بذلك حكمه النهائي على الأذى، وعلى من يريد بالناس الأذى.

أما الهجاء فإنه - حسب رأي ابن عباس - «لا يصلح» لأنه قد يطال ما هو أبعد من المهجو، ف«يظلم» الشاعر من لم يظلمه من أهل المهجو وعشيرته، فابن عباس يدرك أن مادة الهجاء الأولى عند العرب هي «الأحساب والأنساب» ومفاخر العرق والأرومة، فلا مندوحة من الطعن في هذه الأشياء وإعلان مثالبها ومعاييبها، لأنها المنطقة الأكثر إيلافاً في وجدان العربي. وكيف للشاعر وهو في عنفوان الغضب وجنون شهوة البطش أن يتحاشى ذلك أو يتجنبه أو يبتعد عنه، وفي هذا دون ريب ظلم كبير يرفضه ابن عباس وينهى عنه.

وها هو نفسه يقول للحطيئة في المناسبة نفسها: «والله لو كنت عركت بجنبك بعض ما كرهت من أمر الزبرقان لكان خيراً لك، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك وشتمت من لم يشتمك. قال (الحطيئة): إني والله بهم يا أبا العباس لعالم! فقال: ما أنت أعلم بهم من غيرك. قال: بلى والله! يرحمك الله! ثم أنشأ يقول:

أنا ابن بجدتهم علماً وتجربة فسل بسعد تجدني أعلم الناس
سعد بن زيد كثير إن عددتهم ورأس سعد بن زيد آل شماس
والزبرقان ذنابهم وشرهم ليس الذنابي أبا العباس كالراس
فقال ابن عباس: أقسمت عليك أن لا تقول إلا خيراً.
قال: أفعل! ^(٨).

إن فيما تقدم اعتراضاً من ابن عباس على اللمز وذكر العيوب، من ناحية مبدئية، شعراً كان ذلك أو نثراً، أدباً كان ذلك أو تعاملاً يومياً في علاقات الناس بعضهم البعض الآخر: «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش» كما يعود فيقول ابن عباس نفسه ^(٥) في مناسبة أخرى. فعكرمة يحدث فيقول: «لا أدري أيهما جعل لصاحبه طعماً، ابن عباس أو ابن عمه، فبينما الجارية تعمل بين أيديهم إذ قال أحدهم لها: يا زانية! فقال: مه! إن لم تحبك في الدنيا تحبك في الآخرة. قال: أفرأيت إن كان كذلك؟ قال: إن الله لا يحب الفاحش المتفحش» ^(٦).

أما فيما يتعلق بموقفه - رضي الله عنه - من شعر الهجاء تخصيصاً، فيصادفنا هذا الخبر: «بينما ابن عباس جالس في مجلس رسول الله ﷺ (أي مكان كان يجلس) بعدما كف بصره، وحوله أناس من قريش، إذ أقبل أعرابي يخطر وعليه مطرف وجبة وعمامة خز، حتى سلم على القوم فردوا عليه السلام، فقال: يا ابن عم رسول الله أفنتي، فقال في ماذا؟ قال: أتخاف علي جناحاً إن ظلمني رجل فظلمته، وشتمني فشتمته، وقصر بي فقصرت به؟ فقال: العفو خير، ومن انتصر فلا جناح عليه، فقال: يا ابن عم رسول الله أرايت أمراً أتاني فوعدني وعزني ومنانني، ثم أخلفني، واستخف بحرمتي، أيسعني أن أهجوه؟ قال: لا يصلح لهجاء، لأنه لا بد لك من أن تهجو غيره من عشيرته، فتظلم من لم يظلمك، وتشتم من لم يشتمك، وتبغي على من لم يبغ عليك. والبغي مرتع وخيم، وفي العفو ما قد علمت من الفضل، قال: صدقت وبررت، فلم ينشب أن قدم عبدالرحمن بن سيحان المحاربي - حليف قريش - فلما رأى الأعرابي أجلسه وأعظمه وألطف في مسأله، وقال: قرب الله دارك يا أبا مليكة! فقال ابن عباس: أجروا؟! قال: جروا!، فإذا هو الحطيئة» ^(٧)، وتخلص القصة إلى أن ابن عباس قد رحب بالشاعر بعد أن عرفه، ولا ندري سبب عدم معرفته إياه أول وهلة، هل لأن ذلك اللقاء كان الأول بينهما، أو لأن ابن عباس كان قد فقد بصره، فلم يكن يدري تماماً من الذي كان يتحدث إليه. وفي كلتا الحالتين فإن ذلك لا يخل بفكرة الحديث الذي سقناه قبل قليل عن علاقة قامت، أو كانت قائمة، بين

من ثمرات المطابع

فلو كنت من زهران قضيت حاجتي ولكنني مولى جميل بن معمر^(١٣)

وكان ابن عباس تزوج امرأة بالبصرة من زهران يقال لها شُميلة، وقوله مولى جميل بن معمر أراد أنه وليه ومن قومه، وكان جميل مضرياً^(١٤).

أما القصة التالية مع ابن فسوة نفسه، فهي تظهر بجلاء الجانب الأكثر صلابة من موقف ابن عباس مع هذا الشاعر ومع شعره الهجائي البذي، فقد روي أنه «أتى عبدالله بن العباس عليهما السلام، وهو عامل لعلي بن أبي طالب على البصرة (...). فاستأذن عليه، فأذن له، وكان ما يزال يأتي أهل البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه، فلما دخل على ابن عباس قال له: ما جاء بك إلي يا ابن فسوة؟ فقال له: وهل عنك مقصر أو وراءك معدى؟ جئتك لتعيني على مروءتي، وتصل قرابتي. فقال ابن عباس: وما مروءة من يعصي الرحمن ويقول البهتان ويقطع ما أمر الله به أن يوصل؟ والله لئن أعطيتك لأعينتك على الكفر والعصيان. انطلق، فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعن لسانك، فأراد الكلام فمنعه من حضر، وحبسه يومه ذاك، ثم أخرجته من البصرة^(١٥)».

ونحن نقول: هل الهجاء «عصيان لله»؟! أم أن ابن عباس كان قد عرف عن الشاعر أموراً أخرى، فجعل ذلك مقدمة لما سيأتي، وهو قول «البهتان»، وما البهتان هنا إلا الهجاء؟

إن كانت الأولى، فهذا يعني أن ابن عباس يظهر هنا أكثر وضوحاً وصلابة في موقفه، فهو يضع الهجاء صراحة في منطقة المحذور والمحرم، فهو سلوك من «يعصي الرحمن»، وابن عباس قد استلهم في هذا روح الإسلام وأخلاقه، إذ ينهى عن أن يلزم المؤمنون بعضهم بعضاً، كما أنه لا يحب الفاحش المتفحش كما مر بنا.

وإن كانت الثانية بحيث لا يتعلق بالهجاء من قوله ابن عباس تلك سوى وصفه بـ «البهتان»، فإن الموقف لا يقل صلابة عنه في الحالة الأولى، إذ إن قول البهتان يضع - عند ابن عباس - مروءة المرء بكافة معانيها في موضع التساؤل: «ما مروءة من يقول البهتان».

وفي هذه القصة أيضاً يردد ابن عباس فكرة «الظلم» فيجاذله الشاعر ويحاول إقناعه بموقفه نثراً وشعراً، ولكن ابن عباس لا يتزحزح، فيقسم عليه أن يدع ذلك وأن «لا يقول إلا خيراً»، وقول الخير هنا لا يشمل بالتأكيد الهجاء ولا يتضمنه.

إن الخطيئة الذي - كما ذكرنا سابقاً - يعجب ابن عباس بموهبته، وبإمكاناته الإبداعية، ثم يعتد - رضي الله عنه - بأرائه في «المفاضلة» بين الشعراء، فيسأله ويحاورة ويقره على ما يقول، هو ذاته الخطيئة الذي يجد نفسه في موضع النقد والمأخذة من ابن عباس ذاته، وقد قلنا إن ابن عباس إنما يكبر الموهبة في ذاتها، وإنما ينحاز إلى الشعر في إمكاناته ومقوماته، فهو يتحفظ هنا على «الشتم»، وعلى «الفحش»، وعلى ما يفضي إلى «الظلم»، حتى وإن صدر ذلك عن الخطيئة نفسه، وهو الشاعر المجيد، والموهبة الفذة كما يرى ذلك ابن عباس.

ومن أين لإعجاب ابن عباس بالخطيئة - مهما عظم - أن يمنع رجلاً مثله من أن يهتبل الفرصة المواتية للإعلان عن موقفه من «بعض» الشعراء، وللتعبير عن «بعض» مؤاخذته على الشاعر الذي هو محط إعجابه. إن ذلك - على العكس - سيكون أظهر لحيازة وموضوعية أحكامه وآرائه.

إن هذا الموقف من الهجاء يظهر أكثر وضوحاً مع شاعر آخر غير الخطيئة هو عتيبة بن مرداس الملقب بابن فسوة^(١٦)، وهو هجاء خبيث اللسان.

فأول ما يصادفنا من أخبار ابن عباس مع هذا الشاعر ما أورده الجاحظ^(١٧) من أنه لما مدحه قال: «لا أعطي من يعصي الرحمن، ويطيع الشيطان، ويقول البهتان»، وهو هكذا يمنعه نواله لفحشه في هجائه.

وروي أن ابن فسوة قال في ذلك^(١٨):

أثبت ابن عباس أرجي نواله فلم يرجُ معروفني ولم يخش منكري
وقال لبوابيه لا تدخلنني وسدّ خصاص الباب من كل منظر
وتسمع أصوات الخصوم وراءه كصوت حمام في القليب المعور^(١٩)

ذلك التأخي ويوهنه، لما يثيره من عصبيات وثرارات وإحن وقت. كما أن الإسلام نفسه الذي أضحى نظام حياة في المجتمع الجديد، كان عليه أن يضمن للمسلمين من المتمين إليه حقوقهم في الكرامة والاستقرار والاطمئنان، بحيث لا «ظلم» ولا «بهتان»، ولا أذى يستنزف مشاعرهم وأموالهم. والظلم

والبهتان والأذى كانت كلها من الأمور المعتادة التي لا يتورع عنها شعراء الهجاء، لاسيما المحترفون منهم ممن ظهرُوا في وقت متأخر من عصر الإسلام الأول (عصر بني أمية بالذات)، حيث نفّس الهجاء وأمعن في الفحش والتهتك والابتذال وذكر العورات وانتهاك الأعراض والحرمات^(١٦)، وحيث ازدهرت النقائص التي كانت بشكل ما إحدى الصيغ المعقدة للهجاء التقليدي. ولنا أن نقدر فداحة ما كانت تتضمنه

تلك الأهاجي - في صيغها المختلفة - من فحش وبذاءة بالنظر إلى موقف بعض الرواة منها، ثم - فيما بعد - بعض مؤرخي الأدب، إذ كانوا يستحون من روايتها أو ترديدتها أو تضمينها مصنفاً لهم^(١٧).

ولا شك أن الفترة التي التقى فيها ابن عباس بابن فسوة هذا كانت قريبة، بل شديدة القرب، من فترة الهجاء المر الذي نتحدث عنه، بل لعلها كانت إحدى مقدماتها أو إحدى المراحل التي مهدت لها، فليس لابن عباس والحال هكذا إلا أن يبدو متبرماً بما يحدث، متجهماً في وجه هذا النوع من الشعر، مواجهاً منشئيه وأربابه بتلك الصلابة أو تلك القوة في الموقف، فيصفهم بعصيان الله ويتوعدهم بقطع ألسنتهم، ثم يقذفهم في السجن ويخرجهم من البصرة (ابن فسوة في حالتنا هذه).

وليس لنا أن نظن لحظة أن موقف ابن عباس هذا من شعر الهجاء متناقض مع الصورة التي سبق أن كونناها عن حميميته مع الشعراء وتعبيراً، إذ يظهر هنا مثلاً صلباً عنيفاً يسجن الشعراء وينفيهم ويتوعدهم بقطع ألسنتهم. إننا نقول بالأحرى

ثم يطبق - رضي الله عنه - في حق الشاعر، إضافة إلى تأنيبه، عقوبتين أخريين: السجن يومه ذاك، والنفي عن البصرة.

لقد عرف ابن فسوة بفحشه وخبث لسانه، فهو «بيهت» المسلمين و«يظلمهم»، ويؤذيه في أنفسهم، وبيتزهم في أموالهم، وقد رأى ابن عباس «العالم» بأمور الدين أن ذلك عصياناً لله، فأنبأ الشاعر وأنكر عليه أفعاله، وامتنع عن أن يعطيه. كما رأى ابن عباس «الحاكم» أن من حقوق المسلمين عليه أن يحميهم من الأذى والظلم والبهتان، فتوعد الشاعر بقطع لسانه وسجنه ونفاه.

إننا هنا أمام موقف صلب ومتشدد، فهو يتخذ في حق شاعر بذئ، وفي حق شعر اشتهر بالفحش، وانتهاك الحرمات.

إن موقفاً كهذا هو الموقف المنتظر من حاكم بيده أن يحمي الناس من الأذى، فاختار تلك العقوبات جميعاً تجاوباً مع

مسؤولياته التي أنيطت به، وتناغماً مع الأمانة التي تقلدها.

الوضع هنا بكل ظروفه وشروطه ومعطياته، لم يعد يحتمل أن يتخذ ابن عباس موقفاً كالذي اتخذته مع الخطيئة، فيكتفي بعبارة كهذه:

«أقسمت عليك أن لا تقول إلا خيراً»، أو جملة كهذه «في العفو ما قد علمت من الفضل».

إن ابن عباس - مرة أخرى - حين ينحاز إلى «الشعر» والموهبة لا يعني ذلك بأي حال قبوله كل ما يقوله الشعراء، لاسيما حين يكون ما يقولونه هجاءً يحمل «الظلم» أو يتضمن «البهتان» أو يفضي إلى الأذى.

وابن عباس الذي قبل الهجاء بين مؤمنين ومشركين في حالة حرب واقتتال، وصراع بين الحق والباطل، لا يمكن أن يقبله أو يقره، لاسيما في صورته المقدعة أو المتفحشة داخل جماعة واحدة أضحت الآن في أمس الحاجة إلى حماية وحدتها وصيانة تضامنها ورعاية تأخيتها، فلعل الهجاء مما يفسد تلك الوحدة ومما يضعف ذلك التضامن، ومما يشرخ

ابن عباس لا يريد أن يتفرغ المسلمون للشعر ويشغلهم عما سواه ..

لم يعد هناك مجال لعودة الشرك إلى قلوب الذين ذاقوا طعم الإيمان، ولكن إثارة الأحقاد وبعث الضغائن عبر الشعر مثلاً، هما الطريق الأمثل إلى تفتيت هذا البناء الذي صعد، وإلى توهين تلك القوة التي تكونت وسمقت.

ومن الاحتمالات الأخرى الممكنة لفهم الخبر السابق، أن المقصود هو إفشاء الشعر لدرجة انشغال الناس به عن ذكر الله وعن القرآن الكريم كلام الله الذي انكب عليه الناس وانشغلوا به عن أي شيء سواه.

فكان ابن عباس يحذر من تجديد الصراع بين القرآن والشعر، ويحذر من عودة الشعر إلى محاولة استئناف منزلته القديمة (قبل الإسلام) من قلوب العرب ووجدانهم، فيقصي القرآن عن المكانة التي تبوأها وهي المكانة التي لا يتقدم فيها عليه أي شيء، لاسيما الشعر نفسه. فلو أتاحت هذه الفرصة وشاع الشعر تداولاً وتذكراً وانكباً، كما هي الحال من قبل، فإن ذلك سيكون هو السبيل إلى زحزحة القرآن عن سلطته على الناس، وعلى أوقاتهم، وعلى اهتماماتهم الأولى. فالشعر هو المرشح الوحيد في ذلك العصر لمثل هذه المهمة، وهو القادر على إنجازها: فيشغل المؤمنين عن ذكر الله وهم مازالوا قريبي عهد بالزمن الذي كان فيه سلطان الشعر مطلقاً، وقد يعود هذا السلطان إلى سابق عهده، وهذا ما لا يريده ابن عباس وما لا يريده الإسلام.

وابن العربي مثلاً يقول: «فلا ينبغي أن يكون الغالب على العبد الشعر حتى يستغرق قوله وزمانه، فذلك مذموم شرعاً. قال النبي ﷺ: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً»^(١٩). والقرطبي يذكر أن أحسن ما قيل في تأويل هذا الحديث: «أنه الذي قد غلب عليه الشعر

إن تلك الحميمية بالذات هي واحدة من الأسباب التي دفعته إلى اتخاذ موقف متشدد صلب كهذا الموقف، فهي قد تأخذ شكل التعبير عن غيرته على «الشعر» نفسه، إذ لا يريده أن يتحول من نبع للجمال والحرية إلى عصا غليظة تهوي على رقاب الناس فتؤذيهم في أنفسهم وأموالهم. كأن ابن عباس يريد أن يحمي الشعر، وكأنه يطمع في أن ينقذه مما هو منساق إليه على أيدي السفهاء ممن لا يستنكفون عن معصية الله، ومخالفة أخلاق الإسلام وإيذاء المسلمين.

وفي خبر له دلالاته أوردته القرطبي عن ابن عباس أنه قال: «إن النبي ﷺ لما افتتح مكة رنَّ إبليس (أي صاح) رنة وجمع إليه ذريته، فقال: ايسوا أن تريدوا أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افسوا فيهما - يعني مكة والمدينة - الشعر»^(١٨).

وهو خبر - كما نلاحظ - يتضمن ظاهراً ذمّاً للشعر (كله) وإنكاراً له.

وهو في كل الأحوال خبر لم يمر بنا في أخبار ابن عباس مثله، إذ لم يصل إلينا عن ابن عباس في علاقته بالشعر، في عمومته، إلا كل ما هو إيجابي، وإلا كل ما هو منحاز إلى هذا الفن القولي من حيث هو صوت وجدان وصدى عاطفة، ولكن مهما يكن من أمر فإن هناك احتمالات ممكنة لفهم هذا الخبر والتحاور معه، ومن تلك الاحتمالات: أن المقصود إنما هو شعر الهجاء الذي دارت رحاه بين قريش في مكة وأهل المدينة، أو بين المشركين والمؤمنين من المهاجرين والأنصار قبل الفتح، وذلك لما يتضمنه ذلك الشعر من أهاج تبعث الثارات وتحبي الإحن وتنشر العصبية وتذكي الأحقاد وتقسم المسلمين على أنفسهم بعد أن توحدوا، وبعد أن ائتلفوا تحت راية الدين الجديد، فأصبح مشركو الأمس هم مؤمنو اليوم، وأضحى أعداء الماضي هم إخوة الحاضر. إن في إحياء سيرة الأهاجي التي دارت رحاها بين الفريقين أيام الخصومة والحرب، ما يمكن أن ينشر الفتنة بين المسلمين في مكة والمدينة، وربما أعادتها تلك الأهاجي جذعة بين قريش وأهل المدينة.

الكبرى للدعوة نفسها. فإنقاذ مكة من الشرك هو غاية لا تعادلها أو توازيها أية غاية أخرى غيرها. هذا فضلاً عن أن ذلك في حد ذاته يعني انطفاء أقوى الخصومات التي كانت تواجه الإسلام في ذلك الحين. وما الذي سبق ذلك الاتحاد، وما الذي سبق ذلك الائتلاف، وهو مازال ندياً طرياً، غير الخصومة نفسها؟ ولقد كان من

أدواتها شعر الهجاء نفسه. إنها الشيء الوحيد الذي مازال في الإمكان إثارته واستغلاله من أجل الهدم وتقويض البناء. إن ذلك السياق التاريخي في تطور الدعوة هو الذي يجعل من الهجاء المرشح الوحيد لذلك الذم وذلك الإنكار، اللذين صبهما ابن عباس على الشعر. فإبليس إنما رن رنته تلك، وإنما قال قوله ذاك، بعد أن «افتتح الرسول ﷺ مكة»، فهو لم يفعل ذلك - عند ابن عباس - في مناسبة أخرى، بل فعله في هذه المناسبة بالذات.

ثالثاً: إن تعيين مكة والمدينة بالاسم في سياق الخبر لا يعيد إلى الذهن إلا الخصومة ذاتها، وما الهجاء - كما قلنا - إلا إحدى أدواتها، فإبليس لم يقل «افشوا الشعر» بين المؤمنين ثم وقف، بحيث يمكن أن يفهم من ذلك: الشعر كله (الهجاء وغير الهجاء) لكنه قال: «افشوا الشعر» .. «فيهما» أي مكة والمدينة تحديداً.

فإذا احتسبنا هذا الخبر ضمن موقف ابن عباس المعروف من الهجاء، لم يزد ذلك إذن على كونه تأكيداً على ذلك الموقف، والتزاماً لازماً به، فهو لا يناقضه بل ينسجم معه ويدعمه. وقد رأينا أن ابن عباس - رضي الله عنه - كان من أكثر الناس تقديراً للأضرار والمخاطر التي يمكن أن يسببها الهجاء على الأفراد وعلى الأمة الجديدة كلها.

الهوامش:

- (١) سورة الحجرات، الآية ١١.
- (٢) البخاري، الأدب المفرد، ص ٩١.
- (٣) البخاري، الأدب المفرد، ص ٩٠.

وامتلاء صدره منه دون علم سواه، ولا شيء من الذكر ممن يخوض به في الباطل، ويسلك به مسالك لا تحمد له، كالمكثّر من اللغظ والهذر والغيبة. ومن كان الغالب عليه الشعر لزمته هذه الأوصاف لما يوّب على هذا الحديث «باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر»^(٢٠).

فلا شك أن ابن عباس لا يريد للإسلام أن يصبح ثانوياً في حياة المسلمين، فيغلب عليهم الشعر الذي كان لا يغيرهم شيء آخر سواه قبل الإسلام.

ولا نرى تخريجاً آخر لهذا الخبر غير ما ذكرنا، وهو بغير هذا المستوى من الفهم والحوار لا يستوي مع السياق العام المعروف لسيرة ابن عباس - رضي الله عنه - مع الشعراء، ولا ينسجم مع النسق المنطقي لعلاقته بالشعر سواء بالنظر إلى الأخبار التي تنوه صراحة بحميميته مع الشعر حفظاً وتمثلاً ورواية وتقويماً، أو بالنظر إلى مشروعه العلمي في التفسير، إذ كان الشعر فيه - كما عرفنا - أحد العناصر الرئيسية. فلا يمكن أن يكون ابن عباس الذي ربطته تلك الصلة بالشعر هو ابن عباس نفسه الذي يرى في الشعر هذا الرأي الذي تضمنه الخبر السابق في ظاهره، من حيث هو ذم للشعر (كله) وإنكار له.

وإذا كان لا بد لنا من ترجيح أحد الاحتمالين السابقين في فهم الخبر المذكور، فإننا نرجح الاحتمال الأول، أي أن المقصود هو شعر الهجاء، وذلك لما يلي:

أولاً: لأن الخبر في ذاته لا ينسجم إلا مع موقف واحد بعينه من مواقف ابن عباس من الشعر، وهو موقفه من الهجاء كما مر بنا. فالهجاء هو نوع الشعر الوحيد الذي نقلت إلينا أخبار ابن عباس بأنه تحفظ عليه، بل رفضه وأنكره وذمه وعاقب عليه، وتوعد شعراءه. فهذه الروح في موقف ابن عباس من الهجاء هي الروح التي تقرب إليها الخبر السابق وتشده نحوها.

ثانياً: إن السياق التاريخي للأحداث في تطور الدعوة يجعل من فتح مكة نقطة تحول كبيرة في تاريخ الإسلام، إذ اتحدت القريتان، وهذا كان أحد الأهداف

من ثمرات المطابع

- (٤) الحافظ الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ١، ص ٣٢٨.
- (٥) البخاري، الأدب المفرد، ص ٩١.
- (٦) البخاري، الأدب المفرد، ص ٩١.
- (٧) الأصبهاني، الأغاني، (طبعة دار الكتب)، ج ٢، ص ١٩٢، وج ٢، ص ٦١٠ (طبعة دار الشعب).
- (٨) الأصبهاني، الأغاني، (طبعة دار الشعب)، ج ٢، ص ٦١٠ - ٦١١.
- (٩) عتية بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم، شاعر مقل، غير معدود في الفحول، ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وابن فسوة لقب لرحه في نفسه، ولم يكن أبوه يلقب بنفسه وإنما لقب هو بهذا. انظر الأصبهاني، الأغاني، دار الكتب، ج ٢٢، ص ٢٣٢، وانظر ابن حجر، الإصابة، ج ٣، ص ١٠٣.
- (١٠) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٨٤.
- (١١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٧٥.
- (١٢) القلب: البثر المعور: المنهدم.
- (١٣) قال هذه الأبيات «عندما وفد إلى المدينة بعد مقتل علي عليه السلام، فلقى الحسن بن علي عليه السلام، وعبد الله بن جعفر عليهما السلام، فسألاه عن خبره مع ابن عباس عليه السلام فأخبرهما، فاشترى عرضه بما أرضاه»، الأصبهاني، الأغاني (طبعة دار الشعب)، ج ٢٦، ص ٨٩٥٢.
- (١٤) انظر رواية أخرى لهذه الأبيات في الأصبهاني، الأغاني (طبعة دار الشعب)، ج ٢٦، ص ٨٩٥٣ - ٨٩٥٢.
- (١٥) الأصبهاني، الأغاني، ج ٢٢، ص ٢٣٤.
- (١٦) انظر في هذا، على سبيل المثال، ابن رشيقي، العملة، ج ٢، ص ١٧٥، بيفان، كتاب النقائص/ نقائص جرير والفرزدق، ج ١، ص ٢١٩ - ٢٢٠، ودواوين الشعراء جرير والفرزدق والأخطل، وانظر أيضاً أحمد الشايب، تاريخ النقائص في الشعر العربي، ص ٤١١ وغيرها.
- (١٧) انظر في هذا، على سبيل المثال، أحمد الشايب، تاريخ النقائص في الشعر العربي، ص ٤١٢ وما بعدها.
- (١٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ١٥٢.
- (١٩) ابن العربي، أحكام القرآن، ج ٣، ص ١٤٤٧.
- (٢٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة: دار الشعب د.ت)، ج ٦، ص ٤٨٦٧.

تعقيبات

قراءة في قصة (حكاية القط والعصفور)
للدكتور جابر قميحة

تخييل الذاتي .. واللذة من بساطة الحكى

بقلم / محمد مصطفى سليم *

يظل السرد، مهما تعمق إبداعنا القصصي في العزف على تنويعات الحداثة، هو البطل القائم بفن الحكى العربي، إذ بدونه يفقد النص القصصي عموده الفقري، ويبدو كما لو كان مجموعة من البنى المهلهلة، فاقدة المذاق، حتى لو زادت في طرح البدائل الفنية الأخرى (العقدة والحوار وغيرهما) بكثافة اللغة وتركيزها، أو تحليقها في أجواء الصور والمجازات العالية، ذات المعاني والدلالات الموحية، فالحدث المتنامي موضوعياً وفنياً، يعلن عن نفسه بالاندغام في بنية سردية، يمتلكها القاص، دون أن تفلت منه، سواء على مستوى السرد من الخارج أو السرد مع، أو السرد من الخلف.

وبين أيدينا نموذج قصصي للكاتب/ جابر قميحة، هو الثاني بعد قصة (على شاطئ النيل)، المنشورة بجريدة (المسلمون) عدد (٣٣٨)، والتي تعد خطوة فنية متقدمة على (حكاية القط والعصفور) فيما يخص آليات القصة الحديثة. فالأولى قصة حالة وغوص في نفسيات الشخصية، مع تهميش الحدث، أما الثانية، فتستمد من العنوان هويتها بأنها حكاية .. حدث، مما يفرض علينا أن ندخلها فنياً وتاريخياً،

* معبد بقسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الأزهر، فرع بني سويف.

زمن بعيد :

إن الفضاء الزمني للقصة يعود بالكاتب والطفل إلى أربعينيات هذا القرن، إذا التقطنا خيط التوحد بين الكاتب والراوي (البطل) في منطوق الحكيم، حيث يستهل القصة بـ (كنت) وتاء الفاعل المتفشية في أفعال الجمل اللغوية للقصة، بما تنطوي على ذاتية لا فكاك منها داخل النص، أضاف لها الكاتب من الخيال ما يقر بها إلى جنس القصة وفاء للفن، وإلى جانب هذا التخيل الفني لمعين الذات، بمنأخها الطفولي وزمنها الضارب في جذور الصبائية، التي تشي ببراءة الإحساس وشفافية التلقي، فإن زمن الكتابة يقف بنا عند مرحلة متأخرة لكاتب قصة البطل (الذي هو القاص نفسه) نراها تتشابه مع مضمون المحكي عنه، بالدلالة على الالتقاء عند حد أزمة الثقة نتيجة الفرع والقلق على كسرة الخبز، بما يسببه القط الأعور، الذي مال عليه الكاتب ليختزل عناصر الفساد المستشرية في الواقع القديم المعاصر، والمكرسة للصورية تهدد قوت العامة، فيما تلقية من رعب في القلوب، وتعجزهم عن الصمود وصولاً للإذعان التام، وتمثل هذه العناصر في قطاع ضئيل زبقي، يتأبى على المواضعة ضمن فصيل العامة، ويقترب من أهل الباطل والعوالم السفلية، بكل ما أبرزه القاص من شيطنة القط الأعور، الذي يظهر ليختفي، ويختفي ليظهر من جديد، وهكذا في ديمومة الوجود، فإذا كان عمي (حسن الفران) قتل هذا القط (كما تعالت صيحاتهم توهماً) بحديدة القرن الساخنة (لأنه حاول خطف رغيف من طاولة العيش)، فخلفه قطط عوراء موجودة، وستخرج من بين أهل الحي، ولكأن جابر قميحة يوصف إشكالية القضية توصيفاً أبدياً، يكاد ينتهي بها إلى حد المطلق، والثوابت القيمية المستقرة في النجدين، أو النفس الإنسانية الملهمة بفجورها وتقواها. وبالتقابل الأبدي المطلق أيضاً يصعد بالخير الذي يجب ألا يستسلم لهذه الممارسات، ويقف لها بالمرصاد بطريقة آليه، وهذا ما عبرت عنه ببراعة كلمة (حاول)، فمجرد المحاولة من القط لخطف الرغيف تستوجب قتله، وكما كانت كلمات الأب بأن (قتله

تحت ما يمكن تسميته بـ كلاسيكية القص، المتكى، في سرد الحدث، على منطق سلمي متصاعد، تظل فيه الحكاية محك الإبداع والتخيل، ومركز الصناعة الأدبية، مع تقليص شاعرية اللغة وأداءاتها المجازية، المطلوب توظيفها في تقنية القص الحديث. وهنا أعرض القاص/ جابر قميحة عن هذا الجانب، ولم يستفد من كونه شاعراً في تدبيج النص القصصي التخيلي وهو المؤهل لذلك، مما يجعله منتماً إلى ذلك الفصيل المغرم بوليد اللذة من مكمّن البساطة والحكي النمطي المتدرج، الذي ظل متواتراً بين المبدعين منذ أوليات الفن القصصي وحتى غالبية جيل الستينيات، رغم ما أحدثته فيهم هزيمة حزيران من هزة عنيفة، وترسبات صنعت بداخلهم حالات تمردية، راحوا معها، يضمرون روح المشاكسة والتصدي للتصدعات الاجتماعية الناجمة عن انكسار المشروع القومي التسليطي، ويشكل ترك بصماته على الواقع الأدبي بكياناته الإبداعية، فأفرزوا منتوجات قصصية كسرت هندسة الرواية التقليدية والقصة القصيرة، وكاتبنا واحد من الذين عاشوا في هذا المناخ وتأثروا به . . . هكذا أظن .

لكن (حكاية القط والعصفور)، تقدم لنا شفرة مزدوجة، دالة على أن قاصها لم يكن من أولئك المتمردين فنياً، على جنس القصة القصيرة بوجه خاص، وفي الوقت الذي يشهد فيه هذا الجنس تطوراً مذهلاً، وإن كان شديد التمرد على المجتمع، الذي غابت عنه منظومة القيم والمبادئ، وانكسر - أول ما انكسر - الإنسان العربي المسلم، باستشعار حالة التقزم المخزي أمام تفحل أبناء صهيون، كما تعكس القصة، أيضاً، رفضه الشديد للبطولة الجوفاء، والرنين الأجوف لفيالق الإعلام المضلل، وتمثله زفة الصبية وهم يرددون نشيد الخلاص من القط الأعور، الذي يهدد الحي كله، ويروع الأمنين، ويهاجم وجودهم المتجسد في كسرة الخبز وصغار الطيور (ذخر البيوت)، وهذا ما سنوضحه، دوغما انفصال عن التحليل الفني لآليات الحكيم والقص المتدرج بتدرج حكاية (القط والعصفور) .

بين أطفال الحارة [تأمل بساطة القول] أو المدينة كلها، والتي يكررها أكثر من مرة.

وكما ندرت التعبيرات الموحية، ذات التكتيف الدلالي، فإنه وجدت تعبيرات مستهلكة، هي من صميم الملابس مع المقروء والمسموع في واقع الحياة اليومية، فضلاً عن ترهل جسد النص، الذي يعج بأدوات العطف والربط للدرجة التي يتحول وجودها إلى ضرورة بين الجملة والجملة، والفقرة والفقرة، حيث دائماً تستهل الفقرة الجديدة بواو العطف، وبفزة جديدة للحدث في شكل يتصاعد بانتظام، وصولاً إلى العقدة والحل مثل (ومر أسبوع - ثم كان صباح يوم جمعة - وبقدر فرحي بالعصفور - وفجأة حدث ما لم يخطر ببالي - وتغير الموقف تماماً). وكان لهذا النهج أثره الواضح في تلمسنا لحشو زائد على حاجة النص، مثل قوله معقّباً على كلمة (آخر العنقود) بأنه (أي آخر الأبناء وأصغرهم) فهذا مفهوم وقار في ذهن المتلقي العادي، ولم تكن هنا ضرورة فنية لهذه الإطالة. ثم حرمانا القاص من لذة التأمل عندما اقتحم ساحة القارئ والمتلقي، أي ساحة الدلالة التي يتركها الكاتب، حتى يعيد تأويل المقروء دلاليًا، وبدلاً من أن ينهي القصة بلحظة تشويقية تسحب القارئ إلى أن يرفع رأسه عن القصة، ويسترسل في تأمله بغية تسويدها، ولملمة هوامشها، وخاصة عندما فرغ الطفل من معركته مع القط منذ دقائق، وفجأة نصت لمظاهرة تجر نفس القط ميتاً وقد انتفخت بطنه، وعندما يسأل الوالد عن زمن قتله فيجيب أحد الأولاد (امبارح . . امبارح بعد العشاء). ولو توقف القاص عند هذه الإجابة نهاية للقصة لأحدث نوعاً من المد والجزر بين النص والمتلقي بذائقته النقدية، لكنه أثر النهاية الموسومة بلحظة (التنوير) فيقول (وندت مني صرخة مفزوعة . . ووقعت مغشياً علي) ليتسلط على القارئ بهذا الحشو الزائد، الذي أظنه جاء من قبيل الحرص الشديد على رصد ما حدث فعلاً، بتفاصيله التي لا بسها القاص أو البطل، فكلاهما مسكون في الآخر، أو ربما يكون القاص هو نفس البطل.

حلال شرعاً) مشكلة لبساطة ائتمان شرعية أو مرجعية عقدية ينطلق منها للمواجهة، التي تضخمت داخل الابن، وكانت دافعاً قوياً له للمبادرة بمحاولات القتل، وإن قلل من هذه النتيجة ظلال النفع الذاتي المارود للصبي، في صورة تحقيقه لبطولة فردية ذاتية، تطير باسمه بين أهل الحي أو المدينة كلها. وكذلك مشهد التسلية بالعصفور، بما يعد نشاراً لا يتسق وطبيعة الهدف المضمن في القصة، وإن اتسق مع منطق الطفولة.

حكاية بسيطة :

وأمام هذه الروح المسيطرة على بطل القصة، وهي الصبي، يأتي الحكوي عنه في بساطة، تنأى عن التعقيد والتكلف، على مستوى التشكيل النصي والصياغات اللغوية، وتقرب من الارتواء القصصي عبر لذة نقية، تستمد سميتها لا من ظلال اللغة، وإنما بحصد المفاجآت المتتابعة من تتبع تفاصيل المواجهة بين القط والطفل، وخاصة المشهد المربع بينهما في حجرة مغلقة تماماً، والمطاردة المثيرة، والتي تلقي بظلال الفرع في نفس القارئ، وهو يتابع وقع العصا على ظهر القط الأعور، فبدلاً من أن يتوجع نراه يطلق صرخة هستيرية شديدة، ثم يتحول إلى حيوان غريب . . يكبر ويتضخم، ويهجم على الطفل، ولتأمل هذه الجملة السلسلة التي لم تتخلص من براءة طفولية (تحول إلى حيوان أسود غريب السحنة . . أعور العين . . أكبر من القط أربع مرات على الأقل)، وكانت هذه الطريقة سبباً في وقوع الكاتب على المباشرة في الأداء.

كما يرتبط الخلاص في القصة بهذا الفضاء الطفولي، من منظور البطولة الفردية والخلاص الفردي، الذي يتماس مع أغراض المدائح النبوية والسير الشعبية، حيث الهروب من انجرافات الواقع الحاضر، عبر الارتحال في أحضان الماضي الذهبي، ببطلاته المجسدة في فرديات معدودة، وفقاً لزمانها ومرحلتها. فهذا الطفل يسعى للنصر والبطولة في صراعه مع القط الأعور، رغبة في نوال إعجاب والديه، وسريان شهرته

علي محمود طه شاعر العروبة والإسلام

بقلم / د. حسن فتح الباب



علي محمود طه

كم من أغنيات عذبة شجية، رددتها قيثاره الشعراء، منذ وعى الإنسان سحر الكلمة؛ تمجيداً للحرية، وحثاً للأفراد والجماعات على الدفاع عنها، والتضحية في سبيلها، بالمال والنفس (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) كما يقول الشاعر العربي القديم. وتحمل قصائد الحرية ألمع الصفحات في التراث الإنساني، إذ تغنى المبدعون في مختلف العصور بهذه القيمة العليا، التي لولاها لما قامت الحضارات، ولما قطع الإنسان شوطاً بعيداً في طريق التقدم والازدهار، كي يتحقق مغزى استخلاف الخالق العظيم ابن آدم، وهو عمارة الأرض.

الحديوي توفيق الذي استنجد بالإنجليز، وباءت الثورة بالفشل، ونفى زعمائها ومنهم البارودي إلى جزيرة سرنديب (سيري لانكا الآن).

وجاء شوقي ليخلف البارودي على عرش الشعر العربي، فكان خير خلف لخير سلف، إذ أضاف أوتاراً جديدة إلى قيثاره الإبداع، منها وتر الحرية الذي أجاد العزف عليه. وكان هو وشاعر النيل حافظ إبراهيم فرسي رهان في هذا المضمار، فأصبحا في عصرهما حداة الركب الشادي بقيم الحرية والبطولة، وحفز الهمم لمقاومة الاحتلال الإنجليزي، ومناصرة الشعب في ثورة ١٩١٩م التي قادها الزعيم سعد زغلول، والتغني بقضايا التحرر في العالمين العربي والإسلامي.

وقبل أن يرحل شاعرا مصر الكبيران كانت قد نشأت مدرسة شعرية جديدة هي مدرسة أبولو التي اختارت في نشأتها الأولى أمير الشعراء ليكون رئيساً لها، ولكنها اتخذت لنفسها مساراً خاصاً وهو ما سمي بالتيار الرومانسي الذي يقوم على التعبير عن الوجدان دون أن يغفل قضية الحرية.

لذلك كانت حرية العقيدة مبدأ أساسياً في الإسلام، وفي سبيل إقرار هذا المبدأ نزلت الآيات البينات، وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة، تدعو إلى العمل به، والذود عنه، والجهاد في سبيل إعلائه، ونشره في الأرض. وقد تسابق شعراء الدعوة الإسلامية في نظم القصائد التي تحض على مقاومة المشركين الذين يصدون عن سبيل الله، ويؤذون من اختاروا عقيدة التوحيد للتحرر من الشرك والبهتان والطغيان.

ويستعيد شعر الحماسة نصرته في الشعر الحديث، على يد محمود سامي البارودي رب السيف والقلم، ورائد مدرسة الإحياء الشعري، فقد بث في هذا الشعر الروح التي خمدت في عصر المماليك والعثمانيين، بفضل موهبته الغنية، وقريحته الوقادة، وإطلاعه على عيون الشعر العربي في أزهى حقبه. وكانت تجربته العسكرية زناداً قدح لهيب عبقريته الشعرية، إذ اشترك في حرب إقريطش (جزيرة كريت في البحر الأبيض المتوسط) التي نشبت بين الجيش المصري الموالي للخلافة العثمانية وبين الجيش اليوناني. كما اشترك في الثورة العربية سنة ١٨٨١ ضد

صوت أصيل في شعر الحرية :

ومن أنبغ أبناء هذه المدرسة الشاعر علي محمود طه، الذي لم تصرف نزعة الوجدانية عن معاشة بني وطنه وأمه في أحزانهم وأفراحهم، وتجاوبه معهم في آمالهم. ولا غرو أن يتضمن ديوانه عدداً من القصائد التي غنى فيها للحرية والأحرار، إذ كانت مصر وكثير من أقطار الوطن العربي الكبير ترزح تحت نير الاحتلالين الإنجليزي والفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى، وفرض الحلفاء هيمنتهم على البلدان التي كانت تستظل براية الدولة العثمانية.

وقد أرهف أدوات الشاعر الفنية في التعبير عن الحرية نزوعه إلى الثورة على كل ما يكبل الفرد من قيود وأغلال، تحول دون ازدهار ملكاته وطاقاته، فذلك النزوع سمة تتوافر في الشعراء الوجدانيين جميعاً، وتتجلى ساطعة في إنتاجهم. ويكفي أن نذكر في هذا المقام محمود حسن إسماعيل، وإبراهيم ناجي، وأبا القاسم الشابي، وسواهم من شعراء العروبة الذين جددوا في شعر الحرية بما ابتدعوه من صياغات جديدة وصور مستحدثة وإيقاعات هامسة، وإن كنا لا نعدم قصائد ذات نبرة عالية في شعر أصحاب هذه المدرسة.

ومن أهم ما يميز شعر علي محمود طه في الحرية، خلوه من نزعة التشاؤم والحزن واليأس، التي نعرفها فيما صاغه من تأملات في أحوال النفس والطبيعة والكون، انعكاساً لإحساسه بجهامة الواقع وانتهاء حياة الإنسان بالموت طال بها الزمن أم قصر، وما يكابده المرء من محن في رحلته على هذه الأرض. ذلك أن شاعرنا يدرك أن الحرية جنة محفوفة بالمكاره، وقد تصل ضريبتها إلى التضحية بالحياة، ولكن ثمرتها تستحق كل ما يبذل في سبيلها، فمن يخطب الحسنة لم يغلها المهر كما يقول الشاعر القديم. وهذه الشمرة هي استرداد الأرض المغتصبة ووقاية العرض من الدنس، وهي الأمن والسلام، والعزة والكرامة للشعب والأمة. فإذا رويت شجرة الحرية بالدماء فسوف تزهر غداً وروداً على وجنات الأطفال. أما الشهداء فسوف يلاقون ربهم بوجوه نضرة مستبشرة، وينعمون بجنة تجري من تحتها الأنهار وبذكر باق في الأجيال.

وهذه المسرات والمباهج هي التي تضيف على شعر الحماسة عند علي محمود طه وأقرانه من شعراء الحرية مسحة من التفاؤل والأمل في الغد، فهم إذ يحرضون المناضلين في سبيلها على الصمود في وجه أعدائهم، ويستحثون الرقود على اليقظة لدرء الذلة عنهم، يتوسلون إلى ذلك بتصوير نعمة الجهاد وما سوف يجنيه أصحابه وأهلوه وأبنائهم من بعدهم من ثمرات العزة والسودد. وتلك هي المعاني التي تفصح عنها قصائده الوطنية والقومية والإنسانية. فهو يقول في قصيدة (الأجنحة المحترقة) :

وإذا دعتك الحادثات فلَبَّها
ليضنَّ بالأعمار كل معاجز
ليثر على القضبان كل معذب
هذا الزمان الحر ما لشعوبه
لم تبصر الأمم الحياة على سنى
كالنار في شفق الدماء القاني

هكذا يرى الشاعر أن القرن العشرين هو عصر حرية الشعوب، إذ ثارت فيه الأمم المحكومة بسلاح المستعمرين على أغلالها، وانتفضت كالمارد جموعها، لتحدى القهر والاستعباد، فالحرية هي النور الذي يضيء طريق البشرية، والنار التي تذيب الأصفاد، بل هي جوهر الحياة، ولولاها لأطبق الظلام على الأرض وساكنيها، وتحولت إلى عدم، والشهداء هم الذين يحولون دون هذا المصير التعس. ومن ثم يقول علي محمود طه في هذه القصيدة :

لولا الضحايا الباذلون دماءهم
طوت الوجود غيابة النسيان

الهجرة في سبيل الحق والحرية :

وحين تشرق شمس العام الهجري الجديد ١٣٦٢ هـ نجيش خواطر الشاعر، فيستعيد في ذاكرته ما بذله المهاجرون مع رسول الله ﷺ من تضحيات في سبيل رفع الراية الإسلامية الخفاقة بمآثر دين الحق والعدل والحرية :

هجرت أوطانها واغتربت
أنفت عيش الرقيق المجنى
صفحات من صراع خالد
في مثالي من المبدأ سام
وأبت ذل الضمير المستضام
ضمنت كل فخار ووسام

لم تمنعه نزعتيه الوجدانية من معاشة أمته أحزانها وأفراحها

من المؤمن الضعيف كما جاء في الحديث النبوي الشريف، ولا مكان للبيد الأذلاء :

أحرار دهرهم المستيقظون لها ومن عصافهم الموتى الأرقاء
شدوا على العروة الوثقى سواعدكم لا يصد عنكم بالخلف مشاء

ويعود الشاعر في هذه القصيدة إلى وصف العصر بأنه عصر التحرير، وهو يناشد أقطاب العرب أن ينقذوا أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، بعد أن دنست حماه أقدام المحتل الغاشم.

فاقصروا حقوق إخاء تستجير به أخت لكم في صراع الدهر عزلاء
أحلها ذهب الشاري وحرّمها عصر به حرّر القوم الأذلاء
حربان أنختها أدمعاً ودماً تنزويها مهجة كلمى وأحشاء
تطلعت لكم ولهى أليس لها على يديكم من العلات إبراء؟
حملتها العهد فيها عن أبوتكم إن البنين لحمل العهد أكفاء

وفي شهر سبتمبر سنة ١٩٤٤م تبلغ سمع الشاعر أنباء مبشرة بأن الحرب العالمية الضروس توشك أن تضع أوزارها، فكتب قصيدة تصف شعوره بيوم الهدنة المرتقبة، وتنبض ألياتها بالأمل، في عالم جديد ترفرف عليه أعلام الحرية :

أوحقاً قربت من متهاها هذه المحنة وأنجاب دجاها؟
أغداً تستقبل الدنيا منهاها حرة تشدو بمكنون طواها؟
وأرى حرية عز حماها لم يضع عقباه من مات فداها؟

ويهدف علي محمود طه للحرية حافزاً القوى إلى الكفاح والنضال في سبيل قضية الشعوب العربية، في الوقت الذي تتقرر فيه مصائر الشعوب بعد الإعلان عن انتهاء الحرب، وإنشاء منظمة الأمم المتحدة. وقد ضمن قصيدته التي نظمها في هذا المقام بعنوان (إلى أبناء الشرق) شعوره بالارتياح في وعود الخلفاء، بعد أن ماطلوا العرب في الجلاء عن أراضيهم، وهم الذين مددوا إليهم يد العون في الحرب، واستنهض عزائم

لم تتح يوماً لجبار طغى بل لداع أعزل في قومه
زلزل العالم من أقطاره وبني أول دنيا حرة
تسع الدنيا على ألوانهم أو لباغ فأتك السيف عرام
مستباح الدم مهدور الدمام
بقوى الروح على القوم الطغام
برثت من كل ظلم وأثام
لم تفرق بين أرى وسامي

ومن التغني بالذكريات العزيزة التي يبعثها العام الهجري ينتقل الشاعر إلى تصوير مأساة الحاضر في الديار الإسلامية، فيعجب كيف ارتضى أهلها ظلم المستعمرين الأجانب، وهم أصنام البشر التي يحني لها المستذلون جباههم، ورسول الله الكريم لم يطلق صبراً على الأصنام الحجرية والخشبية فحطمها تحطيماً. وكيف يتجاهل هؤلاء المستعمرون الطغاة أن العصر هو عصر الحرية، كما سبق أن قال الشاعر في قصيدته (الأجنحة المحترقة)، وإلام يقعد المسلمون عاجزين عن الذود عن حماهم المستباح واسترداد حرياتهم المغتصبة :

وعجيب صنعهم في زمن أبصر الأعمى به والمتعامي
بشروا الناس بدنيا ويحهم أي دنيا من دمار وحمام
تسلب الناس حجاجهم وترى أم الأرض قطيعاً من سوام

ويختتم القصيدة بتحريض الأمة على التحرر من أثقالها، والجدود في سبيل استعادة أمجاد الأمة، والتبشير بغد مشرق لا ضيم فيه ولا مهانة، فالظلم ساعة والعدل إلى قيام الساعة :

قل لها يا عام لاهنت ولا كنت إلا مهد أحرار كرام
ذاك مجد لم ينله أهله بالتمني والتغني والكلام
بل بالآلام وصبر وضى ودموع ودم حر سجام
فاستعدي لغد إن غداً نهزة السباق في هذا الزحام
واجمعي أمرك لليوم الذي يحمل البشرى لعشاق السلام

شدو على معزف التضامن العربي :

ويخاطب علي محمود طه زعماء الشعوب العربية الذين التقوا في شهر سبتمبر من عام ١٩٤٤م بالإسكندرية لتكوين الجامعة العربية، محيياً روح التضامن والإخاء التي جمعت شملهم، ومذكراً بترائهم العريق في الحرية، حاثاً لهم على التماس أسباب القوة، فلا حياة للضعفاء، والمؤمن القوي خير

تصل بين الأرض التي انبثق فيها فجر الإسلام وأرض الكنانة
التي ازدهر فيها :

وللنيل أمواج يثين صبابه بأفراح دور فوقه ومغان
يُحيي بك الشعب الحجازي شعبه وفيك يحيي القبله الحرمان
أفي مصر أم بطحاء مكة يومنا هنا وطن أم هاهنا ووطننا؟
وتلك قطوف النيل دانية الجنى أم أنْ قطوفاً للرياض دوان؟

وناشد ملوك العرب ورؤساءها أن يجمعوا أمرهم، حتى
يحققوا تطلع شعوبهم إلى نيل الحرية والاستقلال، ويجبروا
قادة الدول الأوربية على الوفاء بعهودهم .

أناشدكم والشرق بين مطامع تهدده في حوزة وكيان
أرى حلفاء الأمس لم يحفلوا به ومازال من خلف الوعود يعاني
وما قر في ظل السلام بعهد ولا ناز من حرية بضمن

وقد ظل علي محمود طه وفيًا لأمته في السراء والضراء،
فلم يدع حدثًا تاريخيًا يقع، أو محنة تصيب هذه الأمة، أو
مؤتمرًا سياسيًا يعقد دون أن يضطلع برسائلته الشعرية في إذكاء
لهيب المشاعر بما كان يلقيه في المحافل أو ينشره في الصحف
من قصائد حماسية تمجد الحرية وتدعو إلى وحدة الصف
والهدف، وتحث على التضحية .

وكانت قضية تحرير فلسطين لحناً سياسياً في معزفه، إذ
استلهمها عديداً من القصائد أو المقاطع التي تتضمنها قصائده
السياسية، ومنها تلك التي كتبها في يوم الحداد العام الذي
أعلنته الدول العربية في الثاني من نوفمبر عام ١٩٤٥م،
احتجاجاً على وعد بلفور المشؤوم الذي وقع في مثل ذلك
اليوم من سنة ١٩١٧م، وأعطى به من لا يملك وعداً لمن لا
يستحق، وقد صور علي محمود طه في الأبيات الآتية التي
يخاطب فيها فلسطين الصراع الذي خاضته الجيوش الإسلامية
منذ الفتح، وهزيمة الرومان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب،
حتى تحرير القدس من برائن الصليبيين في عهد صلاح الدين :

ألا يا ابنة الفتح الذي نور الثرى وطهر دنيا من طغاة وضُلال
وأكرم قومًا فيك كانوا أذلّة فحررهم من بعد رق وإذلال
هو الشرق ألقى من يديه قيوده فلا تحسبه في قيود وأغلال

وهو يندد في ختام هذه القصيدة مثلما ندد في قصيدة

تميز شعر شاعر الجندول بخلوه من التشاؤم واليأس .

الحكام العرب وشعوبهم، للمطالبة بتنفيذ المواد المنصوص
عليها في ميثاق الأمم المتحدة، والتي تقضي بحق الشعوب
المستعمرة في تقرير مصيرها وهو ما يعني حصول العرب على
حريتهم المستلبة .

السنا بني الشرق من يعرب أصولاً سمت وجباها تعالى؟
أجئنا نائل عطف الحليف وثرب منه الندى والنوال؟
نصرناه بالأمس في محنة تمادى الجبابر فيها صيالا
فكيف تناسى حوارية غداة السلام وأغضى ومالا؟
أرداً الحقوق لأربابها وأعفاهم من طلاب سؤالا؟
ورفت على الأرض حرية تالق نوراً وتندى ظلالا؟

ويخاطب الحليف الغربي ليذكره بما قطعه على نفسه من
عهد، ويستتجزه وعده بتحرير الشعوب، وينعى عليه تسليمه
فلسطين لشذاذ الآفاق من الصهاينة :

وعدت الشعوب بحق المصير فما لك تقصى وتغلى ارتجالا؟
أنتصب من أهلها أرضهم وتسلم للغير نهباً حلالا؟
أليست لهم أرضهم حرة يسودون فيها الدهور الطوالا؟

كما ينعى على فرنسا عدوانها على المواطنين الأبرياء
العزل من السلاح في سوريا ولبنان، لمطالبتهم بإجلاء جيوشها
عنها، وكان الأحرى بها بعد ما ذاقته من ويلات المحور ألا
تصب جام غضبها على من ناصروها في حربها ضد النازية،
وأن لا يكون جزاؤهم منها جزاء سمنار .

وحين حل بمصر في يناير ١٩٤٦م موكب الملك
عبدالعزیز آل سعود - رحمه الله - حياه الشاعر بقصيدة
عنوانها (لقاء ودعاء) ضمنها آمال العروبة في التضامن القومي
الكفيل بتحرير أقطارها المحتلة، ونوه بالأحداث التي تحيط
بالشرق العربي من أدناه إلى أقصاه، وكانت الثورة تعم كثيراً
من البلدان العربية والآسيوية . كما أشاد بالعروة الوثقى التي

صور شاعرنا مأساة الديار الإسلامية ، وحث أهلها على طرد مستعمرهم

الأدب العربي خاصة وفي الأدب العالمي عامة :

أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق القدا
أنتركهم يغصبون العروبة مجد الأبوّة والسؤدد
وليس بغير صليل السيوف يجيئون صوراً لنا أو صدى

أبطال الحرية وشهداؤها في الشام :

ومن أشجى الترانيم التي رجّعها علي محمود طه على
ناي الشعر القومي مرثيته للقائد السوري يوسف العظمة ،
الذي سقط في ساحة الجهاد سنة ١٩٢٠م وهو يواجه جيش
فرنسا ، يفوق جنوده أضعافاً في العدد والعتاد دفاعاً عن دمشق
قلعة العروبة . وكان استشهاده أول جذوة نفخت نارها في
الثورة الوطنية السورية ، وقد نشر الشاعر مرثيته هذه بعنوان
(شهيد ميلون) في الذكرى السادسة والعشرين ، وقد مزج
فيها جماليات الطبيعة الدمشقية بآيات الفداء التي تمثلت في
ذلك البطل ، وشجب خُلف فرنسا وعدّها بالخلاء عن سوريا
وشنها هجوماً مفاجئاً على دمشق الفيحاء ، وخلد في أبياته
شهيد الحرية البطل وبشر المجاهدين بالنصر المبين :

أسعى إليه بكل ما جمعت يدي وبكل ما ضمت إليه جوانحي
وهو الجدير بأن أحيي باسمه في الشرق كل مناضل ومنافع
من كل حر نافض مما اقتنى يده ووهاب الحشاشة مانع
قل للدعاة المحسنين ظنونهم بالغرب ماذا في السراب لمانع؟
لا تغرينكم وعود مخالف يطأ الممالك بادعاء مصالح
بأيوسف العظما غرسك لم يضع وجناه أخلد من نتاج قرائع
قم لحظة وانظر دمشق وقل لها عاد الكمي مع التفير الصادح
ودعاك يا بنت العروبة فانهضي واستقبلي الفجر الجديد وصافحي

لقد تحررت سورية من ربة الاستعباد بفضل تضحيات
رجالها ، فجاش في خاطر الشاعر أن يحيي استقلالها بمناسبة
مرور عام على جلاء الجيوش الأجنبية عنها ، بقصيدة عنوانها

(إلى أبناء الشرق) بنكت أوروبا المنتصرة في الحرب بعودها
للغرب ، ويسخر من خداعها الذي لم يعد ينطلي على من
ينظر ويسمع ويعي .

وفي استقبال مصر سنة ١٩٤٦م للمجاهد الإسلامي
الكبير مفتي فلسطين الشيخ أمين الحسيني إثر هربه إلى مصر
من منفاه في باريس ، جاشت خواطر الشاعر فحياه بقصيدة من
عيون شعره مشيداً فيها بالحرية والأحرار :

تعانق العائد المنفي في بلد حماء للحر إعزاز وإكرام
ديار مصر ومن يلجأ لساحتها فقد حمته من الأحداث آجام
ويحطم القلم العاني بحومتها أصفاده ويرق الماء والجرام
قد أقسمت لا ينال الدار مغتصب حتى وإن شرقت بالنار أعلام
في الله في الحق في الإسلام كل دم يسيل فيها وجرح ليس يلتام

وقد ختمت بالمعنى الذي تردد كثيراً في شعره الوطني ،
وهو تحذيره للشرق من مكر الغرب ، وفصح مقصد أهله
الدنيء ، وحفز العرب إلى استمرار الجهاد وإعادة سيرة آبائهم
الأبطال رواد الحرية في الآفاق :

يا شرق يا شرق لا تخذعك دعوتهم واقبض بدأ فحديث الحقد أوهام
أكان غير عيون الزيت دافقة من قلبك الغض يجريهن سجام؟
وكان غير أنابيب يحسوط بها ضلوع صدرك قهار وظلام
قد قسموك مطارات وما عملوا إلا لحرب لها في الكون إضرار
أكنت غير القذى في غير تضحية إن هم عليك بسرب للردى حاموا
وأنت يا أيها الفادي عروبتك إسلم فديتك لا غبن ولا دام
جهاذك الحق مظلوماً ومغترباً وحي لكل فتى حر وإلهام

لقد كانت فلسطين الجرح النازف في قلب الأمة العربية
والإسلامية ، فلا غرو أن تنضح أفشدة الشعراء حزناً على
ابتلائها بأعداء الإنسانية وقتلة الأنبياء ، وأن ينتكئ هذا الجرح
كلما حاقت بالأمة نازلة . وقد كان علي محمود طه في طليعة
الشعراء الذين عبروا أصدق تعبير وأبلغه عن نكبة فلسطين
ومأساة أهلها المشردين في الأرض ، والقابعين في الخيام تحت
رحمة لجنة غوث اللاجئين وقسوة الطبيعة في زهرير الشتاء .
ومن ذا الذي ينسى رائحته التي غناها محمد عبد الوهاب
فجرت على كل لسان وترددت أصداؤها في آفاق المشارق
والمغارب ، حتى غدت من عيون شعر المقاومة والجهاد في

قضية فلسطين نالت مساحة كبيرة من قصائد شاعر الجندول ..

(سوريا وعيد الجلاء) أودعها مشاعر البهجة التي غمرت نفوس العرب بحصول القطر الشقيق على حريته بعد معارك مجيدة ضحى فيها المناضلون بأرواحهم فداء لكل ذرة من تراب الوطن، وتجديداً للفروسية العربية. وتردد في مطلع القصيدة وفي ثناياها كلمة الأحرار، تعبيراً عن المكانة السامية التي يشغلها عشاق الحرية في سجل التاريخ، كما يذكر الشاعر أمجاد بني أمية الذين اتخذوا دمشق عاصمة لدولتهم، فكانت منارة للحضارة العربية وحصناً حصيناً للإسلام في مواجهة الرومان الذين سقطت قلاعهم تحت ضربات الجيوش الإسلامية التي حملت راية الإيمان بالله الواحد القهار، واستعذبت الموت في سبيل النصر وهي تهتف «الله أكبر»:

هناك باسمك تحت الشمس أحراراً يندى هواك على هاماتهم غارا
دمشق يا بلد الأحرار أي فتى لم يمتشق فيك سيفاً أو يخض نارا
زكت أمية في أعراقه وجرت دماً يروى الثرى أو يغسل العارا

ولكم تهدجت أنفاس الشاعر حزناً على رحيل الأحرار، واتقدت قريحته بذكرى بطولاتهم، فسأل يراعه شعراً يخلد أمجادهم، ويستحث الأجيال الجديدة على الاقتداء بهم، حتى تستمر أمتهم قادرة على أن تلد الناصر في أعقاب نائره. وها هو ذا يرسل لحناً شجياً، وقد هزه نعي الأمير شبيب أرسلان، فقيد العروبة والإسلام، وأحد أقطاب الحرية والمقاومة العتيدة التي لم يُفل سلاحها كثرة الطامعين المتكالبين كالجراد على الأرض العربية، فاستجمع ما ورثه من آبائه من قوة نضالية سرت في شرايينه مسرى الدماء، وتقدم الصفوف شاهراً سيف الحرية ومستعيناً بالله ناصر الحق:

رزء العروبة فيك والإسلام رزء النهى وفجيرة الأقلام
هو ماتم الأحرار في متوئب بصفوفهم مستقتل مقدم
وقفوا الحياة على الجهاد وقربوا دعة النفوس وصحة الأجسام
إرث الحدود الصيد أنت وهبته قلماً يصاول دونه ويحامي

وشباب مهدور الدماء مجاهد في الله عن عرب وعن إسلام
لقد جمع الأمير أرسلان مثل البارودي والأمير عبد القادر الجزائري بين السيف والقلم، فكان الفارس المجلى في حومة الوغى لا يشق له غبار، والأديب النابغة في ساحة البيان، فكم نضاً يراعه دفاعاً عن الدين والأرض والعرض، لا يرده عن مرامه بأس المغيرين الطغاة، ولا يثنيه الحرص على ما كسب من ثروة وما ورث من إمارة عن البذل والقداء، فالثروة عنده هي الحفاظ على مجد العرب، وشرف الإمارة هو التضحية في سبيل رفعة الإسلام، وإنه لظافر بالحسينيين، طيب الذكر بعد الرحيل وضرب المثل الأعلى للأبناء والأحفاد، وتلك عقبى الصالحين.

أما العدو المين فعاقبته الخذلان ولعنة التاريخ، ولن يتفعهم مكرهم السئ وحشودهم الضارية، فلسوف تنهار كالعهن المنفوش قلاعهم:

وإذا الحصون الشامخات حجارة منشورة والنار سحب قتام
وإذا المجاهد تحت غار جهاده طهر اليدين مخضب الصمصام
روح يهز الشرق من أعماقه وسنى يمزق عنه كل ظلام
ويد تعانقه برغم منية وفم يقبله بغير حمام

تمجيد أحرار المغرب العربي :

مد علي محمود طه جناحه الشعري إلى أفق المغرب العربي، فغنى للحرية والأحرار، ومن روائع شعره في هذا المجال قصيدته في تحية عبدالكريم الخطابي أمير الريف في مراكش، الذي دافع مع إخوانه عن كرامة العرب ومجد المسلمين، وأسر قائد الجيش الأسباني وهزم «بيتان» القائد الفرنسي، ثم وقع في قبضة العدو بعد انتصارات متوالية في الميدان، فنفته فرنسا إلى جزيرة نائية في المحيط الهادي، ثم أمرت بابعاده إلى منفى جديد. وفي أثناء رسو السفينة التي كانت تقله بميناء بورسعيد استطاع أن يغادرها، وأوته مصر وقد أبت أن تعيده إلى أسر فرنسا. وتتوهج قصيدة (بطل الريف) بأعذب أنغام الحرية، كما تنساب في ثناياها أصداً شعر الحماسة في أزهى العصور العربية، فهي تبدأ بالسخرية من

دعوى السلم التي يجأر بها الخلفاء بعد انتصارهم، وتذكيرهم بأنهم مدينون بعلمهم وحضارتهم للعقل العربي والعدل الإسلامي :

إن تجهلوا فسلوا به آباءكم أيام شمع عدالة ورغادا
هل أبصروا حـرية إلا به أو شيدوا الحضارة أوتادا
في المغرب الأقصى فتى من نورها قدحت به كف السماء زناداً
سلته سيفاً كي يحرر قومه ويزيل عن أوطانه استعبادا
لو أنصفوا قدروا بطولة فارس لبلاده بدم الحشاشة جادا
نادى بأحرار الرجال فقربوا مهجمات وراءه استشهادا
يدعو لحق أو لإنسانية تأبى السجون وتلعن الأصفادا

استلهم ثورة الحرية في أندونيسيا :

لم يقصر علي محمود طه غناؤه على العالم العربي، بل امتد ليشمل العالم الإسلامي في آسيا، فدافع عن حق أندونيسيا في الحرية، وذلك في قصيدته (أندونيسيا) التي وصمت الاستعمار الهولندي الذي جثم على صدر شعب مجيد، أنشأ على جزائره امبراطورية إسلامية، جاهد في سبيل الحفاظ عليها أبشع أنواع الاستعمار، فمن الغزو البرتغالي إلى الغزو الهولندي ثم الغزو الياباني.

وقد كتب الشاعر تلك القصيدة في مطلع العام الهجري الجديد، يحيي ثورة الملايين من المسلمين المجاهدين في أندونيسيا، وقد هبوا يعلنون سخطهم على الاستعمار الهولندي، الذي ألقى القبض على أحمد سوكارنو زعيم الحزب الوطني الأندونيسي، المطالب بالاستقلال، وإخوانه الأحرار، ونفاهم خارج البلاد، وذلك عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية، وإعلان الرئيس الأمريكي روزفلت ميثاق الحريات الأربع، ومنها حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها واختيار نظام حكمها، ورفض المستعمرين الهولنديين تطبيق هذا الميثاق، وتدخلت إنجلترا بأساطيلها وطائراتها إلى جانبهم لقمع ثورة الشعب الأندونيسي الذي أبى أن يخضع لسلطان دولة يبلغ عدد شعبها تسعة ملايين، وهو الذي يزيد عدده على سبعين مليوناً في ذلك الحين.

ويصور الشاعر في أبياته الطبيعة في أندونيسيا شمساً وسحاباً وشهباً وصحارى وجبالاً، وقد ثارت مع المجاهدين وتخضبت بدماء شهدائهم، وتعالى صوت الحرية والفداء في الأرض والسماء، يُشهد العالم الغربي على بشاعة الجريمة التي ترتكبها بعض دوله، ويستثير نخوة أصحاب الحقوق المغتصبة والضمائر الحية للوقوف صفاً واحداً مع شعب أندونيسيا :

سحاب حمر أم سماء تضرم أم الشمس يجري فوق صفحتها الدم
على مشرق الأصباح من أندونيسيا سيوف تغني أو حثوف ترنم
رويداً بناء الكون ما تلك ثورة على الحق بل روح على الحور ينقم
هو الشرق ثارت روحه فهو لجة من النار تذكياها رياح تهزم
ينادي بعهد بين يسم وليلة أضيع وحق يستباح ويهضم
وحرية موءودة طال شوقها إلى النور يطويها ظلام مخيم
مكبلة الكفين مغلوله الخطى تداس ويؤبى أن يبرح لها فم

ويسترسل الشاعر في قصيدته الثائرة ناقماً على الغرب جنائتهم المنكرة على شعب آمن، لا ذنب له إلا مطالبته بحقه في التحرر :

فما لك بالأسطول والجيش واثباً على أمة عزلاء بالسلم تحمل
وتنقض مثل النسر فوق سمائها بأجنحة تغزو النجوم وترحم
الاقبت في أجوائها غير طيرها على نسائم في الغصون تهيم؟
وأبصرت إلا أمة من محمد تنازعها (الميكادو) غصباً و(ولهم)

مد يده بقصائده تحية للأحرار في المغرب العربي الشقيق

وهو يشير في البيت الأخير إلى اليابان التي يرأسها إمبراطور يسمى (الميكادو) وإلى ألمانيا التي يتزعمها ملكها (ولهم)، وكانت الدولتان تشكلان محوراً خاض الحرب العالمية الأولى ضد أوروبا التي انضمت إليها الولايات المتحدة الأمريكية، وكان التنازع حول ثروات المستعمرات في إفريقيا وآسيا وأسواقها، فكانت هذه الحرب الضروس التي اصطلت

الشعوب بنارها . ويذكر الشاعر في ختام قصيدته الأوربيين
بفضل المسلمين على حضارتهم وحفظهم للمواثيق ، على
خلاف في ذلك مع الغرب الذي خان حلفاءه في الشرق :

على أننا نبني على الحقد والهدى مآثر لا تبلى ولا تنهدم
ونرعى موثيق الوفاء كما رعت أوائلنا لسنا على البذل نندم
من الصين حتى ساحل الغرب عالم به المسلمون الأولون تقدّموا
بنوه حضارات ضخماً ولم يزل له أثر في الكون أسمى وأضحى
نظام من الشورى وعهد من الرضى أياديه شتى حسنيات وأنعم

من وحي حرية الوطن الأم :

استأثر ديوان علي محمود طه بباقة من أروع
الشعرية في باب الحماسة خص بها وطنه ، وصور كفاحه
لإجلاء الجيش البريطاني المحتل ، إذ لم تتوقف انتفاضات

تأخذه نفسه شوقاً إلى ديار المسلمين كلما غاب عنهم ..

شعب وادي النيل طوال سبعين عاماً عن المطالبة بالحرية ، رافعاً
شعار (الاستقلال التام أو الموت الزؤام) . وكم جاد العمال
والطلاب وسائر الطوائف رجلاً ونساء بدمائهم فداء للوطن .
وتفرد قصيدة (مصر) بين أشعار علي طه السياسية بصوتها
الغنائي المتموج بين الأسى والحزن ، والدال على قوة الانتماء
إلى الكنانة أرضاً وشعباً ، وكأنها أغنية حب وأنشودة حرية
وفداء ، وقد استهلها بقوله مخاطباً مصر :

هوى لك فيه كل ردى يحب فديتك هل وراء الموت حب
فديتك مصر كل فتى مشوق إليك وكل شيخ فيك صب
ويحلم بالندى طفل فطيم وكل رضية في المهد تحب
أراك وكلما وليت وجهي أرى مهجاً لوجهك تشرّب
عليها من دم الفادين غار له بيدك تضفير وعصب
حمتك صدورها يوم التنادي ووقت الليالي وهي حرب
تحررت الشعوب فكل شعب طليق والمجال اليوم رحب

فلا تقفوا بحريات شعب وآمال له للمجد تصبو

وتبين من الأشعار التي صاغها علي محمود طه في
شبابه الأول هذه الروح المتأججة وجداً بمصر ، فقد عاصر ثورة
١٩١٩م إذ كان في السادسة عشرة من عمره حين نشبت هذه
الانتفاضة الخالدة في تاريخ الشعب المصري ، فأشربت نفسه
بعشق الحرية ، وتدل قصيدته (في صفوف المجاهدين) التي
نشرها سنة ١٩٢٣م على نزعة الوطنية الأصيلة ، وفيها يصف
عودة سعد زغلول قائد الثورة من منفاه في جبل طارق وجزيرة
سيشل ، فتحدث عنه بضمير الغائب ثم بضمير المخاطب ، وقد
قالها بمناسبة الذكرى العشرين لوفاة الزعيم :

الأعزل المنفي فارق قيده ورمى بأسره وذل إسماره
قم حدث التاريخ غير مكذب يا من غدا التاريخ من آثاره
أنت المصالح عن حماك فصف لنا حرب الفدائيين من أنصاره
والأرض كيف تصد عن رحمانها والكون كيف يضيق عن أحراره

وقد اختتمت القصيدة بتمجيد ثورة ١٩١٩م التي اندلعت
نارها في كل أنحاء البلاد بعد أن تنصل الإنجليز من وعدهم
بالخروج من مصر ، التي قدمت لهم الرجال والغلال في
حربهم ، بعد أن أعلنوا من جانب واحد وضعها تحت الحماية ،
وكانوا لم يغادروها منذ سنة ١٨٨٢م ، وظلوا يماطلون في
الجلاء عنها . وقد أبدع الشاعر في تصوير ملحمة الجهاد في
سبيل الوطن ، وكيف واجه الثوار رصاص الغاصبين
بصدورهم العارية ، وانتزع الفلاحون قضبان السكة الحديدية
في الصعيد حتى يوقفوا تقدم جنود سلطة الاحتلال إلى
الجنوب لإخماد الثورة :

الشعب مثل البحر إن يغضب فما تقف السدود الشم في تياره
ورجاله الأبطال ويح رجاله لم يهدأوا والظلم في تهداره
طلعوا على حصن الظلام فزحزحوا أحجاره ومشوا إلى أغواره
قدفوا به غضب السرائر فانظروا للحصن يسقط في يدي ثواره
أمسى ورايات الجهاد خوافق حمر منشرة على أسواره

ويستبد بهذا الشاعر العاشق الملهم شوقه إلى وطنه كلما
غاب عنه ، فهو يناجيه في أثناء رحلته إلى أوربا صيف عام
١٩٤٦م ، والسفينة تقله بعيداً إلى الغرب ، وتذهب نفسه
حسرات على ما أصاب مصر من هوان بعد أن وطئت جنود

وكيف يشهر الأخ سيفه في وجه أخيه ؟!!!

بريطانيا أديعها الطاهر في الحرب العالمية الثانية، وانتهكوا
حرماتها، وسلبوا حريتها العصماء :

يا بحر ما بك؟ ما بي؟ مصر ما بعدت ولي إليها بهذا الشعر إسرائ
عجبت والعصر حر كيف في يدها هذا الحديد له حز وإدما
أقسمت لا رجعت بي فيك جارية إن لم نجى عن جلاء القوم أنباء
وأن مصر بحرياتها ظفرت فأهلها اليوم أحرار أعزاء
أقسمت إلا إذا عادت بفتيتها فهب مستقتل عنها وفداء

لقد كان علي محمود طه عميق الوعي بالحرية، مدركا
لأبعادها المختلفة، فدعا إلى حق الشعوب في افتكاك
حريتها من المستعمر الأجنبي، كما دعا الساسة الحاكمين
إلى احترام حق المواطنين في حرية الرأي والتعبير، سواء
أكانت الدولة مستقلة أم تحت الاحتلال. ومن ثم يعد من
أوائل الشعراء الذين دافعوا عن حقوق الشعوب وعن
مبادئ الديمقراطية الحقبة والقواعد الدستورية التي تنص
على التزام الحكومات بهذه المبادئ وسلامة تطبيقها. وهو
يشجب الاستبداد في الأبيات الآتية من قصيدته (في عالم
الذكرى)، التي رثى بها محمد صبري أبو علم باشا زعيم
المعارضة في مجلس الشيوخ، ونقيب المحامين وسكرتير
عام الوفد المصري :

حامى القضاء وحامي العدل في بلد لا يأمن العدل فيه سطوة الجاني
ذخائر الوطن الغالي يرتلها على مسامع أجيال وأزمان
أحرار مملكة أرسوا دعائمها على أساس من الشورى وأركان
لم يرهبوا سوط جلاد ولا حفلوا بسيف باغ ولا أصفاد سجان

كما دعا إلى مقارعة الحجة بالحجة، إذا نشب خلاف
سياسي بين أبناء الوطن الواحد، فلا ينبغي أن يشهر الأخ
سيفه على أخيه ويغتاله بسبب خصومة فكرية أو سياسية،
فاختلاف الرأي لا يفسد للود قضية كما يقول شوقي. ومن
ثم يدين قاتل أمين عثمان باشا الذي أطلق عليه الرصاص

لاتهامه بمالأة الإنجليز أعداء الوطن، وذلك في قصيدة
(مصرع سياسي) التي يدافع فيها عن حرية الرأي أيًا كان
مذهب صاحبه :

لا تقولوا طائش في رأيه إنما الرأي من الغدر براء
إنما الناس لهم آراؤهم وهمو الأحرار فيها الطلقاء
وعلى ودوبر وهدى لهم فيها فراق ولقاء
غير ما مس دما فاجهر به وتحمد الحاكمين الأقوياء
واذكر الأوطان لا تأخذ بما يكتب الحقد ويمليه العداء
ليس من مصر ولا من أهلها مزهق الأرواح أو مجري الدماء

وتشف قصيدة (الطريد) عن أسى عميق لما يلقاه
صاحب الرأي الحر من اضطهاد الحاكم المستبد في بلده،
وتحتاج هذه القصيدة إلى تحقيق تاريخي يكشف عما إذا كان
الشاعر يقصد نفسه كما نرجح أم يقصد غيره، فهو لم
يفصح عن المناسبة التي أوحى إليه بقصده الذي اتسم
بمسحة قصصية، وبدا كما لو كان انعكاساً لحدث واقعي :

ولي قصة يشجي القلوب حديثها ويعجز عن تصويرها اليوم واصف
دعوت إلى حرية الرأي معشراً ثقافتهم ضرب من العلم زائف
إذا المحوانور الحقيقة أغمضوا وقالوا: ألا أين الضياء المشارف؟

وتنتهي القصة الشعرية بالنفي الاختياري، كأنما
يستجيب صاحبها لقول الله تعالى: ﴿ألم تكن أرض الله
واسعة فتهاجروا فيها﴾، إذ يرسل المطارد إلى بلد آخر يأمن
فيه على نفسه ولا يضيق صدر أهله بما يبديه من رأي،
يبتغي به وجه الحقيقة :

أتيت إلى هذا المكان تهزني إليه عهود للشباب سوائف
أودعها قبل الفراق وإنني أفارقها والقلب لهفان كاسف
إلى حيث ينمو الرأي حرأ تذبذبه من الحق فيها ألسن وصحائف
لعل بلاداً ما علنتي سماؤها ولا نهبت فيها لذكرى عوارف
أعيش بها حر العقيدة هائفاً برأيي إما أسعدتني المواقف

ذلك هو الشاعر الملهم علي محمود طه، أنبغ أبناء
مدرسة أبولو، ومغني الحب والجمال والفن، وعاشق
الحرية الذي هزت أهاليه الجودان، ورددها الأحرار في
كل مكان من عالما العربي والإسلامي .

عصفورة التذكر

شعر / مرعي بن محمد القرني

وغردي في خاطري واطربي
وابكي على يومي وما حل بي
واليوم ينعى اليوم قبلي أبي

* *

يا زهرة تزهو بكف الصبي
يا جنة المصطاف للمجتبي
حوراء ليست من إماء السبي

* *

البشرى بأن مازلت لم تخطبي
أغرقته في دمعها الصيب

* *

من مشرق الأرض إلى المغرب
أعيش بين الناس كالأجرب

* *

كنت تمنين بأن تنجـبي
هلا أتيت ساءة وانهبي
وكيف عاش النمر بعد الظبي
عن غيه أو كيف ذل الأبـي
ويقطف الريحان إلا الغـبي

* *

وبعث الأوراق في المكتب
بكرًا وليس البكر كالثـيب

* *

على غصون البان للمعجب
أحدو بها في رحلة الموكب

* *

«أقوى من النسيان ذكرى» الظبي

عصفورة التذكر لا تتعبي
ترنمي للأمس غني له
فالأمس كان الهمس أنشودة

* *

أبها وما أبهاك من طلعة
يا رونق الحسن وإشراقه
ويا عروساً غرة حرة

* *

يا أيها العذراء زفي لنا
مذ فارقت عيناك تلك الربى

* *

عصفورة التذكر طيري بنا
ونذكريني ما مضى إنني

* *

سنين عمري لو عقلت فما
طفولة الأمس وعاماً مضى
هلا روى الراوي حديث الصبا
وكيف أن الظبي لم يرتدع
من يغرس الزقوم في بيته

* *

يا شاعراً قد سل أقلامه
كيما يناجي بنت أفكاره

* *

يا طائراً يشدو بألحانه
ناشدتك الرحمن أنشودة

* *

قالوا تناس الظبي واسل الهوى

يطول عجبُ الباحث المنصف عندما يعلمُ أن كثيراً من النثر الفني عند أهل الحديث، قد أصابه الإهمال من قبل المعتنين بالأدب العربي: تاريخاً لمراحله واتجاهاته، ونقداً لأساليبه وفنونه، وتذوقاً لنصوصه ومتونه. وهذا الإهمال لجده واضحاً عند كثير من الدارسين، الذين أفردوا النثر الفني بالدراسة والتحليل، كالدكتور زكي مبارك في «النثر الفني في القرن الرابع الهجري»، ومحمد عبدالغني الشيخ في «النثر الفني في العصر العباسي الأول: اتجاهاته، وتطوره»، وأنيس المقدسي في «تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي»^(١) وغيرهم كثير.

وفي رأينا أن سبب هذا الإهمال يرجع إلى أمرين:

الأول: الاعتقاد الجازم أن ثمة مناقضة صارخة بين الفقه والأدب، والعلم والشعر، فحيثما اجتمع - عند أصحاب هذا الاعتقاد - الفقه والأدب في قلب رجل واحد، كان حقاً على مؤرخ الأدب وناقده أن يُعرض عنه، ويزدري أدبه، ويُطلق فيه لسانه بأنه: «شعر فقيه، وأدب محدث»، وإن كان صاحبه ذا ملكة قوية، وطبع مُرهف، وذوق رفيع. وهذا رأي مدخول، ومذهب مرفوض، قد بين عواره المتخصصون وأطنبوا في ذلك، وأقدر من علمناه تصدى لبيان وهته العلامة عبداللّه كنون في كتابه «أدب الفقهاء»^(٢).

الثاني: الجهل الصارخ بنصوص أدب أهل الحديث الرفيعة، والقصور الشديد عن تتبعها من مظانها في التواريخ وكتب الرجال والسير والأخبار والرحلات، والجوامع الأدبية وغيرها، واستجازات الحكم على هذه الآثار بالضعف والإسفاف.

وإذا كنا قد نوهنا في هذا الموضوع بالأسباب التي شددت أهل الحديث إلى الأدب، ومكتتهم من النظم والنثر^(٣)، فإننا - ههنا - نلم ببعض مظاهر عناية هذه الطائفة بالنثر الفني على وجه الخصوص، ليصح لنا بعد الكلام على أنواعه وخصائصه، فمن بين هذه المظاهر:

١ - ذم أهل الحديث لمن لا عناية له بطلب العربية - التي هي وعاء الدين - وتقويم اللسان وصيانة المنطق عن اللحن، وجعل بعضهم مثل من طلب الحديث، ولم يُبصر العربية كمثل رجل عليه برنس وليس له رأس^(٤)، أو كممثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها^(٥)، ولقد نعى الحافظ ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) على بعض ضعفة الفقهاء، عدم تحرزهم من لحن العوام، فقال: «...». ولقد بُلي من ذلك من ضعفة الفقهاء من صغر من الأدب مُرده، وقل في طريق العربية زاده، وضعفت عن تلك اللطائف طباعه، وتناعت عن تلك المناهل رباعه^(٦).

٢ - وُجد في أهل الحديث قوم جمعوا بين العلم بالحديث وفنونه، والإمامة في اللسان والأدب، كالحافظ قاسم بن أصبغ البياني القرطبي (ت

٣٤٠هـ)، قال ابن الفرضي: «كان بصيراً بالحديث والرجال، نبيلاً في النحو والغريب والشعر»^(٧)، وكالحافظ قاسم ابن ثابت بن حزم السرقسطي (ت ٣٠٢هـ) الذي يقال إنه أول من أدخل إلى الأندلس كتاب «العين»^(٨)، وكالحافظ الحسن بن أحمد الهمداني (ت ٥٦٩هـ) الذي كان يحفظ «الجمهرة»^(٩)، وكالحافظ رضي الدين الحسن بن محمد الصاغاني ويقال الصغاني (ت ٦٠٥هـ) حامل لواء اللغة في زمانه، الذي كان يحفظ «غريب أبي عبيد»، وألف مجمع البحرين في اللغة، والتكملة على الصحاح، والعُباب وغير ذلك^(١٠).

٣ - عناية بعض أهل الحديث بالتأليف في أدب الكاتب النثر، ومن بين هؤلاء ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) الذي ألف كتابه «أدب الكاتب»، لما رأى أكثر أهل زمانه «عن سبيل الأدب ناكبين، ومن اسمه متطيرين، ولأهله كارهين، أما الناشئ منهم فراغب في التعليم، والشادي تارك للزدياد، والمتأدب في عنفوان الشباب ناس أو متناس»^(١١). فعمل «لغفل التأديب كتباً خفائاً في المعرفة، وفي تقويم اللسان واليد، يشتمل كل كتاب منها على فن»^(١٢)، ولقد تبوأ هذا الكتاب منزلة رفيعة بين الأدباء حتى عدَّ - كما نقل ابن خلدون عن مشايخه - من أصول الأدب وأركانه.

٤ - ومن مظاهر عناية أهل الحديث بالنثر الفني، حرص علمائهم على تأليف الكتب في إصلاح الغلط، الذي قد يقع من المحدث قصداً أو عن غير

قصد، حفاظاً على أداء اللفظ النبوي الشريف فصيحاً بليغاً، كما جاءت به الرواية الصحيحة، وحفظه الرعاة، ورعاية لرونق العربية، ونصاعة الديباجة، وهكذا وجد بين أهل الحديث طبقة من العلماء في هذا المجال، من بينهم: الحافظ الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في كتابه «إصلاح غلط المحدثين» الذي يُعد من أحسن ما ألف في كتب التصحيح اللغوي.

كما وُجد اتجاه آخر عُني بشرح غريب ما وقع في الحديث النبوي، ليسهل استعماله على الكاتب، فيكون حلية لكلامه، وزينة لإنشائه، ومن بين

إسهام الممنوس لأهل الحديث في كتب النثر الفني

العلماء الذين ألفوا في هذا المضمار: الحافظ النضر بن شميل البصري (ت ٢٠٤هـ)، والحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت ٢٢٤هـ)^(١٣)، والحافظ أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري (ت ٣٨٢هـ) الذي ألف كتابه «التصحيح»^(١٤)، والحافظ أبو السعادات أثير الدين بن الأثير الموصل (ت ٦٠٦هـ)^(١٥).

٥ - وصف الرجل المحدث بالإجادة في الترسُّل، والبراعة في الكتابة، والبلاغة في الإنشاء، وعدم اعتبار ذلك من لغو القول أو فضوله، فهذا الصلاح الصفدي يصف الحافظ ابن

سيد الناس (ت ٧٣٤هـ) بأنه: «كان حافظاً بارعاً، متوغلاً بهضاب الأدب، عارفاً متفناً بليغاً في إنشائه، ناظماً ناثراً مُترسلاً، لم يضم الزمان مثله في أحشائه»^(١٦)، ويمضي الصلاح الصفدي في طريقته البليغة البديعة، في تعداد العلوم التي برز فيها الحافظ تقي الدين السُّبكي (ت ٧٥٦هـ) فيقول: «... وأما الأدب فصاحب الذخيرة»^(١٧)، استعطى، وواضع اليتيمة^(١٨) تركها وذهب إلى أهله يتمطى»^(١٩) ولو تتبع باحث هذا الأمر لوجد عليه شواهد كثيرة تمتلئ بها كتب الرجال والتراجم والسير، ولكننا ههنا نجتزئ بما مضى.

٦ - اهتمام أهل الحديث بكتب اللغة والأدب، واهتبالهم بروايتها عن مصنفها، وعنايتهم بقراءتها وتحصيلها، فالقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) درس الأدب شعراً ونثراً على عدد كبير من الأدباء، كالأديب الراوية أبي عبدالله بن سليمان التغري، الذي أخذ عنه كتاب الكامل للمبرد، كما قرأ بنفسه أمهات الكتب الأدبية ككتاب الزاهر لأبي بكر الأنباري، والأمالى لأبي علي القالي، وكتاب الحماسة لأبي الفتوح، والمقتضب للمبرد أيضاً، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والإيضاح للفارسي^(٢٠)، والحافظ ابن خير (ت ٧٧٥هـ) روى بأسانيد متصلة كثيراً من الكتب النحوية واللغوية والأدبية، والشروح وأشعار العرب والمحدثين^(٢١)، والحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) يروي القاموس عن مؤلفه المجد الفيروزبادي (ت ٨١٧هـ) قال: «اجتمعت به في زبيد، وفي وادي

النثر الفني عند أهل الحديث

الخصيب، وناولني جُلَّ القاموس، وأذن لي مع المناولة أن أرويه عنه»^(٢٢).

ولقد نظرت فيما وقع إلي من نثر أهل الحديث الفني، فألفيته يتنوع إلى أنواع كثيرة منها:

١ - التحميد والصلاة: وأنت إذا تتبعته هذا النوع في نثر أهل الحديث، وجدته شيئاً كثيراً بتعدد ما ألف أهل الحديث من كتب ورسائل، فمقوا مطالعها بهذا التحميد، وتلك الصلاة، وتنتخب للقارئ الكريم تحميداً للحافظ الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) صاحب المستدرک يقول فيه: «الحمد لله ذي المن والإحسان، والقدرة والسلطان، ان الذي أنشأ الخلق ببريبيته، وجنسهم بمشيئته، واصطفى منهم طائفة أصفاء، وجعلهم بررة أتقياء، فهم خواص عباده، وأوتاد بلاده، يصرف عنهم البلايا، ويخصهم بالخيرات والعطايا، فهم القائمون بإظهار دينه، والمتمسكون بسنن نبيه، فله الحمد على ما قدر وقضى، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي زجر عن اتخاذ الأولياء دون كتابه، واتباع الخلق دون نبيه صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المجتبي، بلغ عنه رسالته، فصلى الله عليه آمراً، وناهياً ومبياً وزاجراً، وعلى آله الطيبين»^(٢٣).

٢ - الرسائل: وهي أهم أغراض النثر، ولقد برع فيها أهل الحديث أيما براعة، وأبدعوا فيها ما شاء الله لهم أن يبدعوا، ويمكن تقسيم هذا النوع باعتبار موضوعه إلى الأقسام الآتية:

(أ) الإخوانيات: وأحسن ما يمثل به

لهذا القسم، تلك المكاتبات الكثيرة التي دارت بين الحافظ الرامهرمزي (ت ٣٦٠ هـ) والأديب أبي الفضل ابن العميد، نسوق واحدة منها تكون مثلاً لما وراءها، فقد كتب أبو الفضل ابن العميد إلى الرامهرمزي كتاباً فأجابه الرامهرمزي بكتاب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، قرأت التوقيع أطال الله بقاء الأستاذ الرئيس، فشحذ الفطنة، وأنس الوحدة، وألبس العزة، وأفاد البهجة، وقلت كما قال رؤبة لما استزاره أبو مسلم صاحب الدعوة:

ليك إذا دعوتني ليكا أحمد ربي سابقا ليكا
فأما الإجابة عنه أفصح بيان خط

التحميد والرسائل
والإخوانيات والفتايات
وغيرها جملتها
في الأصول

بأكرم بنان، وأوضح للزهر المؤنق لملك رقاب المنطق، فما أنا منها بقريب وهيئات، وأتى لي التناوش من مكان بعيد، لكنني على الأثر، ولا أناخر عن الوقت المنتظر إن شاء الله تعالى»^(٢٤).

(ب) الرسائل العلمية: وأشهر ما لأهل الحديث من ذلك رسالة الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) إلى الحافظ الإمام الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ)، وجواب الليث عنها^(٢٥). وفيما يلي طرف من رسالة مالك إلى الليث: يقول فيها: «... كتبت إليك، وأنا ومن قبلي من ولدان والأهل على ما تحب، والله

محمود، جاءني كتابك تذكر من حالك، ونعم الله عليك الذي أنا به مسرور، وأسأل الله أن يستمر علينا وعليك صالح ما أنعم به علينا وعليك، وأن يجعلنا له شاكرين، وفهمت ما ذكرت في كتب بعثت بها لأعرضها لك، وأبعث بها إليك، فقد فعلت ذلك، وغيّرت منها حتى صح أمرها على ما تحب... وكان حبيب إليّ حفظك، وقضاء حاجتك، وأنت لذلك أهل، وصبرت لك نفسي في ساعات لم أكن أعرض فيها، لأن الحج فيها، فتأتيت مع الذي جاءني بها حيث دفعتهما إليه، وبلغت من ذلك الذي رأيت أنه يلزمني نحو حقك وحرمتك، وقد نشطني ما استطلعت مما قبلي من ذلك في ابتدائك بالنصيحة لك، ورجوت لك أن يكون لها عندك موضع، ولم يكن يمنعني من ذلك قبل اليوم أن لا يكون رأيي لم يزل فيك جميلاً، إلا أنك لم تكن تذاكرني شيئاً من هذا الأمر ولا تكتب فيه إليّ، فانظر - رحمك الله - فيما كتبت إليك فيه لنفسك، واعلم أنني أرجو أن لا يكون دعائي إلى ما كتبت به إليك، إلا النصيحة لله وحده، والنظر لك، والضن بك، فأزول كتابي منك منزله، فإنك إن فعلت تعلم أنني لم ألك نصحاً...»^(٢٦).

(ج) الرسائل الأدبية: ونعني بها تلك الكتب المؤلفة على هيئة كراس صغير، أو جزء لطيف كما يقول أهل الحديث - في الموضوع الواحد - وذلك في أسلوب أدبي بديع، يجمع بين جزالة اللفظ، وسمو المعنى وطرافة الموضوع

المطروق، فمن هذا الضرب: كتاب «العزلة» للحافظ الخطابي، و«روضة العقلاء»، ونزهة الفضلاء» للحافظ ابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، و«الأخلاق والسير في مداواة النفوس» للحافظ ابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، و«طوق الحمامة في الألفة والالاف» له أيضاً، و«الدر المنصور في ذم البخل ومدح الجود» للحافظ محمد عبدالرؤوف المناوي (١٠٣١هـ) وغير ذلك.

(د) تحرير الإجازات العلمية^(٢٧): وما يمثل به لهذا الغرض ما كتبه الحافظ أبو بكر محمد بن الحسن بن حَبِيش^(٢٨) مجيزاً فإنه قال: «المسؤول مبذول إن شاء الله على التنجيز ولكن شروط الإجازة موجودة في المجاز، معدومة في المجيز، والله سبحانه يصفح بكرمه، ومنه، ويشكر كل فاضل على تحسين ظنه...»^(٢٩).

(هـ) المتفرقات: ويمكن أن يدخل فيها ما لعله أوجز رسالة في تاريخ الترسل العربي، وهي تلك الرسالة التي كتبها الإمام الشعبي (١٠٤هـ) إلى الحجاج، لما كتب إليه يسأله حاجة فاعتل عليه، فكتب إليه الشعبي: «والله لا عذر لك، وأنت والي العراق، وابن عظيم القريتين»^(٣٠).

٣ - المقامات: طرق أهل الحديث هذا الباب الطريف، الذي يقوم على الحكاية والقص بأسلوب أدبي مسجوع غالباً، وكان الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) من بين هؤلاء الذين ساهموا بنصيب كبير في هذا النوع، بمقامات كثيرة جمعت في مجلدين،

غالبها في الرد على مناوئيه وخصومه، والانتصار لآرائه في بعض المسائل العلمية المختلف فيها قديماً وحديثاً، وفيما يلي نورد طرفاً من المقامة التي سماها: «الكاوي في تاريخ السخاوي»^(٣١): «... يا أرباب النهى والألباب، وأصحاب المعارف والآداب وأولي الفتاوى والأحكام، وذوي الألسنة والأقلام، وأئمة الفقه والسنة، وهداة الدين الذين آراؤهم أمضى من الأسنة، ما ترون في رجل ألف تاريخاً جمع فيه أكابر وأعياناً، ونصبه لأكل لحومهم خواناً، ملأه بذكر المساوي، وثلب الأعراض، وفوق فيه سهاماً على

تأثروا بالعلماني الإسلامية والمثل العليا وأجادوا التحبير

قدر أغراضه، والأعراض هي الأغراض، جعل لحم المسلمين من جملة طعامه وإدامه، واستغرق في أكلها أوقات فطره وصيامه، ولم يفرق فيه بين جليل وحقير ولا بين مأمور وأمير ولا بين مرؤوس ورئيس...»^(٣٢).

٤ - المقالات: «وهو باب جديد في الأدب العربي، على اعتبار المعنى الحديث للأدب الذي يرمي إلى عد جميع الأشكال الكلامية، التي يستخدمها الإنسان للتعبير عن آرائه بلسانه أو قلمه، سواء في الدرس الفني واللغوي، أو البحث العلمي والفلسفي - موضوعاً للأدب يجب أن يدرس

ويبحث بروح أدبية محضة»^(٣٣)، خلافاً لمن يرى أن ثمة فرقاً بين الكتابة العلمية مثلاً والكتابة الأدبية، فالأولى «يراد بها تقرير الحقائق، وشرح المذاهب، وعرض البراهين، فهي كتابة خالية من السجع والازدواج، إلا في أحوال قليلة، والكاتب مشغول بسرد الحقائق، لا بتنميق الإنشاء»^(٣٤).

وهذا الباب واسع جداً يمكن تصريف الكلام فيه على النحو التالي: أولاً: تقرير الحقائق العلمية: ونمثل لذلك بثلاثة نقول عن ثلاثة أئمة كبار من أهل الحديث هم:

١ - الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) الذي يقول بعد أن ساق أخباراً كثيرة تفيد عدالة الصحابة: «... والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم، المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له، فهم على هذه الصفة إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية، والخروج من باب التأويل، فيحكم بسقوط العدالة، وقد برأهم الله من ذلك، ورفع أقدارهم عنه، على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه - لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة! وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين - القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم

أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين»^(٣٥).

٢ - القاضي عياض الذي يقول في أثناء التنويه بفضل أهل الحديث: «ورحم الله سلفنا من الأئمة المرضيين، والأعلام السابقين، والقادة الصالحين من أهل الحديث وفقهائهم، قرناً بعد قرن، فلو لا اهتبالهم بنقله، وتوفرهم على سماعه وحمله، واحتسابهم في إذاعته ونشره، وبحثهم عن مشهوره وغريبه، وتنخيلهم^(٣٦) لصحيحه من سقيمه، لضاعت السنن والآثار، ولاختلط الأمر والنهي، وبطل الاستنباط والاعتبار، كما اعترى من لم يعتن بها، وأعرض عنها بتزين الشيطان ذلك له من الخوارج والمعتزلة، وضعفة أهل الرأي، حتى انسل أكثرهم عن الدين، وأتت فتاويهم ومذاهبهم مختلفة القوانين، وذلك لأنهم اتبعوا السبل، وعدلوا عن الطريق، وبنوا أمرهم على غير أصل وثيق»^(٣٧).

٣ - ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): الذي يقول: «وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف اللغة، وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب، وخطبها ومقالاتها في مواطن افتخارها ورسائلها، وأراجيزها وأسجاعها، فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله وفنون البلاغة، وضروب الفصاحة، وأجناس التجنيس، وبدائع البديع، ومحاسن الحكم والأمثال، فإذا علم ذلك، ونظر في هذا الكتاب العزيز، ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة، وفنون البيان،

فقد أوتي فيه العجب العجيب، والقول الفصل اللباب، والبلاغة الناصعة التي تحير الألباب، وتغلق دونها الأبواب، فكان خطابه للعرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم، ومجاراته لهم في ميدان الفصاحة ليسبل رداء عجزهم عليهم، ويثبت أنه ليس من خطابهم لديهم، فـعـجـزـت عن مجاراته فصحاؤهم، وكلت عن النطق بمثله ألسنة بلغائهم، وبرز في رونق الجمال والجلال في أعدل ميزان من المناسبة والاعتدال، ولذلك يقع في النفوس، عند تلاوته، وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة، والنفوس خشية، وتستلذه الأسماع، وتميل إليه بالحنين الطبع، سواء كانت فاهمة لمعانيه، أو غير فاهمة، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة، كافرة بما جاء به أو مؤمنة...»^(٣٨).

ثانياً: أدب المواعظ والنصائح والوصايا، وفي هذا النوع:

١ - أدب الوعظ: وأشهر من كتب في هذا الضرب الحافظ ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، الذي قيل فيه أنه كان فارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق في البلاغة والبراعة، وألف في ذلك مؤلفات كثيرة، نسوق مثلاً واحداً من واحد منها يقول: «إخواني أوقدوا أدهان الأذهان في ليل الفكر، صابروا سنى الجذب لعام الخصب، تعصروا، فمن أدلج في غياهب ليل العلى على نجائب الصبر، صبح منزل السرور في السر، ومن نام على فراش الكسل، سال به سيل التماذي إلى وادي الأسف»^(٣٩).

ب - أدب تهذيب النفوس وتزكيتها: ونعني به كل ما ألف في تصفية النفس من أدرانها، وحملها على الخشية والورع، وسياستها على المراقبة، ووصف الدواء الناجع لأدوائها، والدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق، وجميل المناقب والصفات، ومن كتب أهل الحديث في هذا الضرب «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» لابن حزم، و«ذم الهوى لابن الجوزي»، و«روضة المحبين، ونزهة المشتاقين» لابن قيم الجوزية، و«معيد النعم ومبيد النقم» للتاج السبكي، وغير ذلك.

ج - أدب الوصايا والنصائح: ولعل أجمع ما لأهل الحديث في هذا الباب، نصيحة ابن الجوزي إلى ولده التي سماها: «لفتة الكبد إلى نصيحة الولد»، نقف بالقارئ على قول ابن الجوزي فيها: «... اعلم يا بني - وفقك الله للصواب - أنه لم يتميز آدمي بالعقل، إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك، وأعمل فكرك، واخل بنفسك تعلم بالدليل أنك مخلوق مكلف، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها، وأن الملكين يحصيان أفاضلك ونظراتك، وأن أنفاس الحي خطاه إلى أجله، ومقدار اللبث في الدنيا قليل، والحبس في القبور طويل، والعذاب على موافقة الهوى وبيل، فأين لذة أمس؟ رحلت وأبقت ندماً، وأين شهوة النفس؟ كم نكست رأساً، وأزلت قدماً...»^(٤٠).

ثالثاً: السير الذاتية: لعل البذور الأولى لهذا اللون الأدبي عند أهل الحديث تعود إلى ما دونوه عن أحوال

الرجال - حملة الحديث - من تقييد لمواليدهم وضبط لوفياتهم، وتمييز لطبقاتهم، وتعريف بأقذارهم في العلم والعمل، ودلالة على مراتبهم في الجرح والتعديل.

ونحب هنا أن نلفت النظر إلى أن مفهوم السيرة الذاتية كما هو معروف الآن، لم يكن واضح المعالم عند أدباء العرب عامة، وأهل الحديث خاصة، ذلك أن الترجمة الذاتية «نشأت مختلطة غير متميزة، إذ كان يرصد الكثيرون مشاهدهم، وأحاسيسهم من خلال الموضوعات العامة، فيلتقطها القارئ الدارس التقاطاً، وقد تسطع على فترات كما يسطع البرق في غيم متكاثف»^(٤١).

ومع ذلك وجدت بعض الأعمال الأدبية التي يمكن اعتبارها محاولات أولى في طريق تأسيس هذا اللون، وهذه المحاولات تنقسم إلى قسمين:

١ - سير ذاتية: ونعني بها تلك السير التي دبجتها يراعة أصحابها، تسجيلاً لكل ما يعن لهم من خواطر وسانحات حول قضايا مختلفة في الدين والسياسة والاجتماع، ومن يمثل هذا الاتجاه ابن حزم في «طوق الحمامة» وابن الجوزي في «صيد الخاطر».

وهناك اتجاه آخر في هذا القسم، يعنى أصحابه بالإخبار عن أحوال شخصية متعلقة بطلب العلم، وذكر مشايخ الإفادة، والكتب المسموعة إلى آخره^(٤٢)، ومن يمثل هذا الاتجاه: كثير من أهل الحديث نذكر من بينهم: الحافظ ابن حجر في «المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس»، والحافظ السيوطي في

«التحدث بالنعمة».

٢ - السير المفردة للأعلام: وهي تلك السير التي ترجم فيها أهل الحديث لأعلامهم في كتب مخصوصة، إخباراً عن أحوالهم، وإظهاراً لمناقبهم، وتحدثاً عن لطائف من الله عليهم، ومن بين هذه السير: مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي، وتوالي التأسيس بمعالي ابن إدريس (الشافعي) للحافظ ابن حجر، و«الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للحافظ السخاوي (ت ٩٠٢هـ) وغير ذلك.

٥ - الخطب: وهذا اللون من التعبير مرآة تجلي ما كان عليه أهل الحديث من ذلاقة اللسان، ونصاعة البيان، ودربة على الإجابة في النطق، والفلق في القول، ونسوق فيما يلي نموذجاً واحداً نستدل به على ما وراءه، فقد خطب القاضي عياض مرة فقال:

«عباد الله سلموا الأمور إلى من بيده أزمة مقاديرها تنجحوا، واستروا راحة قلوبكم بإخلاص التوكل على الله تريحوا، واعلموا أن الحرص لا يزيد المرء على ما قسم له، وتصاريف القدر تقطع لكل أمل أملة، وإنما يدرك الإنسان بسعيه ما كتب له لا ما طلب، ويبلغ بكده ما قسم له لا ما أمل واحتسب، فأجملوا رحمكم الله في الطلب توفقوا، وتوكلوا على الله حق توكله ترزقوا، وأريحوا أنفسكم من النصب في طلب الدنيا والكد فإنه لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجسد منه الجد، ألا وإن التوكل على الله، والثقة به أحد أبواب الإيمان، ومن أفضل درجات

العدل والإحسان، وهو حقيقة العبودية والتوحيد، وموجب الرضا والتسليم للربيب الشهيد، فقد جرى القلم بما كان ويكون، ونفذ قضاء الله بكل خير وشر، وحركة وسكون، وانقطعت الأطماع عن تأميل غير ما تقدم من مشيئاته، «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً، لا مبدل لكلماته». فقيم التعب والطلب؟ وقد سبق لك في الكتاب ما سبق؟ وعلام اللفه والأسف على أمر قد فرغ منه قبل أن تخلق؟ ألم يضمن لك ربك رزقك، وما وعد في سمائه؟ ألم يعلمك أنه لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه؟ فعامل ربك أيها العبد بالتوكل والتسليم، تفز بالعيش الهنيء، والثواب الجسيم...»^(٤٣).

ونلم ههنا، بعد أن سيق الكلام قبل في أنواع نثر أهل الحديث، ببعض خصائصه الفنية، ونتحدث عنها من جهتين:

أولاً - من حيث المضمون:

نقف على ما يلي:

أ - تأثر نثر أهل الحديث بالمعاني الإسلامية، والمثل العليا التي جاء بها القرآن الكريم، وهذا أمر بين الظهور فيما ذكرناه آنفاً من نصوص نثرية، وفيما لم نذكره.

ب - تأثر نثر أهل الحديث، بالسنة النبوية التي شرفوا بحمل معانيها، ونقل ألفاظها، فلا جرم أن يكون نثرهم متشبعاً بالتصور الإسلامي في نظرته إلى الكون والحياة والإنسان، وفي تصويره لدقائق النفوس والضمائر والمشاعر.

النثر الفني عند أهل الحديث

ولقد كان من نتائج أثر القرآن الكريم والحديث النبوي في نثر أهل الحديث أن انفرد بخصائص قل اجتماعها في غيره وهي :

- ١ - توخي الإيجاز في الإشارة إلى المعاني، ومجانبة الإسراف في ذكر التفاصيل التي تصور دقائق الوقائع، وذلك للوقوف - في أسرع ما يمكن - على العبرة الأساسية، والمقصد الأهم.
- ٢ - تنكب الإغراق في الخيال الجامح، والمغالة في العاطفة، والاعتماد على الوجدان امتثالاً للمنهج القرآني الذي يقول: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾^(٤٤).
- ٣ - مخاطبة العقل والقلب معاً، وتلبية رغبة كل واحد منهما في تناغم وانسجام.

ثانياً - من حيث الشكل :

تأثر نثر أهل الحديث بأسلوب القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وهذه الميزة عامة في النثر العربي الذي وُجد بعد الإسلام، فلقد التمس الأدباء منهج القرآن في الأسلوب «من حيث أنه أفصح ألفاظاً، وأسهل تركيباً، وأعذب تعبيراً، ومن حيث أنه أمتن سبكاً، وأبرع دلالة، وأتق ديباجة»^(٤٦).

والتمس الأدباء - أيضاً - منهج الحديث النبوي في الأسلوب، ذلك أنه «ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي، ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن

لها منه دليل، فقد كانت هي من دليله»^(٤٧).

وهكذا نهل أهل الحديث في أنواع نثرهم من معين القاموس الإسلامي قرآناً وحديثاً، فصدروا وقد ارتووا فسقوا غيرهم، وجاءت تراكيب نثرهم متألفة الألفاظ، متجانسة الكلمات، متلاحمة مترابطة.

وأولى أهل الحديث الألفاظ عناية فائقة، وذلك باختيار المأنوس منها، الذي جرى به الاستعمال، فقرب منه الأسماع، وألفته القلوب، وليس يعني هذا الإسفاف والابتذال، بل إن ذلك يعني سلوك سبيل الانتقاء والانتخاب، مع مراعاة أفهام السامعين، وملكات المخاطبين.

بيد أن النثر الفني عند أهل الحديث سار بسيرة النثر العربي عامة، ففي القرون الأولى كان النثر مُرسلاً، خالياً من الصنعة اللفظية، والمحسنات البديعية إلا ما سمحت به الطبيعة، وجاء عفو الخاطر من غير تكلف أو تعمل، وما إن جاء القرن الرابع وما يليه، حتى قصد الأدباء - وأهل الحديث منهم - إلى البديع قصداً، وآثروه على الأسلوب المرسل، والطبيعة المواتية^(٤٨)، وركبوا إلى ذلك طرقاً مختلفة من بينها إظهار السجع، والقصد إلى استعمال المجاز والإسراف في ذلك، وهلم جرأ.

وبعد : فتلك جولة في رياض نثر أهل الحديث، قصدت من ورائها تجلية جانب منسي من تاريخ أدبنا العربي، وإيقاظ همم من شدا طرقاً من الأدب إلى الإقبال على قراءة هذا اللون من

الأدب الرفيع، كما قصدت بعث عزائم أدبائنا وأرباب صناعة الكلام فينا إلى النظر في هذا الأدب بحثاً ودراسة، لبيان حاجة الأدب الإسلامي اليوم إلى الاقتداء بهديه، والاقتباس من نوره.

الهوامش :

- (١) يتفاوت هؤلاء في الإشارة إلى نثر أهل الحديث قلة وكثرة، فمنهم من لا يذكره إلا عرضاً، ومنهم من يذكره ضمن أدب الرعاظ والزهاد والقصاص، ومنهم من لا يعرج عليه البتة.
- (٢) انظر من أول الكتاب إلى ص ٢٠، طبعة دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٨٨ م.
- (٣) انظر مقالاً لنا بعنوان : «شعر أهل الحديث» في مجلة «الإحياء» التي تصدر عن رابطة علماء المغرب، العدد الخامس، رقم ١٧ من السلسلة الجديدة (ص ١٢٥ - ١٢٨).
- (٤) انظر : الجامع لأخلاق الراوي (ج ٢، ص ٢٦) للخطيب البغدادي، دار المعارف، الرياض.
- (٥) انظر : الجامع لأخلاق الراوي (ج ٢، ص ٢٧).
- (٦) طبقات الشافعية الكبرى (ج ٦، ص ١٦ و ١٧) للتاج السبكي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- (٧) انظر : بغية الوعاة للسيوطي (ج ٢، ص ٢٥١)، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان.
- (٨) بغية الوعاة (ج ٢، ص ٢٥٢).
- (٩) بغية الوعاة (ج ١، ص ٤٩٤).
- (١٠) انظر : الفوائد البهية في تراجم الخفعية، للكوني (ص ٦٣ و ٦٤)، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ.
- (١١) انظر : أدب الكتاب (ص ٨)، دار الجليل، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٨٢ هـ.

النشر الفني عند أهل الحديث

- (١٢) انظر: أدب الكاتب (ص ١).
- (١٣) انظر: مولفات هؤلاء في: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (ج ١، ص ٣١٥ و ٤١٧)، طبعة دار إحياء التراث العربي، و«الفهرست» لابن النديم (ص ٧٧)، دار المعرفة، بيروت، و«الرسالة المستطرفة» (ص ١١٥ و ١١٦)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (١٤) وطبع باسم: «تصحيفات للمحدثين»، ووهم محققه، فنسبه إلى أبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري (ت ٣٩٥هـ) صاحب الصنائع!!!
- (١٥) صاحب «النهاية في غريب الحديث والأثر»، وانظر: الرسالة المستطرفة (ص ١١٧).
- (١٦) انظر: طبقات الشافعية الكبرى (ج ٦، ص ٢٩).
- (١٧) هو ابن بسام صاحب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، المتوفى سنة ٥٤٢هـ.
- (١٨) يعني يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور الثعالبي.
- (١٩) طبقات الشافعية (٦/ ١٥٥).
- (٢٠) انظر: النبوغ المغربي في الأدب العربي (ج ١، ص ٣٢٧)، عبدالله كنون، بلا تاريخ ولا مكان الطبع.
- (٢١) انظر: فهرسة مارواه عن شيوخه لابن خير الإشبيلي (ص ٣٢٠ - ٣٩٤)، دار الأفاق ١٣٩٩هـ.
- (٢٢) انظر: إنباء الغمر في أنباء العمر، للحافظ ابن حجر (٧/ ١٦٢)، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.
- (٢٣) انظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (ص ١)، دار الأفاق، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ.
- (٢٤) انظر: معجم الأدباء، لياقوت (ج ٩/ ١٢)، دار الفكر، بلا تاريخ.
- (٢٥) انظر: رسالة الليث بن سعد، يناقش مالكا في عمل أهل المدينة وغيره من المسائل العلمية في: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ٩٤ - ١٠٠)، لابن القيم، تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد.
- (٢٦) انظر: الرسالة بطولها في: المعرفة والتاريخ (ج ٢/ ص ٧٩٥ - ٧٩٧)، للفنوي، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ.
- (٢٧) الإجازة عند أهل الحديث طريق من طرق سماع الحديث، وتعني الإذن بالرواية، وأركانها: مجيز (الشيخ)، ومجاز (الطالب)، ومجاز به (الكاتب إلخ)، وصيغة الإجازة، وانظر: تدريب الراوي للسيوطي (٢/ ٤٧)، دار الفكر.
- (٢٨) ذكره ابن رشيد السبتي في رحلته «ملء العيبة...» (ج ٢، ص ٨٤)، تحقيق الحبيب بلخوجة، تونس. فوصفه قائلاً: «الفقيه الأديب الكاتب البالغ الحفاظ الناقد العلامة... فريد دهره، أمير في نظمه ونثره».
- (٢٩) انظر: رحلة ابن رُشيد (ج ٢، ص ١٠٨ - ١٠٩).
- (٣٠) انظر: جمهرة رسائل العرب (ج ٢، ص ٢٣٠)، أحمد زكي صنوت، دار المطبوعات العربية.
- (٣١) أفرد السيوطي هذه المقامة لنقد صنع السخاوي في تاريخه «الضوء اللامع في أعيان القرن السابع».
- (٣٢) انظر: مقامات السيوطي (ج ٢، ص ٩٣٥ و ٩٣٦)، تحقيق: سمير محمود الدروسي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ، وقد نوه د. شوقي ضيف ود. مصطفى الشكعة بمقامات السيوطي، واعتبرا الشكعة جديرة بأن يحتفل بها، وأن يلتفت إليها، وأن تنشر على المتأديبين والدارسين بعد تحقيق دقيق.
- (٣٣) النبوغ المغربي (ج ١، ص ٣٢٦).
- (٣٤) د. زكي مبارك «الشعر الفني في القرن الرابع الهجري» (ج ٢، ص ١٥٣).
- (٣٥) انظر: الكفاية في علم الرواية للخطيب (ص ٤٨ و ٤٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.
- (٣٦) تنخيلهم: تميزهم.
- (٣٧) انظر: الإلماع إلى أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض (ص ٧) تحقيق السيد أحمد صقر.
- (٣٨) انظر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم (ص ٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.
- (٣٩) انظر: المدحش لابن الجوزي (ص ١٧٨)، دار الجليل، بيروت ١٩٧٧م.
- (٤٠) انظر: لفنة الكبد (ص ٢١ - ٢٣)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- (٤١) د. محمد رجب البيومي «منهج الأدب الإسلامي في السيرة الذاتية»، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الأول، العدد الثالث، محرم - صفر - ربيع الأول ١٤١٥هـ (ص ٨).
- (٤٢) يسمي أهل الحديث هذا النوع من الكتب - التي تذكر فيها هذه الموضوعات - المشيخات، أو الفهارس أو الأنبات أو البرامج أو المعاجم.
- (٤٣) انظر: النبوغ المغربي (ج ١، ص ٣٥٠ - ٣٥٢).
- (٤٤) سوة الشعراء، الآية ٢٢٦.
- (٤٥) انظر: «خصائص الأدب العربي»، أنور الجندي (ص ١٣٣)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، الطبعة الأولى.
- (٤٦) المصدر السابق.
- (٤٧) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي (ص ٢٧٩)، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا تاريخ.
- (٤٨) تقول هذا بحسب الأغلب الأعم، وإلا فثمة أدباء من أهل الحديث تنكبوا سبيل البديع، فجاء نثرهم على الطبيعة مراسلاً، خالياً من الصنعة المتكلفة، قائماً على الصدق في الإحساس، والعنف في الفكرة.

القادم الجديد

بقلم / حسين يوسف العصفوري

اتجه إلى الصوت القادم، يبحث عن والديه، وتأكد من عدم وجودهما في مكان الصوت ..
يقترّب منه ويصرخ ولكنه يتكلم بسرعة .. عيناه مشدوهتان .. يتأمل ملامحه .. الصوت يصمت
لحظة ويعود وقد ارتفع أكثر، وعينا الصغير تتوقفان عن الحركة، تكادان تخرجان من مقليتهما ..
ويقترّب أكثر .. يصرخ فلا يجد إجابة ..

ينس أذنيه، ووضع أصبعه في فمه .. وأنصت قليلاً
ونفض مفرعاً، واتجه إلى والده، أمسك بوجهه
كعادته .. تنقل بين أنفه وعينه، ولم ينس أذنيه،
ووضع أصبعه في فمه .. وأنصت قليلاً .. وتأكد أن
الصوت موجود .. ترك والده وعاد إلى صراخه
القديم.

نظر في الغرف والردهات، وفي حجرة الطعام ..
وبخطوات أسرع يتجه إلى مصدر الصوت وذلك الرجل
.. الذي لا يتوقف عن الكلام .. ويشير حفيظته ..
يقترّب أكثر فأكثر .. ها هو ذا وجهاً لوجه معه .. ينتظر
منه حراكاً لا يجد .. يضربه بكف يده .. لا يهتز،
يضع يده على فمه، لا يتوقف.

عاد إلى بحثه في أرجاء البيت .. فوق المناضد ..
وبين المقاعد، دخل غرفة النوم .. توقف صراخه ..
وجاء يمشي الهوينى، يتحسس وجود والده الذي يمسك
شيئاً في يده، يتجه إلى الرجل يفعل مثلما فعل من قبل،
يضع كلتا يديه عليه .. وتصيح والدته: لماذا بدلت قناة
التلفاز.

يتجه إلى والدته التي انشغلت عنه بإعداد الطعام
.. ويجذبها من رداها .. وهي لا تعرف ماذا يريد ..
ويأس من قدومها معه، يعود ويحاول أن يعرف سر
ذلك الصوت، وذلك الرجل الجديد .. فلم يره من قبل
.. يصرخ بأعلى صوته وكأن ثعباناً لدغه .. هرع إليه
أبواه .. ابتسم في الخفاء وأشار إلى الصوت، وإلى
الرجل، ولم يعرفا ماذا يريد .. كل منهما يبحث في
ناحية من إشارات.

أحضروا له كل الألعاب الموجودة في الغرفة والبيت
كله .. لم يقترّب منها .. نفر، وأخذ زاوية جديدة ..
وظل يتأمل .. وينظر إلى والديه، ويشير، ولكن أحداً
لم يلبي له طلبه .. واقترّب شيئاً فشيئاً، وقد انصرف
عنه والداه يائسين من تحقيق مأربه .. والقضاء على سر
قلقه.

وتعود إليه أمه تحاول أن ترضعه .. ابتعد بفمه
الصغير، وظل يصرخ .. تحسست حرارة وجهه
فوجدتها عادية .. ونفض مفرعاً، واتجه إلى والده،
أمسك بوجهه كعادته .. تنقل بين أنفه وعينه، ولم

سعاد تكذب ..

بقلم / عبد الجواد الحمزاوي

الهدوء والسكون كانا يملآن كل أركان المنزل .. تنبّهت الأم فجأة وتساءلت .. أين سعاد؟ ..

لم تكن سعاد مع جدتها .. أسرعّت الأم تبحث عنها في كل مكان .. أخيراً وجدتّها في غرفة نوم الأبوين تعبّت بحلي أمها أمام المرأة .. تلبس السلاسل والأقراط الذهبية، ثم تسير أمام المرأة وهي تنظر إلى نفسها بإعجاب وتضحك .. لم تكن الأساور تستقر في يديها الصغيرتين .. جربت أن تلبسها في عضديها، ولكنها رفضت الاستقرار أيضاً .. لم تجد بداً من أن تسير وهي رافعة يديها، حتى لا تسقط الأساور على الأرض ..

سريعاً، حين اطمأنت نفسها بأن وجود الجد كاف لمنع هذا، علاوة على أن الجد سيقوم، كما اعتاد، بإفهام سعاد خطأ ما فعلت بهدوء ..

حينما فرغ الجميع من طعام «الغداء»، جلسوا في غرفة الجلوس يشربون الشاي، ويتحدثون .. نظرت الأم إلى الأب ثم قالت :

- أبا خالد ... هل قالت لك

العصفورة ماذا فعلت سعاد اليوم؟
تنبّهت سعاد الصغيرة على الفور ثم قالت لأُمها :

- لم يكن هناك عصافير يا أُمي ...
لقد قفلت مزلاج النافذة بيدي حتى لا تراني أية عصفورة، وأضأت النور ...
ضح المجلس كله بالضحك، حتى الأم، مع غضبها، لم تستطع أن تمنع نفسها من

طوال الوقت كانت الأم تفكر في طريقة تخبر بها سعاد أنها رأتها وهي تعبّت بحليها ... لم تكن تريد ضرب سعاد، فالضرب وحده لم يعد يجدي ...
كانت تخاف، إن هي سكنت، أن يغري هذا سعاد بالعودة مرة أخرى إلى هذا العبث السخيف، أخيراً استقر رأيها على أن تخبر الجميع بعد «الغداء» بما فعلت سعاد ...

قالت الأم لنفسها وهي تقلب الحساء «نعم، سيضحك منها خالد وعمرو، وستغضب منها جدتها وجدها، وسيمنعها هذا من العودة مرة ثانية لمثل هذا العمل» ...

قطبت الأم جبينها وهي تنظر للأمام ... كانت تخاف أن يقوم الأب بضرب ابنته ... لم يلبث هذا التقطيب أن زال

لم تشأ الأم الغاضبة أن تفاجئ ابنتها وهي على هذه الحال .. تراجعت قليلاً عن باب الغرفة، ثم رفعت صوتها مخاطبة الجدة ..

- أين سعاد يا حاجة .. أتكون قد نزلت الشارع؟

بسرعة .. خلعت سعاد كل ما عليها من حلي أمها، ثم وضعتها في علبها، وأعادتّها إلى درج الدولاب، الذي نسيته أمها مفتوحاً .. بعد قليل، خرجت من غرفة نوم والديها، وهي ترسم ابتسامة ساذجة على وجهها وتقول :

- هاأنذا يا أُمي ..

جرت سعاد بسرعة إلى غرفة جدّها وجدتها، وذهبت الأم إلى المطبخ لتكمل إعداد طعام «الغداء».

الضحك . . قال الجد :

- قولي لي أنت يا سعاد ماذا فعلت اليوم؟

انتقلت سعاد إلى حجر جدتها وهي تقول لجدتها :

- لم أفعل شيئاً . . لم أفعل شيئاً أبداً . . ولم تكن هناك عصفورة حتى تراني، حتى العصفورة التي كانت تزقزق على النافذة حينما دخلت، طارت قبل أن أغلق النافذة.

قالت الأم وهي لا تزال تضحك :

- هذه العصفورة نظرت من خلال النافذة، فنظرها قوي جداً، وقالت لأبيك أنك كنت تلعبين بالذهب وتلبسينه، وتقلدينني وتقلدين خالتك عفاف وبنّت عمك ابتسام . . صحيح؟

أخفت سعاد وجهها في حضن جدتها وهي تضحك . . ولكن الجدة، هذه المرة، دفعته عن حضنها وهي تقول :

- أنا غاضبة منك يا سعاد . . لم تعودى تسمعين كلامنا . . تلعبين في كل شيء، وفوق ذلك تكذبين . .

قامت سعاد باكياً، ثم ذهبت إلى ركن الغرفة وهي تقول :

- وأنتم أيضاً تكذبون . . كيف تقول العصفورة لأبي عما حدث؟! هل هو سيدنا سليمان؟! استطاعت كلمات الصغيرة أن تخفف

من غضب الأب . . حمل «سعاد» بين

يديه، ثم قبلها وهو يقول :

- ألم أقل لك مائة مرة يا سعاد ألا تلعبى في أشياء غيرك؟

قال خالد :

- ألم نتفق يا سعاد على عدم الكذب؟ . . . وقلنا إن الكذب حرام، وربنا يدخل الكذاب النار يوم القيامة . . .

صرخت سعاد :

- وأنتم أيضاً تكذبون . . . جدي قال لي إن سيدنا سليمان بن سيدنا داود هو

فقط الذي كان يفهم كلام الطيور والحيوانات كلها والنمل . . . يعني هو

وحده الذي يفهم كلام العصافير . . . فكيف قالت العصفورة لأبي عما حدث؟! . .

استطاعت سعاد بكلماتها البسيطة والصادقة أن تقلب الأوضاع في الغرفة . . . لم تعد وحدها هي المتهمه

بالكذب، فالجميع يكذبون . . . بالرغم من أن آثار الدموع كانت لاتزال باقية على خديها الصغيرين، إلا أن عينيها

كانتا تشعان ببريق التصميم والتحدي . . . نظر الجد إلى الأب ثم إلى الأم

وقال :

- ألم أقل لكم؟ . . . أنتم بسلوككم تعلمون سعاد الكذب . . .

في قفزة واحدة كانت سعاد بجوار جدها

وهي تقول :

- صحيح يا جدي هم يكذبون . . .

ولم تقل العصفورة لأبي أي شيء . . . قال الجد وهو يربت بحنان على ظهر سعاد :

- نعم يا سعاد . . . لم تقل العصفورة شيئاً لأبيك، وأمك هي التي رأتك وأنت تلعبين بالذهب . .

صرخت سعاد بانفعال شديد :

- آه . . . نسيت أسد الباب . . . في المرة القادمة سأسد الباب حتى لا يراني أحد . . .

قال الجد :

- وربنا يا سعاد . . . ألا يستطيع رؤيتك إذا ما قفلت الباب والنافذة؟

لأول مرة ترتبك الصغيرة ولا تستطيع الكلام بثبات . . . هي تعلم أن الله يعمل

كل شيء . . . وهي تعلم أن الله سمع دعاء سيدنا يونس من قلب الحوت كما

أخبرها جدها . . . وهي تعلم أن الله سيدخل الأولاد الذين يعاكسون آباءهم

وأمهاتهم النار . . . وهي لا تريد أن تدخل النار . . .

أخذ الجد يفهم سعاد أخطاءها وهي تسمع باهتمام، ثم انفض المجلس

وسعاد تعد جدها بعدم العودة للعبث بأشياء أمها مرة أخرى.



قراءة في العدد الثالث من :

قافلة الأدب *

إعداد / التحرير

قدم الشيخ محمد الرابع الندوي لهذا العدد تحت عنوان «على الدرب تمضي» . . . فأوضح المكانة الأدبية للدعاء والمناجاة، وكذلك العبارات البليغة التي صدرت عن النبي ﷺ في مناسبات معينة فجرت مجرى الأمثال، ومن ذلك قوله لطفل صغير مات عصفوره : «يا أبا عمير! ما فعل النغير؟»، وقوله : «يا أبحشة! رفقاً بالقوارير»، وقوله مخاطباً بني عبد القيس : «مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى».

علمي يناقش بعض الاختلافات فيما يتعلق بأدب الزيارة النبوية، واختار الكاتب بعض القصائد وترجمها إلى الأردية ترجمة أدبية رائعة.

والمقال الثالث للباحث رضوان الله فاروقي بعنوان «الأدب والصحافة»، وهو مقال ألقى فيه الكاتب الضوء على الفرق بين الأدب والصحافة، مشيراً إلى أن البحث في موضوع الخط الفاصل بينهما قديم ولا يزال حتى يومنا هذا، فمع مرور الوقت تظهر حدود بين الأدب والصحافة أحياناً وتختلط هذه الحدود أحياناً أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن الأدب بمفهوم ما هو الإبداع الجميل لما في الحياة من تنوع، وهذا الإبداع يمكن أن يكون نتيجة للمشاعر الداخلية أو المحركات الخارجية، ويمكن أن يكون نتيجة لتسيجة التجارب والمشاهدات الفردية، أو الاجتماعية، ونتيجة لهذا القرب من الحياة فإن قارئ الأدب يجد فيه متعة ويظل مشدوداً إليه.

أما الصحافة فتخلو من الجماليات، وهي تهتم بتشكيل عقلية القارئ بالدرجة الأولى، وهي عكس الأدب تلتزم التزاماً شديداً بحدود الزمان والمكان.

وبرغم هذا فإننا نلاحظ أن العلاقة بين الأدب

وقوله معبراً عن حزنه لوفاة فلذة كبده : «إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا لفرارقك يا إبراهيم لمحزونون»، وغير ذلك كثير يمكن الرجوع إليه في كتب السنة.

ومن المعروف أن الرسول ﷺ لم ينظم الشعر، لكن ما جاء على لسانه من نثر امتاز بالبلاغة والفصاحة، وهو يعد نموذجاً أدبياً على مستوى عال من الإبداع، وهو عندنا أساس الأدب الإسلامي بعد القرآن الكريم.

أما المقال الأول فهو بقلم الشيخ عبدالله عباس الندوي، بعنوان «قصائد عربية في المذائح النبوية»، ويطلق على هذا الصنف من الأدب في الأردية «نعت»، والنعت نمط شعري يتناول فيه الشعراء بالوصف النبي ﷺ، يصفون أخلاقه الكريمة ومحاسنه، ويكشفون في أشعارهم عن مشاعر الحب لنبي الإسلام.

عرض الكاتب لنماذج من شعر «النعت» عند محمد إقبال، وعند جكر مراد آبادي، وكذلك عند شاعر الفارسية جامي، ثم عرض بعدها للقصائد العربية التي اختارها من مجموعة علامة الحرم أستاذ الحديث الشيخ محمد المالكي، وهي بعنوان «شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد»، وهو كتاب

* تصدر باللغة الأوردية عن «مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية» في شبه القارة الهندية.



الندوي، وتلاه
مقال للشيخ
عبد الكريم باركي
بعنوان «مقام
محمود»، تناول فيه أمراً
على جانب كبير من
الأهمية، وهو ضرورة
الاحتياط والسيطرة على

عواطف القلب، إذا ما مدح الأدباء سيد الأنبياء، محسن
الإنسانية، ذلك لأن هذا النمط من شعر المدائح هو أدق الأنماط
الشعرية في رأي الأدباء والعلماء والفقهاء، وقد أخذ الكاتب
عنوان مقالته من الآية الكريمة في سورة الإسراء ﴿عسى أن
يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾.

ومن أبحاث هذا العدد القيمة بحث الدكتور محسن عثمان
الندوي عن «شعر المديح في الهند»، تناول فيه ما نظمته شمس
العلماء خواجه ألتاف حسين حالي - أديب الأردية - وهو
يشكو إلى رسول الله حال الأمة الإسلامية، في منظومة رائعة،
ألقي فيها الشاعر الضوء على الأحوال الاجتماعية والسياسية
والتاريخية والشعور القومي الإسلامي. والحقيقة أن هذه
السمات توجد في الشعر الأدبي، بينما لا توجد في الأدب
العربي أو الأدب الفارسي.

ومن الملاحظ أن شعر المدائح النبوية في العربية والفارسية
لا يتناول أحوال الأمة ومصائبها ومتاعبها، فهذا شيء له
مجالاته المنفصلة، ويتناول الأدب العربي، هذا الأمر في
قصائد الشكوى إلى الله تعالى رب العالمين.

وفي الهند راحت شركة الهند الشرقية تعزل أمراء
المسلمين، وتستولي على أراضي المسلمين وتعزلهم من
وظائفهم، وساءت أحوال المسلمين في شمال الهند وجنوبها،
حتى قال الشيخ عبدالعزيز محدث الدهلوي قصيدة بالعربية
صور فيها أحوال الهند، جاء فيها:

إنني أرى الإفرنج أصحاب ثروة

لقد أفسدوا ما بين دهلي وكابل

والصحافة أوجدت أديباً صحافياً، أو صحافياً أديباً، والأمثلة
متعددة.. أبو الكلام آزاد، مرزا غالب..

ولكن يظل الفرق واضحاً بين الأديب والصحافي،
فالأدباء مثلاً كتبوا عن فيتنام وعن فلسطين وعن كشمير
مرثيات وحكايات، وسكبوا الدموع على أحداث الخليج،
وما يدور في قارة أفريقيا السمرات، ومزجوا الدماء بالدموع
على الأحداث التي تدور في شبه القارة الهندية، لكن كل
حدث من هذه الأحداث كان له صحافي صار علماً في ميدان
الصحافة، ألقى بنفسه في أتون المحن في فيتنام، وفلسطين،
والخليج، والبوسنة، وأفغانستان، وحتى حادثة هدم المسجد
البابري وغيرها، ورغم هذا فالأدب حر. أما الصحافة فالحرية
فيها ادعاء لا حقيقة له.

وفي باب الشعر والأدب، ولأول مرة، قدمت «قافلة
الأدب» قصة قصيرة بعنوان «عيدان القش»، بقلم «زهرا
منظور إلهي»، وهي حكاية امرأة وهبها الله الأولاد، وقسم لها
رزقها، وأخرى لم يشأ لها الله أن تكون أما وهبها الثروة،
فراحت تبحث عن الولد حتى ولو دفعت كل ثروتها.. وبنت
عشاً للصغير الذي ستشتره من الأم الفقيرة، وراحت تحلم
بذلك اليوم الذي يحتضن فيه هذا العش صغيرها.. وبعد
عقد الصفقة تحركت الأمومة في داخل الأم الفقيرة، ووصلت
عاطفتها ذروتها بعد ولادتها فتراجعت ورفضت إتمام الصفقة،
وفضلت أن يتلى عرشها بصغارها.. أما الأخرى فراحت
تبكي وتصرخ.. وبعثرت أعواد القش التي بنت بها العش،
وجلست عليها تنعي حظها، تنتظر من ينصحبها بالصبر ومن
يفهمها أن مالك الملك يهب لمن يشاء!!..

بعد المقتطفات الشعرية الأدبية، وأخبار الأدب الإسلامي،
وتوصيات الندوة العلمية التي عقدت عن «شعر المديح النبوي»
في بنجلاديش، عرضت مجلة «قافلة الأدب» بعض المقالات
المختارة التي أقيمت في الندوة، وتصدر هذه المقالات مقال
الشيخ أبي الحسن الندوي عن «بعض الجوانب المضيئة للسيرة
النبوية في شعر المدائح النبوية الفارسي والأردني»، والمقال في
الأصل باللغة العربية، ونقله إلى الأردية الشيخ عبد المنور



الذي قال :

«إذا كان الله قد مدحك

في كتابه الكريم . .

فكيف يتحرك القلم . . وكيف

يمكن . . وماذا يمكن . . أن يكتب

هذا العبد المسكين؟!»

وتناول الأستاذ مسعود الرحمن خان الندوي في بحثه موضوع «مدح الرسول في العهد النبوي»، وفرضت الفترة الزمنية لموضوع البحث على الكاتب أن يتناول مدح الرسول في الأدب العربي فقط، فلم يكن هناك أدب فارسي أو تركي أو أردني، ولم يصل التأثير الإسلامي آنذاك إلى بلدان أفريقيا وآسيا. واعتمد الباحث أساساً على كتب السيرة.

وفي نهاية هذا العدد من «قافلة الأدب» وردت مقالات متخصصة إلى حد ما، فتناول الأستاذ محمد أشرف سليمان في بحثه «شعر المديح والعلامة سيد سليمان الندوي».

والمقالة الثانية «المديح النبوي في شعر سعدي شيرازي وحالي»، وقد تناول الباحث في مقالته موضوع المديح النبوي من خلال دراسة مقارنة لما جاء في كلتا سعدي من أشعار عربية وفارسية ولمعات (أشعار فارسية عربية).

والباحث الثالث تناول موضوعاً طالما أثار نقاشاً فيما يتعلق بماهية الأدب الإسلامي، وهو: هل الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يصدر عن أديب مسلم فقط؟ وعلى كل حال جعل الأستاذ أنيس جستي موضوع بحثه: «بعض شعراء المديح النبوي الهنادكة الذين كتبوا بالأردية»، والبحث في الأصل طويل اختصرته إدارة مجلة «قافلة الأدب»، وأوردت نماذج شعرية لشعراء هنادكة.

أما البحث الأخير فكان بقلم الأستاذ ضياء الحسن فاروقي عن «القرآن والسيرة النبوية والحضارة الإسلامية في ضوء أشعار محمد إقبال».

ومسك الختام في مجلة «قافلة الأدب» أشعار بالأردية في مدح خير البرية للشاعر نشور واحدي والشاعر إقبال سهيل.

ومع تدهور

أحوال مسلمي

الهند، راح الشعراء

في قصائد المدائح

النبوية يعبرون عن ماضي

المسلمين وحاضرهم،

ويقارنون بين ما كانوا فيه وما

صاروا إليه. وقدم الباحث

نماذج من هذه القصائد منها ما جاء على لسان الشاعر عبد الباري أجميري بمدح رسول الله ﷺ، ثم يوضح ما حدث للأمة، ثم عرض الباحث نماذج لشعراء كتبوا بالفارسية والأردية.

وبعد هذه النماذج يختم الباحث بحثه الرائع بنموذج شعري للشاعر والصحافي الأديب ظفر علي خان، ثم للعلامة محمد إقبال، مشيراً إلى تأثره في شعره بالبيئة العربية والشعر العربي.

وفي بحثه القيم عن مجالات شعر المدائح النبوية الواسعة، وإعلان الشعراء عجزهم عن التعبير عن مشاعرهم في هذه المجالات، كتب الدكتور محمد يس مظهر صديقي - الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية بعلبك - بحثاً رائعاً بدأه بالآية الكريمة التي وصف فيها رب العزة نبيه ﷺ «ورفعنا لك ذكرك» «الانشراح»، ثم أورد ما جاء في الحديث القدسي من وصف للنبي ﷺ، بعدها بدأ بحثه عما قاله شعراء العرب.

ويتقبل الباحث بعد ذلك ليتحدث عن شعراء الأردية، وإظهارهم عجزهم عن التعبير عن صفات الرسول ﷺ وذكر هنا الشاعر صفتي بيجا بوري (١٦٤٥م)، والشاعر إنعام الله يقين (١٧٥٦م)، ومحمد رفيع سودا (١٧٨٠م)، وقائم جاندوبري (١٧٩٣م)، والشيخ محمد باقر أشجاء (١٨٠٥م)، والشيخ قلندر بخش جرأت (١٨١٠م)، وشاعر الأردية العظيم حكيم مؤمن خان (١٨٥١م)، وآخر سلاطين الدولة المغولية السلطان الشاعر بهادر شاه ظفر (١٨٦٢م)،

حنقاً على شادي القريض

شعر / زاهر بن حسين العسيري

هل غادر الغرباء من متهدم
 ألفيتها والحزن في جنباتها
 ونعيق غـربان يدوي هاتفاً
 ويل النواقع تعتلي دوراً لها
 أبكيت يا طल्ली فـؤاداً متعباً
 يا دارُ مَنْ لي بالعزاء فبعدهم
 يا دعدُ أين زهابكم في مَهْمَه
 يا دعد كيف لقاءكم بعد النوى؟
 قد جئتُ أحملُ كلَّ آلامي التي
 لكنني ساءعود أحملُها غداً
 يا قلبُ إن عزَّ الأساة فما لنا
 إني إذا بدت الخطوب بهولها
 أم هل تعي الأطلالُ قولَ مُسلمٍ
 ينعي المهاجرَ للبعيدِ المُبهمِ
 قد أقفرت من أهلها فتألم
 في القلب أرض بل وتجري في دمي
 يا ليت أنك إن سألت مُكَلِّمي
 ما من معز للشريد المعدم
 قفريُّ جابهم بوجهٍ تبـرُّم؟
 إن قلتُ ألقاكم فقولُ توهمِ
 ضجَّتْ بها أركانُ قلبٍ مُظلمِ
 يا قلبُ «لا تهلك أسي» وتكثَّم
 إلا التناسي وهو طعمُ العلقَمِ
 أبداً قـويّاً مثل طودٍ أعظمِ

لا لاتزعزعني الصعابُ وإنني
لكنني سَمَحُ الطَّبَاعِ وفَاضِلُ
يا قلبُ فَاذْكُرْ يَوْمَ كَانَ عِنادُهُمْ
خاطَبْتُ نَفْسِي: ما يضيرك إن أنا
لكنني رَغَمَ الجِرَاحِ بِمُهْجَتِي
إني كذا أَعْفُو وأَصْفَحُ دائماً
يا صاحبي يا من أحب خِصَامَهُ
ودَعَيْتَنِي والجُرْحُ بَاكِ نازِفُ
ودَوَاءُ جُرْحِي أن أراك وقد نسيَ
لا لا تُطِعْ قَوْلَ الوُشَاةِ إذا رَمَوْا
قومُ تُحَرِّكُهُمْ أَصَابِعُ حِقْدِهِمْ
لو كُنْتُ أَطْلُبُهُمْ لَكَانَ نَصِيبُهُمْ
وأذودُ نَفْسِي عن حَضِيضِ جِدَالِهِمْ
هُم حاسِدِيَّ على القَوَافِي عندما
يا حاسدي: الشَّعْرُ نِعْمَةٌ خَالِقِي

* *

أفري المصاعِبَ في طريقِ تقدُّمي
لا شرَّ أَقْصِدُ يا مُعَادٍ فاعْلَمُ
إذ كِدْتُ أن أهْوِي بِفَيْضِ تَأْلَمِي
أَخْرَجْتُ سَيْفًا لانتِصَارِ مُبْرَمِ
قد قُلْتُ لِلنَّفْسِ: التَّصَبَّرْ فالزَّمِي
هذي قُطُوفُ تَأْدِيبِي وتَكْرُمِي
ودَعَيْتَنِي والقلبُ يَسْبِجُ بالدمِ
يَبْكِي على الأَمْسِ الحَزِينِ المُفْتَمِ
تَ الأَمْسِ يا آسِي الجِرَاحِ وَيَلْسَمِي
لا تَلْتَفِتْ لِكَلَامِ حِقْدٍ مُظْلِمِ
حِنْقًا على شَادِي القَرِيضِ المُلْهِمِ
خِزْيًا ولكِنِّي كَمِثْلِ الأنْجُمِ
ما كُنْتُ فِي سَاحِ السَّخَافَةِ أَرْتَمِي
تَهْمِي كَمَاءِ المُزْنِ عِنْدَ تَرْتُمِي
والشَّعْرُ مِنْ فَضْلِ الكَرِيمِ المُنْعَمِ

* *

أقبل يا ولدي

شعر / محمد بن عبدالله الهويمل

وأنغامُ الخَيْرِ تُذِيبُ حُزُنِي
يَهْدِي دَمَّ كُلِّ قَنْطَرَةٍ وَحِصْنِي
يُحْطِمُ كُلَّ أَصْفَادٍ وَسُجُنِ
يَمُدُّ الْحُسْنَ مَوْصُولاً بِحُسْنِ
وَيَنْضَحُ مِنْهُ إِبْرِيْقِي وَدُنِي
فَسَامِحْنِي إِذَا أَخْطَأْتُ ظَنِي

* *

نَوَافِيرُ تَفْجُورُ بِكُلِّ لَوْنٍ
فَدِ «عَبْدُ اللَّهِ» صَفَقَ كِي نَغْنِي
وَطَفَّ بِالدَّوْحِ غُصْنًا بِعَدِ غُصْنِ
وَلَمْ تَرْضَ سِوَى صَدْرِي وَحُصْنِي

* *

نَجْمٌ فَوْقَهَا أَكْدَاسُ مُزْنِ
وَأَتْرَعُ كَاسَ رُوحِي ثُمَّ زِدْنِي
كَأَنْفَاسِ الْمَسَاءِ الْمُطْمَئِنِّ

* *

إِلَى الْمَهْدِ الْوَتِيرِ الْمَسْتَكْنِ
سَتَحْمِلُنِي إِلَى لَحْدِي وَدَقْنِي

* *

جَحِيمُ النَّارِ أَوْ جَنَاتُ عَدْنِ
فَكُلُّ مَشَاعِرِي سَتَفْرُغُنِي
لَأَنْ دَقِيقَتِي نَهْضِي كَقَرْنِ
قَرِيرٍ وَالتَّحَفِ هُدْبِي وَجَفْنِي

* *

أَتَاكَ الْكَوْثَرُ السَّحَرِيُّ يَحْبُو
أَتَى طُوفَانُ حَبْكَ يَا فُؤَادِي
فَفَرَّ الْقَلْبُ مِنْ قُضْبَانِ صَدْرِي
أَ «عَبْدُ اللَّهِ» صُبْحُ آدَمِي
وَيَنْبَجِسُ الضِّيَا فَاغْبُ مِنْهُ
ظَنَنْتُ النِّجْمَ يُشَبِّهُ مِنْكَ ثَغْرًا

* *

إِذَا صَفَقْتَ تَنْفَجِرُ الْغَيَافِي
وَصَاحَ الطَّائِرُ الْوَسْنَانُ : قَوْمُوا
فَكُنْ طَيْرًا وَحَلِّقْ فِي سَمَائِي
تَطِيرُ وَقَدْ مَرَرْتَ بِالْفِ عَشْ

* *

فَاقْبِلْ، إِنْنِي أَرْضُ خَلَاءٍ
وَصَبُّ عَلَى أَحَاسِيْسِي نَشِيدًا
فَمَنْ شَفَتِيكَ أَنْسَامُ عَذَابٍ

* *

صَغِيرِي! إِنْ تَزْمَلِكِ الْيَادِي
فَأَخْزِي قَدْ تَزْمَلْنِي وَلَكِنْ

* *

غُرُوبُكَ أَوْ شُرُوقُكَ فِي حَيَاتِي
إِذَا مَا غَبَتَ عَنْ عَيْنِي قَلِيلًا
سَتَأْتِينِي فَتَلْقَانِي عَجُوزًا
أَ «عَبْدُ اللَّهِ» نَمَّ فِي جَوْفِ عَيْنِي

* *

الأقلام الراجعة قراءة وتعليق

* حنقاً على شادي القريض، لزاهر العسيري:

ذكرتنا قصيدتك «حنقاً على شادي القريض» التي
تعارض فيها معلقة عنترة بن شداد:

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم
بعدد من القصائد الجياد التي عارضت هذه المعلقة،
لكنك بدأت ببيكاء الأطلال، ثم تحدثت عن مأساتك مع
حاسدي شعرك.

وما زال شعرك - أيها الصديق - يطاوعك حيناً، وينفر
منك حيناً آخر. ولعل مبعث نفوره عدم انقياد اللغة لك
حتى الآن، ففي البيت الثاني عشر - وقد حذفناه، نقول:

واهتف ونادي في الجراح وقل لها
لن تهزمي قلب الصبور الملجم

والصواب: واهتف وناد الجراح...

وشعرك في هذا النص يرتفع في مثل قولك عن
حاسديك:

لو كنت أطلبهم لكان نصيبهم

خزياً ولكني كمثل الأنجم

* أقبل يا ولدي، لمحمد عبدالله الهويل:

قصيدتك تنبئ عن مستقبل طيب في عالم الشعر بإذن
الله، ولكن لديك اهتماماً بالصورة الجزئية التي لا تنميتها
لتصير صورة كلية تحتوي أبيات النص جميعاً.

عندك بعض الأخطاء التي أصلحناها في البيتين الثاني
عشر والسابع عشر، مع تمنياتي لك بالتوفيق في تجاربك
الشعرية المقبلة.

الأقلام الراجعة

تصل إلى مجلة «الأدب الإسلامي» شهرياً
عشرات الرسائل، تتضمن الكثير من
الإبداعات المختلفة في القصة، والمسرحية،
والشعر، والمقالة... وستوقف بين الحين
والآخر لنرد على المبدعين الجدد، منبهين على أن أي نص
جيد يستوفي الشروط الفنية سينشر في المجلة، بمشيئة الله:

* صالح الشهري (أبو مجاهد):

قصيدتك «لحظة شرود» فيها بعض الأبيات الجيدة،
ومنها المطلع:

مصائب أيامي توالى خطوبها

فمالت بأثقال وللقلب توقد

لكن أكثر أبيات القصيدة مكسور، ويحتاج إلى إعادة
نظر، بالإضافة إلى الأخطاء التحريرية مثل قافية البيت
الرابع «نعدوا»، والصواب «نعدو».

وما يلفت النظر إلى قصيدتك استخدامك الجيد للغة
ولبعض الصور، فلعلك تطالع دواوين الشعر العربي قديمه
وحديثه، ونحن في انتظار تجاربك التالية.

* محمد بن منصور الشريف:

قرأت قصتك «آمال وآلام»، وأشكر على هذه
القصة، لكنك تحتاج إلى ممارسة طويلة لهذا الفن، من رسم
للشخصيات، وإحكام للأحداث، ورسم للعقدة، ثم
لحظة التنوير.

وكون القصة واقعية لا يعني أنها جيدة، فالواقع هو
البذرة، وعليك أنت من خلال فنك إنبات الشجرة وإيضاح
الثمرة.

ليتك تقرأ كثيراً من القصص القصيرة، ثم تقرأ ما
تستطيع من الكتب التي تدرس الفن القصصي، ولتحاول
ثانياً كتابة القصة، مع الاعتناء باللغة، فقد وجدت في هذه
القصة الكثير من الأخطاء.

والله يوفقك.

من أخبار الأدب الإسلامي

ندوات واحتفالات :

كتب : أحمد عبدالرحمن محمد :

عقد المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة، يوم الخميس ١٣ ربيع الأول ١٤١٦ هـ الموافق ١٠ أغسطس ١٩٩٥ م، ندوة بمقر جمعية الشبان المسلمين بمدينة الإسكندرية تحت عنوان «روافد الأدب الإسلامي»، شارك فيها عدد من الأدباء والنقاد الإسلاميين، ومنهم : د. عبدالمنعم يونس الذي أدار الندوة، ود. مصطفى هدار، ود. فتحي أبو عيسى، ود. سعد أبو الرضا، ود. علي علي صبح، ود. عبدالحاميد العبيسي، ود. محمد السعيد جمال الدين، ود. عبدالحليم عويس، ود. جابر قميحة، ود. صابر عبدالدايم، والأستاذ محمد التهامي، والأستاذ أحمد فضل شبلول، وعدد من شعراء الرابطة.

وقد افتتح الندوة د. عبدالمنعم يونس - مدير مكتب الرابطة بالقاهرة، ووكيل كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر في المنوفية - حيث أعرب عن شكره للحضور والمشاركين من الرابطة الذين أسهموا في إخراج هذا اللقاء الثقافي المهم، وأكد أن الأدب الإسلامي يمر بمرحلة مهمة تتطلب تضافر الجهود المخلصة لمواجهة التحديات التي تقابلنا، لأن الأدب الإسلامي أصبح أدباً عالمياً، فينبغي أن يثبت ذاته بكل

قوة ويقدم البديل الجيد للشعوب الإسلامية.

وتحدث د. سعد أبو الرضا - رئيس قسم اللغة العربية بأداب بنها - فأكد أن التاريخ يعد أيضاً من روافد الأدب الإسلامي - بعد القرآن الكريم والحديث والتراث الديني - فيمكن من خلال استلهم التاريخ أن تقدم التجربة الإسلامية الأدبية باستخدام الروافد السابقة مع معاشة الواقع، حيث يتجاوز المبدع عن تفاصيل الحدث لكي يقدم رؤيته الخاصة في إطار التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان . .

وأشار د. علي علي صبح - أستاذ النقد الأدبي بكلية اللغة العربية بالأزهر - إلى أن القرآن الكريم قد أثر تأثيراً عميقاً وشاملاً في الأدب الإسلامي شعراً ونثراً، وعندما نتحدث عن أثر القرآن نجده في المضمون وفي الشكل كذلك في المدلول اللغوي.

ففي القصة القرآنية تتجسد أروع معاني الإعجاز، وهي من أهم القصص التي أثرت في القصص الغربي قبل العربي، فنجد في القصة القرآنية الإيجاز مرة والتفصيل مرة أخرى، أو الإيحاء والتلميح أحياناً، وذلك على حسب الحالة التي يريد أن يصورها القرآن الكريم، ونجد ذلك واضحاً بصورة أكثر عمقاً وشمولاً في قصة أصحاب الكهف.

أما د. محمد مصطفى هدار - أستاذ النقد الأدبي بجامعة الإسكندرية، وشيخ النقّاد الإسلاميين - فقد أكد أن الأديب المسلم ينبغي أن تكون له رؤية إسلامية شاملة وواسعة، يستوعب من خلالها جميع روافد الأدب الإسلامي . . فعليه أن يجعل القرآن الكريم في قلبه، ويفهمه بعمق بما ينفع دنياه وآخرته، وكذلك الأحاديث والسيرة ومواقف السلف الصالح، وأن يعرف

موسى وأحمد محمود مبارك .

تكريم خفاجي :

كتب أحمد عبدالرحمن محمد :

أقامت رابطة الأدب الحديث بالقاهرة في شهر أغسطس الماضي حفلاً لتكريم د. محمد عبدالمنعم خفاجي - أستاذ الأدب بجامعة الأزهر، ورئيس رابطة الأدب الحديث، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية - بمناسبة بلوغه الثمانين، وقد شارك المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة في هذا الحفل، حيث حضر د. عبدالمنعم يونس - مدير المكتب - وكل من د. عبدالحليم عويس ود. علي صبح وعدد من أعضاء الرابطة بالقاهرة، بالإضافة إلى الفريق يحيى العلمي - الكاتب السعودي المعروف، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة -، كما أقيمت عدة قصائد تشيد بأيادي د. خفاجي على الأدب العربي، وجهوده من أجل المحافظة على اللغة العربية والتراث الإسلامي.

وفي كلمته التي شارك بها في الحفل أشاد د. عبدالمنعم يونس بالجهد العظيم الذي قدمه د. خفاجي - كأحد أبناء الأزهر الشريف - في التصدي للتيارات المنحرفة في الأدب العربي المعاصر، وحفاظه على اللغة العربية - لغة القرآن -، إلى جانب تنوع إنتاجه وغزارته ما بين نقد وإبداع، وتفسير للقرآن،

التاريخ الإسلامي معرفة واعية، وكيفية انتشار الإسلام في آسيا الوسطى وأفريقيا وحتى في أوروبا . . كل هذه الجوانب ينبغي على الأديب المسلم أن يعرفها ويعيها جيداً.

ويضيف د. هدارة : وحتى نقف على مفهوم الأدب الإسلامي جيداً يجب أن نتخلص من طريقة تعاملنا معه كأنه أدب تعليمي أو وعظي، فقد استطاع د. نجيب الكيلاني - رحمه الله - أن يجول بقلمه في بلاد المسلمين البعيدة، ويجسد لنا مآسي المسلمين هناك، وهذه النماذج هي النماذج الإيجابية التي يجب أن نحتفي بها، فنحن نريد أن نبني مذهباً أدبياً يركز على الإسلام بكل تاريخه، واللغة العربية السليمة، وكذلك الثقافات التي لا تتعارض مع الإسلام وروحه . . فعلينا مهمة خطيرة وجادة، وهي : كيف نفهم ونعي روافد الأدب الإسلامي وعياً صحيحاً عميقاً، يدل على حسن الإدراك ليكون أدبنا الإسلامي أدباً عالمياً عميقاً وليس أدباً وعظياً أو تعليمياً.

وفي كلمته أكد د. عبدالحليم العبيسي - أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بالأزهر - أن هناك روافد كثيرة ومتعددة للأدب الإسلامي، ومنها أدب الرحلات، مثل رحلة الحج المباركة، والرحلة الحجازية، ورحلة ابن بطوطة، وهذه الرحلات تعد رافداً مهماً يجب أن نرعاها ونقف عنده كثيراً.

وبعد انتهاء الندوة أقيمت أمسية شعرية لأدباء الرابطة أسهم فيها عدد من شعراء الإسكندرية - أعضاء الرابطة - منهم أحمد فضل شبلول ومحجوب



د. جابر قميحة



د. عبدالحليم عويس



د. عبدالمنعم يونس



الشاعر محمد التهامي



د. خفاجي

الإسلامي - كلمة أكد فيها أن د. خفاجي هو أحد أبناء الأزهر الشريف، ذلك الرمز الإسلامي الخالد، الذي أخرج كثيراً من الرجال الذين أسهموا في خدمة أمتهم ودينهم ولغتهم، ود. خفاجي الذي نشأ في أحضان ذلك الصرح الإسلامي الشامخ، لا يزال حافظاً للجميل محافظاً على تقاليده، ومناهضاً لأعداء الكلمة الطيبة، وحارساً للغة القرآن وللأدب الرصين والجاد. إن ساحة الأدب في حاجة ماسة إلى مثل هؤلاء الرجال العظام، الذين تربوا على الفضيلة وحب الخير وأصالة الكلمة، أمثال د. خفاجي، فهم الذين يربون الأجيال، ويأخذون بأيديهم بعيداً عن سموم الحداثة، وتيارات تخريب العقول والأخلاق والقيم، فما أحوجنا لأمثال د. خفاجي في هذا الوقت الذي عز فيه الرجال.

أما د. علي صبح - الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر - فكشف عن جانب غير معروف من حياة د. خفاجي، حيث قال: لقد حاورت أستاذاً الكبير لسنوات طويلة في المسكن، ومنذ أن عرفته - عندما كنت تلميذاً له - وهو لا ينام إلا قليلاً، فمتعته الحقيقية في الغوص في أعماق الكتب والمراجع، فالليل عنده للكتابة والقراءة والتأليف والبحث والتنقيب، والنهار للعمل ومباشرة مهامه الجامعية والعلمية. . فمثل هذا الرجل يستحق أن يكرم ويأخذ حقه من الحفاوة والاحترام، فقد ظلمنا د. خفاجي كثيراً - خاصة وسائل الإعلام - لأنه قيمة أدبية وعلمية كبرى لم نقدرها قدرها. . والرجل دائماً تراه في تواضع العلماء، لا يحب الأضواء أو الشهرة، يبحث عن النافع المفيد، لكي يقدمه للناس، ويوظف طاقاته كلها - رغم تقدم السن به وضعف صحته - من أجل رسالته التي نذر نفسه وحياته لها، وهي الدفاع عن اللغة العربية، والتصدي للمخربين والأفاقين، الذين يهدفون لهدم القيم والتقاليد

ومؤلفات في تاريخ الأدب واللغة، حتى أصبح د. خفاجي من أبرز علامات الأدب العربي المعاصر، وأهم ركائز التراث الأدبي، وهذا واضح في الإسهامات العظيمة التي أضافها للمكتبة العربية بصفة عامة والأدبية بصفة خاصة.

وأضاف د. عبد المنعم قائلًا: إنني أعترف بفضل معلمي وأستاذي د. خفاجي، الذي درّس لي في جامعة الأزهر، فقد غرس في حب الأدب الإسلامي، القائم على الإبداع النظيف الطيب النافع، لقد كانت توجيهاته خير معين لي على الطريق، وكان هو لي خير ناصح وخير أستاذ.

إن أهداف د. خفاجي التي يسعى إلى تحقيقها من خلال رابطة الأدب الحديث تتلاءم تماماً مع أهداف رابطة الأدب الإسلامي التي نتشرف بالانتماء إليها والعمل من أجلها، لأننا تعلمنا وتربينا في رحاب الأزهر منارة الإسلام وكعبة العلم، وارتشفنا من نبعه الصافي. . كما أن احتفالنا بالدكتور خفاجي إنما هو احتفال بأحد رموز الأدب الإسلامي المعاصر، وأحد الذين أسهموا في وضع لبناته الأولى في العصر الحديث، لأن الهدف واحد والغاية واحدة، وهي خدمة الكلمة الجادة والأدب النظيف والإبداع الراقي.

ثم تحدث د. عبد الحميد العبيسي - أستاذ بقسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر - فأكد أنه تتلمذ أيضاً على يد د. خفاجي في جامعة الأزهر، واستفاد منه كثيراً، خاصة في البحث العلمي، وفي إعداد الماجستير والدكتوراه، وتلقى على يديه العلم الصحيح الغزير الوافي، حيث لم يبخل الأستاذ على تلامذته بأسرار العلم ودقائق البحث العلمي.

كما ألقى د. عبد الحليم عويس - أستاذ التاريخ

والأخلاق والتقاليد .

★ ★ ★

وكانت رابطة الأدب الحديث قد أقامت ندوة لتكريم اسم الأديب الراحل د. نجيب الكيلاني، في ١٣ صفر ١٤١٦ هـ الموافق ١١/٧/١٩٩٥ م، وقد تناول المشاركون في هذه الندوة مفهوم الأدب الإسلامي عند نجيب الكيلاني، ورؤيته للرواية الإسلامية، وجهوده في تنظير الأدب الإسلامي. وقد شارك في هذه الندوة عدد من أعضاء رابطة الأدب الإسلامي، منهم: د. علي صبح ود. عبدالحليم عويس ومحمد أسامة الألفي ومحمود خليل.

★ ★ ★

على هامش اللقاء :

* أصر أعضاء رابطة الأدب الحديث على إقامة هذا الحفل بالرغم من أنه كان مقرراً إقامة حفل كبير في إحدى القاعات الكبرى بالقاهرة، ولكنه تأجل إلى الموسم الدراسي الحالي نظراً لموسم الإجازات في الصيف.

* الفريق يحى المعلمي أهدي مجموعة من مؤلفاته إلى د. محمد عبد المنعم خفاجي بهذه المناسبة «حفل التكريم».

* أسهم شعراء رابطة الأدب الإسلامي بعدة قصائد تتناول مآثر د. خفاجي، وقد أثنى الحاضرون على هذه القصائد التي عبرت عن مدى تقدير الرابطة للدكتور خفاجي.

من أخبار الرابطة :

* بمناسبة الاحتفال بمرور خمسين عاماً على الاستقلال، نظمت الحكومة الإندونيسية ولأول مرة

والأخلاق، والذوق الأدبي باسم الحداثة والتطوير، وكذلك التصدي لأدعياء الأدب، وأصحاب الدعوات الهدامة، والمذاهب المستوردة في الأدب، الذين يريدون مسخ هويتنا الذاتية والأدبية.

أما الفريق يحى المعلمي - الكاتب السعودي المعروف، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية - فقد تناول في كلمته حيوية د. خفاجي ونشاطه وكأنه في ريعان شبابه، حيث أكد أن مواصلته للبحث والتأليف في هذه السن يعد إنجازاً رائعاً، وعملاً يستحق الثناء والتقدير والتكريم، فما زال الرجل يبذل الجهد، ويسهر الليل كله يبحث ويفتش في بطون كتب التراث، ويستخرج الجواهر والكنوز. . كما أنه رجل صاحب فضل على كل دارس للأدب العربي والإسلامي، فلا بد لمن يشتغل بالأدب أو يهتم به أن يتعلم في مدرسته، ويرجع إلى كتبه ومؤلفاته القيمة.

وفي نهاية الحفل تحدث د. عبد المنعم خفاجي فشكر كل الذين أسهموا في اللقاء، وخاصة - المتحدثين - وأكد أنه سعيد جداً بهذا الجمع الكريم، الذي يعبر عن أصالة الكلمة الطيبة ورسوخها في نفوس الأدباء والشعراء والمهتمين بالأدب، وأن هذا التجمع يؤكد أن هناك من يحمل الراية ويكمل الرسالة، ويواصل الجهاد في هذا الميدان المهم، وهذا المضمار المؤثر والخطير، نظراً لأهمية الدور الذي يلعبه الأدب في حياتنا، كما خص بالشكر رابطة الأدب الإسلامي العالمية، التي شاركت في تكريمه والتي تلعب دوراً رائداً في الحفاظ على اللغة والتراث والمقدسات والحضارة الإسلامية. . كما أشار إلى التعاون المثمر بينها وبين رابطة الأدب الحديث - التي يرأسها - من أجل خدمة هدف مشترك وهو قيام أدب راق متميز، يسهم في خدمة المجتمع ويشري الحياة الإنسانية، ويسهم في زيادة الوعي والترفيه المباح، مع الحفاظ على القيم

ومن نظامها الأساسي، باللغتين العربية والإنجليزية، كما وعدت اللجنة المشرفة على نشاطات المهرجان بترجمة التعريف إلى اللغة الإندونيسية وتوزيعه على المهتمين بالأدب الإسلامي.

ومما جاء في الإعلان الذي قرئ في الحفل الختامي، ووقعه جميع الشعراء الحاضرين:

إننا - الكتاب والشعراء المسلمين - ورثة أعظم تراث، نعلن ما يلي:

- إن كافة الأنشطة الثقافية بمختلف اللغات يجب أن تهدف إلى الإغناء من إنسانية الإنسان لا إلى الحط منها.

- إن القيم الأخلاقية للأعمال الأدبية يجب أن تهدف إلى اغناء التجربة الإنسانية حتى تحقق للفرد سكينته النفسية، وتقوي صلته بالله سبحانه، وبما خلقه الله في الكون.

- نشجب الحروب الفكرية والثقافية التي تتخذ وسائل النشر والإعلام أداة لها للسيطرة على فكر الأفراد والجماعات.

- في الوقت الذي تحترم فيه إلى أبعد الحدود حرية التعبير، لا نرضى بأن تطغى حرية بعض الأفراد على حريات الآخرين.

- نشجب كل أنواع الاعتداء على الشعوب الإسلامية، ونقف بجانبها في الكفاح.

- نؤمن بالحوار، والتسامح، والسلام، ونرجو من قادة الشعوب الإسلامية أن يتعاونوا فيما بينهم - مهتدين بشرع الله - ليثبتوا للناس كافة أن دينهم قد جاء من الله سبحانه (رحمة للعالمين). كما نرجو من قادة الشعوب الأخرى أن يجنبوا العالم كل أنواع الدمار والخراب، مثل: استعمال الأسلحة النووية والكيميائية، والمقاطعات الاقتصادية غير الإنسانية

مهرجاناً للشعر الإسلامي دعت إليه شعراء من أقطار متعددة، وكان فيمن حضر من خارج إندونيسيا شعراء من: ماليزيا، وسنغفورة، وبروناي، وباكستان، والمملكة المتحدة، ومن البلاد العربية حضر الأستاذ محمد التهامي - عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية - ممثلاً لمصر، والأستاذ أحمد البراء الأميري ممثلاً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

وقد امتدت فعاليات المهرجان خمسة أيام من ٢٤ إلى ٢٨ جمادى الأولى ١٤١٦ هـ الموافق ١٨ إلى ٢٢ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٩٥ م، وعقد في مدينة جاكارتا في حديقة إسماعيل مرزوقي.

كانت الأمسيات الشعرية تقام كل يوم بعد صلاة العشاء، وتمتد عدة ساعات، أما أوقات الصباح فكانت تخصص لمناقشة ورقات العمل التي أعدت من قبل، وكانت المناقشات تتم باللغتين العربية والإنجليزية. ومن أهم الأوراق التي نوقشت: «مشروع إقامة اتحاد عالمي للكتاب الإسلاميين». وقد عرض فيه الأستاذ أحمد البراء الأميري التجربة الرائدة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، الذي كان محل إعجاب الحاضرين، ومثلاً يحتذى للجمعيات والاتحادات الأدبية الإسلامية المحلية والعالمية.

وفي الأمسيات الشعرية كانت تترجم إلى اللغة الإنجليزية قصيدتان لكل واحد من الشعراء الإندونيسيين، أما الشعراء الذين ألقوا شعرهم بلغة أخرى (كالعربية والأردية مثلاً)، فكانت تترجم لهم قصيدتان: واحدة إلى الإنجليزية، والثانية إلى الإندونيسية.

لقد كان حضور ممثل رابطة الأدب الإسلامي العالمية في هذا المهرجان الإسلامي الدولي على جانب كبير من الأهمية، إذ كان مناسبة ثمينة لتعريف الحضور بالرابطة، ودعوة الأدباء الإسلاميين إلى الانتساب إليها، وقد وزعت في الحفل الختامي نسخ من التعريف بالرابطة

التي تؤدي إلى بؤس الشعوب، واللجوء إلى استعمال الموازين المختلفة في معاملة الشعوب بدافع التحيز والتمييز.

★ ★ ★

* وجه مكتب شبه القارة الهندية الدعوة إلى ندوة عن الأدب الإسلامي بعنوان «أدب السيرة والتراجم» برئاسة سماحة رئيس الرابطة الشيخ أبي الحسن الندوي، وذلك في مدينة أعظم كره في أكاديمية شبلي الإسلامية، وكان موعد الندوة في يوم الجمعة ١٧-١٩/٦/١٤١٦ هـ الموافق ١٠-١٢/١١/١٩٩٥ م، وتشتمل الندوة على ثلاثة محاور هي: أدب السيرة النبوية، وأدب السيرة الذاتية، وأدب التراجم، وأهم المؤلفات فيه.

* أصدر رئيس الرابطة الشيخ أبو الحسن الندوي قراراً بأن يتولى الدكتور مأمون فريز جرار رئاسة مكتب الأردن، كما وجه سماحته رسالة شكر وتقدير للدكتور عودة الله منيع القيسي - الرئيس السابق للمكتب - ومن أنشطة مكتبة الأردن في صيف هذا العام :

- محاضرة بعنوان «بين إبليس والملائكة في القرآن الكريم: دراسة دلالية لغوية»، قدمها عضو الرابطة د. عودة أبو عودة مساء الأربعاء ٢٨ صفر ١٤١٦ هـ الموافق ٢٦ تموز (يوليو) ١٩٩٥ م، وعقب المحاضرة جرى نقاش موسع حول الموضوع شارك فيه عدد من أعضاء الرابطة وجمهور من الحاضرين.

- قدم عضو الرابطة محمد حمدان السيد أمسية قصصية مساء الأربعاء ١٣ ربيع الأول ١٤١٦ هـ الموافق ٩ آب (أغسطس) ١٩٩٥ م، أعقبها بعض التعليقات والمداخلات والحوار حول محتوى هذه القصص.

- قدم عضو الرابطة مصطفى حسن أبو الرز أمسية

شعرية مساء الأربعاء ٢٧ ربيع الأول الموافق ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٩٥ م، ألقى فيها مجموعة من قصائده الشعرية المتنوعة، ثم تلا ذلك حوار ونقاش حوال ما ألقى الشاعر من شعر.

- قدم عضو الرابطة حيدر قفه أمسية قصصية مساء الأربعاء ١١ ربيع الآخر ١٤١٦ هـ الموافق ٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٥ م أعقبها حوار شامل حول محتوى هذه القصص.

- قدم عضو الرابطة د. عدنان رضا النحوي أمسية شعرية مساء الأربعاء ٢٥ ربيع الآخر الموافق ٢٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٥ م قدم فيها مجموعة مختارة من شعره، وأعقب ذلك حوار شامل لمحتوى هذه القصائد ولقضايا الأدب الإسلامي بشكل عام.

* ألقى د. عبدالقدوس أبو صالح - نائب رئيس الرابطة - محاضرة عن الأدب الإسلامي، بدعوة من النادي الأدبي في جيزان، وذلك مساء الأربعاء ١٥/٦/١٤١٦ هـ.

* فاز الشاعر المصري فوزي خضر بجائزة الدولة التشجيعية في مجال الشعر بجمهورية مصر العربية، وذلك عن ديوان «النيل يعبر المواسم» الذي صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩١ م، احتوى هذا الديوان على إحدى وعشرين قصيدة من شعر التفعيلة، ويعد الديوان السادس في قائمة إصدارات الشاعر، فقد سبقه في الصدور الدواوين التالية: ديوان أغنية لسيناء (مشترك) ١٩٧٥ م، وديوان الترحال في زمن الغربة ١٩٨٤ م، وديوان من سيمفونية العشق ١٩٨٥ م، وديوان فصل في الجحيم ١٩٨٥ م، وديوان ولهية إلى الإسكندرية ١٩٨٨ م،

* فاز الشاعر المصري طاهر العتباني بجائزة هيئة الإذاعة البريطانية في الشعر، وكان الشاعر فاروق شوشة من أعضاء هيئة التحكيم في هذه الجائزة.

من منشورات أعضاء الرابطة :

* صدر للدكتور مأمون فريز جرار كتاب بعنوان «صور ومواقف من حياة الصالحين» في عشرة أجزاء عن دار البشير في عمان ومؤسسة الرسالة في بيروت ، كما صدر له الجزء الأول من سلسلة جديدة بعنوان «صور ومواقف من حياة الصالحات» عن جهة النشر نفسها .

* عن ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر - سلسلة الدروس في اللغات والآداب - صدر كتابان للدكتور عبد الجليل مرتاض بجامعة وهران ، الأول يحمل عنوان «البنية الزمنية في القص الروائي» ، أما الثاني فيحمل عنوان «العربية بين الطبع والتطبيع - دراسة لغوية تحليلية لتراكيب عربية» ، ويشتمل على قسمين : القسم الأول يحمل عنوان الكتاب «العربية بين الطبع والتطبيع» ، أما القسم الثاني فيحمل عنوان «عوامل التنمية اللغوية في العربية» .

* عن مركز السنة والسيرة التابع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، صدر كتاب جديد للدكتور إبراهيم عوضين - الأستاذ بجامعة الأزهر - تحت عنوان «محمد ﷺ بين البوصيري والشعراء المعاصرين» .

* «المعارضات وأثرها في الشعر العربي» هو أول كتاب ألفه الأستاذ حيدر قفة ، وبقي مخطوطاً حوالي عشرين عاماً إلى أن صدر هذا العام ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م بعد أن أصدر قبله اثني عشر كتاباً .

* عن منشورات المشكاة صدر الديوان الثاني عشر للشاعر محمد علي الرباوي تحت عنوان «أول الغيث» ، وقد أهداه إلى ابنه محمد زكريا الذي رزق به بعد عشرين عاماً ، وقد نشرنا له في العدد الماضي قصيدة «الغيث» التي أهداها له أيضاً .

من منشورات الأدب الإسلامي :

* «ومضات إيمانية» ديوان شعر جديد للشاعر إبراهيم بن ناصر المدلج ، قدم له معالي الدكتور عبدالله التركي - وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية - وطبع في دار الجواب بالرياض .

* «زلازل وأطواد» ديوان شعر جديد للشاعر محمد بن ظافر الشهري ، احتوى على ثماني قصائد من الشعر العمودي والتفعيلي ، ووقع في ٦٤ صفحة من القطع الصغير .

* «التنصير في الأدبيات العربية» كتاب جديد من تأليف د. علي إبراهيم النملة ، ونشر عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

* «الصفير» هي المجموعة القصصية الثانية للأديبة الناشئة بشرى حيدر الطالبة بالمرحلة الثانوية ، وقد كتب د. عماد الدين خليل مقدمة لهذه المجموعة ، وكان الأستاذ عبدالله الطنطاوي - عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية - قد كتب لها مقدمة المجموعة القصصية الأولى «حكايات من بلدي» ، وتمثل هاتان المجموعتان أدب الأطفال كما يكتبه الأطفال أنفسهم .

* عن دار الأدب الإسلامي بقبرص صدرت طبعة جديدة من أعمال الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا ، منها :

- صور من حياة الصحابة .
- صور من حياة التابعين .
- نحو مذهب إسلامي في دراسة الأدب ونقده .

حول لغة النقد الحديث

سعيد الوالي *

الأستاذ الدكتور عبدالقدوس أبو صالح:

القادر على كشف مآهات الأدب العربي الحديث ونقده، الذي ارتدى في أحضان المجهول بانفتاحه غير الموضوعي على العالمية.

ولكن هل النقد الإسلامي الحديث بصفة خاصة، أصبح في مستوى التحدي وطرح البديل المقنع؟ قد تتضارب الآراء النقدية حول هذه المسألة، إلا أنه قد يتفق الجميع على أن ما أنجز من نظرية نقدية إسلامية تعطي الدليل القاطع على أن الأدب الإسلامي عموماً عرف طريقه ويتجه نحو هدفه لا يضره من خالفه.

فالنقاد الإسلامي الذي لا يحب لنفسه أن يكون ملحقاً بهذه المدرسة الحديثة أو تلك، ولا يحب أن بأسر نفسه في هذا المنهج أو ذاك، إنما يحاول أن يطور أدواته الفنية والمنهجية بالاعتماد على المنهجية الإسلامية المنبثقة عن الرؤية القرآنية والحياة والإنسان. وهنا فريدة الناقد الإسلامي وجدته، التي تجعل ما يقدمه من أعمال نقدية تحظى بإعجاب الناس بعيداً عن اللهاث وراء تقلبات المناهج والمدارس الحديثة التي تخدع الأبصار ببريقها، ويحاول النقاد العرب ترويجها وتسويقها لجمهور القراء دون جدوى! أليس هذا أحد الأسباب في إغراض الناس عن الأدب الحديث وتبرمهم بما يكتب حوله من نقد؟

وطبعاً هذه ليست دعوة للإغراض عن المدارس النقدية الحديثة وما أفرزته من مناهج، كما أنها ليست دعوة للركون إلى الذات والرضا بما حققه الأسلاف.

كلاً! إن الناقد الإسلامي اليوم وعى دوره، واتضحت الرؤية لديه، ومن ثم فهم واجبه، فأصبح كالحلة تقتص الرحيق من كل الزهور، فهو لا يعرض عما يدور حوله من نقد لسانی أو بنیوی أو سمیائی وما إلى ذلك، بل يتبع كل هذا من مظانه وأصوله. ولكن الناقد الإسلامي يُبقي لنفسه المجال واسعاً ليقتبس من هذا النقد الحديث الجوانب التي تنفع الناس، ويذر ما يضر بسياق حضارته وأدبه، فاقحام الباب عليهم ضروري لمن يروم نقد الآخر وتجاوزه، كما أن الناقد الإسلامي لا يكتفي بالوقوف عند التراث، ولكنه يعمل على تطويره ليلآئم النظرية النقدية الإسلامية الحديثة. وتبقى الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها.

قرأت مقالكم في «مجلة الأدب الإسلامي»، (ع. الخامس) حول «لغة النقد الحديث»، وما إن انتهيت من قراءة المقال حتى أحسست بشعريرة تسري في جسدي، وأحب أن أقول لكم يا أستاذي العزيز، وأنتم أدرى مني بذلك، أن لغة النقد الحديث وتعقيداتها أصابت بشرها، مع الأسف، كثيراً من الدارسين، هذه اللغة المبهمة هي ثمرة لإبداع شعري أو نشري مبهم بدوره، موغل في الغموض والتعمية، حتى لتحسبه ضرباً من الأحاجي أو طلاس المنجمين والكهّان، وكل باسم الحداثة وتفجير اللغة! فكيف ستكون لغة هذا النقد واضحة إن كان يحمل على عاتقه فك طلاس الإبداع الحداثي المسمى أدباً؟

أضف إلى هذا أن النقد الحديث في كثير من جوانبه يتوسل بمفاهيم وأدوات منهجية، مجلوبة من حقول معرفية أخرى غير أدبية، بعضها مأخوذ حتى من العلوم الدقيقة من فيزيائية ورياضية، فضلاً عن العلوم الإنسانية التي أصبحت مصطلحاتها تتزاحم بكثافة في النقد الأدبي الحديث.

ومن ثم أصبحت لغة النقد الحديث تنضح برسومات بيانية، وإحصاءات وتعقيدات لغوية لا تكاد تبين، تبتعد يوماً بعد يوم عن لغة الأدب السامية وما فيها من ماء وحلاوة وطلاوة.

حينما ننظر إلى هذا الركام من حولنا الذي انتفش، وأصبحت له مؤسسات تُعنى به وتروج له، وتكرّم الداعين له المتسرلين برداء الحداثة الكالغ، حينما ننظر إلى كل هذا نستشعر مدى المسؤولية الملقاة على عاتق الأدب الإسلامي، وعلى الناطقين باسمه. إنها مسؤولية عقدية وأدبية، لأن حماية اللغة العربية - وهي لغة القرآن الكريم - من هذا السيل الجارف من الركاكة والרטانة تصبح واجباً دينياً، ثم هي مسؤولية أدبية لأن الأدب الإسلامي هو أدب الوضوح والتواصل مع الإنسان، يعبر عن ضمير الأمة ويخاطبها في إطار سياقها الحضاري وفق شروط فنية راقية، تتطلبها لغة الأدب إبداعاً أو نقداً.

وهذا الدور المنوط بالأدباء والنقاد الإسلاميين هو الوحيد

واجب الدعوة إلى الأدب الإسلامي

بقلم / د. محمد بن سعد بن حسين

كذلك فلا أقل من أن يصدر عن التصور الإسلامي .
ثم إن الدعوة لا تصادم الأدب العربي، بل تخدمه
بسلكه في المسلك القويم، وتعترف اعترافاً كاملاً بصالحه
من أيام المصطفى ﷺ إلى أيامنا هذه، وهذا لا يعني أن
الأدب العربي لم يكن قوياً، بل إن فيه ما هو من هذا
وما هو من سواه، وكذلك شأن أعمال الناس
وأحوالهم، إلا أننا نريد من الأدب العربي أن يكون
نظيفاً، ليكون ممثلاً لواقع الأديب المسلم فكراً وعملاً
وسلوفاً، فهل فهم المعارضون لهذه الدعوة مقاصدها
الشريفة؟

إن الدعوة إلى الأدب الإسلامي ليست جديدة،
ولكنها تجديدية، أي أنها تجديد للمنهج السليم والنهج
القويم، تستصحب القديم، وتطلب صالح الجديد، فهي
ليست مغلقة، بل مفتوحة كل الانفتاح، إلا على ما فيه
فساد، فذلك مما قامت من أجل نبذه ومحاربته،
وتخليص أدب الأمة منه، والدعوة الصالحة الهادفة
المبصرة أخذاً بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ادع إلى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ من الآية (١٢٥) من
سورة النحل.

ومن المهم جداً أن يعي الدعاة حساسية الموقف
وأهميته، وأن يستشعروا مسؤولته، فإذا ما تم لهم ذلك،
وكانوا قاصدين وجه الله في ذلك كله، فإن الله سوف
يضع لكلامهم القبول، وسوف يفتح عليهم بما لم يكن
لهم في حسابان، فيكونون من المسددين في قولهم وفي
عملهم، إن شاء الله.

عندما يتأمل الإنسان الأهداف التي أمها دعاة الأدب
الإسلامي يجد أنها أهداف سامية، من حقها أن يُثنى
عليها، وعلى الداعين إليها، لا لكونها دعوة صالحة إلى
عمل صالح وحسب، بل لأنها أيضاً إسهام في صد
السهم الموجهة إلى أمتنا في ماضيها وحاضرها
ومستقبلها، دينياً وتاريخياً وكياناً.

وأكثر ما تزحف عليها هذه السهم من طريق الفكر
بعامة والأدب بخاصة، وهذا ما هو مشهود فيما شغلت
به الساحة الأدبية في هذا العصر، حتى لم ير المخدوعون
جديداً سواه، وهذا باب من الفتنة، أعادنا الله من شر
الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وأوسع أبواب التأثير المضلل إنما هو باب الأدب، لما
لهذا الفن من سلطان على عواطف الناس ومشاعرهم
وإحساساتهم، لكونه الفن الجميل الذي لا تُذهب الأيام
حلاوته.

ومن هنا يأتي خطر الأدب إيجاباً وسلباً، وتأتي أيضاً
أهمية الدعوة إلى الأدب الإسلامي، التي خلاصتها أنها
الدعوة إلى الالتزام الإسلامي في الأدب التزاماً لا يلزم
الأديب بسلوك سبيل معين، بل يتيح له طرقاً جميع
السبل، على أن يصدر أدبه عن التصور الإسلامي
الصحيح، ولا يخرج عن المفاهيم الإسلامية، فإن فعل
ذلك، بأن خرج على المفاهيم الإسلامية، فإن أدبه حينئذ
يكون أدباً غير إسلامي.

وأشرف الأدب ما خُدم به الإسلام فكراً وعقيدة
وعملاً ودعوة، لكونه حينئذ أدب جهاد، فإن لم يكن

نبت (بيلوجرافيا)
«مجلة الأدب الإسلامي»
المجلد الثاني - الأعداد (٥-٨)
١٤١٥/١٤١٦ هـ - ١٩٩٤/١٩٩٥ م
المحتويات

- ١ - افتتاحية العدد
- ٢ - الأقلام الواعدة
- ٣ - الشعر
- ٤ - القصة
- ٥ - لقاء العدد
- ٦ - المسرحية
- ٧ - المقالات والبحوث
- ٨ - من التراث
- ٩ - من ثمرات الكتب والمطابع
- ١٠ - من المكتبة
- ١١ - من النقد التطبيقي

افتتاحية العدد :

- * نهج متميز
- * وسام صلاح الدين
- * وعاد السيف إلى غمده
- * ومر عام أول

الأقلام الواعدة :

- * أقبال يا ولدي (شعر) - محمد عبدالله الهويل
- * تعليق - المحرر
- * تعليق - المحرر
- * جازان ولهيب الأشواق (شعر) - عيسى علي جرابا
- * حنقاً على شادي القريض (شعر) - زهران بن حسن العسيري
- * الطائر والغضب (شعر) - سعيد عاشور
- * قبل القروب (مسرحية) - علي الغريب
- * قراءة وتعليق (نقد) - د. حسين علي محمد
- * قلب في مهب الريح (شعر) - أماني مسعد الفلاحة
- * قراءة وتعليق في بريد الأقلام الواعدة - التحرير
- * مالك يا ضميري (شعر) - صالح علي العمري
- * ويحك يا ليلي (قصة قصيرة) - ثويني محمد الدوسري

الشعر :

- * ابتهاج - راضي صديق
- * أربع مقطوعات شعرية - أحمد محمد الصديق
- * أغنية في زمن الانكسار - مأمون فريز جرار
- * أنا ابنك يا بوسنة ، لجمال الدين لاتيش - ترجمة : حسين عمر سباهيتش
- * أنشودة طفل - عبدالرحمن الصوفي
- * إنهم يسرقون القدس من معجم البلدان - د. سعد دعبس
- * الجبان - عبدالله عيسى السلامة
- * حب طهور - خالد سعود الحليبي
- * خمسون عاماً - خالد البيطار
- * خيول الفجر - أحمد محمود مبارك
- * ذكرى الصحراء - مباركة بنت البراء

١/٧
١/٨
١/٦
١/٥

١٠٣/٨
٧٧/٦
٩١/٧
٩٦/٥
٩٢/٨
٧٦/٦
٨٣/٧
٩٨/٥
٧٧/٦
٩٥/٨
٩٤/٥
٩٨/٥

٢٦/٦
٨٠/٦
٣٦/٨
٧٢/٧
٥١/٨
٢٣/٨
٣٥/٦
٦٣/٥
٩٢/٧
٦٥/٧
٤٨/٧

- رمضان - يس القيل *
 سراب المجد - د. أحمد بسام ساعي *
 شكوى ، لروح الأمين خان - ترجمة : د. محمد معظم حسين خان *
 الصراع - د. رياض صالح جنزلي *
 صرخة من أعماق سراييفو - عبدالله بن ثاني الرويلي *
 عتاب - عبدالعزيز محمد السالم *
 عصفورة التذكار - مرعي بن محمد القرني *
 الغيث - محمد علي الرباوي *
 في وقت البلاء ، لتوماس ناش - ترجمة : بشير رفعت سعيد *
 قادم - ظاهر العتباتي *
 القبو الزجاجي - د. صابر عبدالدايم *
 قد بُح صوتنا - أكمل بن الشيخ محمد زين *
 القرآن العظيم - مصطفى أحمد الزرقاء *
 قطوف - أحمد عبدالحفيظ شحاته *
 قطوف من أدب سعدي الشيرازي (المثنويات) ترجمة : د. ملكة علي التركي *
 الكنز المفقود - سعود بن حامد الصاعدي *
 لآلئ الشعر - د. عدنان التحوي *
 لا تحزني طفلي - حامد الشريف *
 مكة المكرمة - عليّة الجعار *
 من المشرق إلى المغرب ، لجمال الدين لايتش - ترجمة : عمر حسين سباهيتش *
 مناجاة - محمد زيدان *
 النشيد الوطني لجمهورية الشيشان - أبو زيد أيديرو *
 نور الفجر ، لمحمد إبراهيم ذوق - ترجمة : د. سمير عبدالحميد إبراهيم *
 هتاف من الأعماق - د. رياض صالح جنزلي *
 هل تاه الخطو؟ - بدر بدير حسن *
 وتلك يثرب تصطفيك - عبدالله السيد شرف *
 وشم الخلود - أحمد القنومي *
 يا إلهي - د. يوسف عزالدين *
 يوم في حياة صياد اللؤلؤ - د. محمد وليد *
القصة :
 إشراقة - مديحة السايح *
 أحزان - عنتر مخيمر *
 حاج بلا راحلة - أنور بدرالدين *
 حكاية القط والعصفور - د. جابر قميحة *
 حمزة يعبر بحر المجاز - د. حسن الوراكلي *
 رحلة في طريق النور - درويش الزفتاوي *
 الزيارة - سمير أحمد الشريف *
 سعاد تكذب - عبدالجواد الحمزاوي *
 الشيطان شاطر - أحمد قراج *
 الطفل الصورة - فريد محمد معوض *
 القادم الجديد - حسين يوسف العصفوري *
 لجنة الكبريت - جمعة محمد جمعة *
 المعاش - خالد عبدالرؤوف *
 المنحة - عمر الفتال *
 الموت في الظهيرة - حسن حجاب الحازمي *
لقاء العدد :
 (الأديب) ثروت أباطة - حاوره : عنتر مخيمر *
 (الدكتور) عبدالحميد إبراهيم - حاوره : محمد زيدان *

- ١٤/٧ * (الشاعرة) علي الجعار - حاورها : عنتر مخيمر
- ٢٢/٥ * (الدكتور) مصطفى الشكعة - حاوره : أحمد فضل شبلول
- المسرحية :**
- ٨٤/٦ * الابن - خيرى السيد إبراهيم
- ١٩/٨ * ذرية بعضها من بعض - د. علي شلق
- ٨٨/٥ * الشاعر والربيع - علي أحمد باكثير
- ٥٨/٧ * ضجة في مدينة الرقة - محمد الحساوي
- ٥٢/٨ * مركبة التقوي - عادل محمد سليمان
- ٧٠/٥ * ممالك للبيع - د. عبدالحميد إبراهيم
- المقالات والبحوث :**
- ٢٨/٨ * أحمد كمال عبدالله : شاعر مسلم من ماليزيا - د. محمد مصطفى بدوي
- ٤٦/٥ * الاتجاه الإسلامي في النثر الفني - التحرير
- ٩٤/٧ * الأدب الإسلامي : بين المفهوم، والتعريف، والمصطلح - د. سعد أبو الرضا
- ٢٩/٧ * الإسلام وضوابط العمل الأدبي - د. أحمد بسام ساعي
- ١٠٦/٥ * إلى الأستاذ عبدالله الطنطاوي (تعقيبات) - إلهام المبارك
- ٧/٨ * الانحياز والعلم - د. إبراهيم السامرائي
- ٤/٦ * بين الأدب العربي والأدب الإسلامي : تاريخ المصطلح والدلالة - عبده زايد
- ٩٩/٦ * تعقيب على تعقيب - د. محمد بن سعد بن حسين
- ٧١/٦ * جماليات الخط العربي في الشعر التركي المعاصر - د. محمد عبداللطيف هريدي
- ١١٢/٨ * حول لغة النقد الحديق (تعقيبات) - سعيد الوالي
- ٢٨/٦ * خاطرة أدبية حول الهجرة - د. محمد الحسيني أبو سم
- ١٠٢/٧ * خصائص العقلية الإسلامية في الإبداع الفني - د. محمد رشدي عبيد
- ٢٩/٥ * الرؤية الإسلامية في أدب المقال الأردني - د. سمير عبدالحميد إبراهيم
- ٣/٦ * رؤية في الشعر الإسلامي بين الشكل والمضمون - د. محمد زغلول سلام
- ١٦/٧ * الرواية الغربية والعودة إلى الوثنية - د. عماد الدين خليل
- ٣/٨ * شبهة المصطلح - د. عبدالقنوس أبو صالح
- ٢٥/٥ * ظاهرة الأدب المكشوف في كتب التراث - د. محمد رجب البيومي
- ٣/٥ * عالمية الأدب الإسلامي - د. عبدالباسط بدر
- ٦٠/٨ * علي محمود طه : شاعر العروبة والإسلام - د. حسن فتح الباب
- ٦٤/٥ * فن إسلامي للحياة - محمد سداد العقاد
- ١٦/٦ * في نقد «النقد الإسلامي» - محمد إقبال عروي
- ٨٨/٨ * قراءة في العدد الثالث من «قافلة الأدب» - التحرير
- ٩٧/٨ * قراءة في قصة «حكاية القط والعصفور» (تعقيبات) - محمد مصطفى سليم
- ٩٩/٥ * قراءة في مجلة «قافلة الأدب» - التحرير
- ٨٦/٦ * قراءة في مجلة «قافلة الأدب» - د. سمير عبدالحميد إبراهيم
- ٧٣/٧ * لغة القرآن الخالدة - محمد نعمان الدين الندوي
- ١١٢/٥ * لغة النقد الحديث (الورقة الأخيرة) - د. عبدالقنوس أبو صالح
- ١١٢/٦ * المجاهد .. بطلاً (الورقة الأخيرة) - د. حسين علي محمد
- ١٦/٥ * مصطلح الأدب الإسلامي بين أيدي الدارسين - د. زحمد محمد علي حنطور
- ٥١/٧ * من أدباء الإسلام (محمد فريد وجدي) - د. غريب جمعة
- ٢٤/٨ * من أدباء الإسلام (محمد محمد حسين) - محمد عبدالحميد محمد خليفة
- ٣/٧ * من أسلمة الأدب العربي إلى إنشاء أدب إسلامي - أنور الجندي
- ١١٢/٧ * من حديث الشيخ والفتي (الورقة الأخيرة) - عبدالله السيد شرف
- ٤٤/٧ * نبوة شاعر عن اللغة القومية في طاجيكستان - د. محمد السعيد جمال الدين
- ٧٠/٨ * النثر الفني عند أهل الحديث - محمد رستم
- ١١٣/٨ * واجب الدعوة الإسلامية (الورقة الأخيرة) - د. محمد بن سعد بن حسين
- من أخبار الأدب الإسلامي :**
- ١٠٨/٦ * أخبار الأدب الإسلامي - التحرير

- ١٠٨/٧ * أخبار الأدب الإسلامي - أحمد فضل شبلول
- ١٠٧/٥ * من أخبار الأدب الإسلامي - التحرير
- ٩٨/٨ * من أخبار الأدب الإسلامي - التحرير
- من التراث :**
- ٧٥/٦ * باب الحمامة ومالك الحزين - ابن المقفع
- ٨٦/٥ * بخيل وأكول - ابن الرومي
- ٨٧/٥ * بين بخيل وأكول - الجاحظ
- ٧٩/٧ * صبر العلماء - تقي بن مخلد الأندلسي
- ٨٩/٧ * عفة العلماء - علي بن عبدالعزيز الجرجاني
- ٤٨/٨ * الفارس والأسد - أبو الطيب المتنبي
- ٦٦/٧ * معارضات ومواقفات : أبو الفتح البستي وأبو البقاء الرندي
- ٧٤/٦ * نوح حمامة ثكلى - حميد بن ثور الهلالي
- ٤٩/٨ * وصف الأسد - أبو زيد الطائي
- من ثمرات الكتب والمطابع :**
- ٧٧/٥ * خصائص مزعومة - د. عمر فروخ
- ٩٢/٦ * لغة الشاعر والغموض - د. يوسف عز الدين
- ٦٢/٧ * مقارنة بين أسلوب الحديث وأسلوب القرآن - مصطفى الزرقاء
- ٥٤/٨ * موقف ابن عباس من شعر البهتان - د. فهد العرابي الحارثي
- من المكتبة :**
- ٣٤/٨ * الأدب الإسلامي المقارن - د. سمير عبد الحميد إبراهيم
- ٨٣/٦ * أساسيات في أدب الأطفال - أحمد فضل شبلول
- ٤٠/٧ * بناء الشخصية في القصة القرآنية - د. محمد علي داود
- ٤٩/٥ * ديوان البوسنة والهرسك - د. محمد علي داود
- ٤٧/٨ * في الأدب الإسلامي : قضايا، وفنونه، ونماذج منه - د. محمد علي داود
- ٤٦/٨ * القصص الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين - د. حسين علي محمد
- ٤٨/٥ * مدخل إلى الأدب الإسلامي - مصطفى عبد الشافي
- ٨٢/٦ * مذاهب الأدب الغربي : رؤية إسلامية - د. محمد علي داود
- ٣٩/٧ * من بدائع الأدب الإسلامي - د. حسين علي محمد
- النقد التطبيقي :**
- ٩٨/٧ * الاتجاه الإسلامي في شعر السنوسي - محمد بن سليمان القسومي
- ٦٦/٦ * الالتزام الأخلاقي في شعر أحمد محمود مبارك - محمد يوسف التاجي
- ٨٤/٥ * «امرأة من أفغانستان» ، لأحمد منصور - حسن علي دبا
- ٥٢/٦ * البعد الإسلامي في شعر يوسف صلاح - محمد المشايخ
- ٥٠/٥ * بين الهجرة إلى الله وسلطة المادي : قراءة في القصيدة الإسلامية المغربية - عمر بو قرورة
- ٦/٧ * توفيق الحكيم والقصة الإسلامية - د. محمد رجب البيومي
- ٧٨/٦ * جناية العلمانية على «شقائق النعمان» - حيدر قفة
- ١٠٥/٧ * حكاية أبي عبدالله وأمه وأفعال الأمر والبكاء (تعقيبات) - صلاح حسن رشيد
- ٩٨/٦ * «الدعوة المستجابة» في ظل التصور الإسلامي (تعقيبات) - عبد الجواد الحمزاوي
- ٦٥/٥ * العقد في رواية «السراپ» - د. عودة الله منيع القيسي
- ٧٤/٥ * «لن أموت سدى» ، لجهاد الرجبي - عبدالرزاق ديار بكرلي
- ٣٣/٧ * من تراث باكثير المجهول : رواية «الفارس الجميل» - د. حلمي محمد القاعود
- ٣٦/٦ * من عيون الأدب الإسلامي (دراسة في شعر محمود مفلح) - د. محمد علي الهاشمي
- ٧٦/٨ * من قراءة في ديوان عبدالله السيد شرف الأخير - محمد يوسف التاجي
- ٨٢/٨ * وقفة على أعتاب المسرحية الشعرية «تحت أسوار الإسكندرية» - أحمد فضل شبلول

فهرس الكتاب

٧/٨	إبراهيم السامرائي
٦٨/٧	أبو البقاء الرندي
٦٦/٧	أبو الفتح البستي
٤٨/٨	أبو الطيب المتنبّي
٣٤/٦	أبو ذر أيد ميرو
٤٩/٨	أبو زييد الطائي
٢٩/٧ ، ٩٣/٥	أحمد بسام ساعي
٨٠/٥	أحمد عبدالحفيظ شحاتة
٨٢/٥	أحمد فراج
٨٢/٧	أحمد القنومي
٨٢/٨ ، ١٠٨/٧ ، ٨٣/٦ ، ٢٢/٥	أحمد فضل شبلول
٨٠/٦	أحمد محمد الصديق
١٦/٥	أحمد محمد علي حنطور
٦٥/٧	أحمد محمود مبارك
٤٢/٨	أكمل بن الشيخ محمد زين
١٠٦/٥	إلهام المبارك
٧٧/٦	أماني مسعد الفلاحة
٤٣/٨	أنور بدر الدين
٣/٧	أنور الجندي
٨١/٥	بدر بدير حسن
٧٣/٥	بشير رفعت سعيد
٧٩/٧	بقي بن مخلد الأندلسي
١/٥ ، ٤٦/٥ ، ٩٩/٥ ، ١٠٧/٥ ، ١/٦ ، ٧٧/٦ ، ١٠٨/٦ ، ١/٧ ، ٩١/٧ ، ١/٨ ، ١٠٤/٨ ، ١٠١/٨ ، ٩٤/٨ ، ١٥/٨	التحرير
٧٣/٥	توماس ناش
٩٧/٥	ثويني محمد الؤسري
٣٦/٥	جابر قميحة
٨٧/٥	الجاحظ
٧٢/٧ ، ٤٥/٥	جمال الدين لاتيش
٢٧/٧	جمعة محمد جمعة
٩١/٨	حامد الشريف
٣٠/٦	حسن حجاب الحازمي
٨٤/٥	حسن علي دبا
٦٠/٨	حسن فتح الباب
٤٨/٦	حسن الؤراكلي
٤٦/٨ ، ٣٩/٧ ، ١١٢/٦ ، ٩٨/٥	حسين علي محمد
٧٢/٧ ، ٤٥/٥	حسين عمر شباهيّتش
٨٠/٨	حسين يوسف العصفوري
٣٣/٧	علمي محمد القاعود
٧٤/٦	حميد بن ثور الهلالي

٩٢/٧	خالد البيطار
٦٣/٥	خالد سعود الحليبي
٤٢/٧	خالد عبدالرؤف
٨٤/٦	خيري السيد إبراهيم
٨٠/٧	درويش الزفتاوي
٢٦/٦	راضي صندوق
١٠٤/٧	روح الأمين خان
٨٦/٥	ابن الرومي
٨٧/٨ ، ١٣/٦	رياض صالح جنزلي
٩٢/٨	زاهر بن حسين العسيري
٩٤/٧	سعد أبو الرضا
٢٣/٨	سعد دعبيس
٥٦/٦	سعدى الشيرازي
٥١/٦	سعود بن حامد الصاعدي
٧٦/٦	سعيد عاشور
١١٢/٨	سعيد الوالي
٩٧/٦	سمير أحمد الشريف
٣٤/٨ ، ٩٦/٧ ، ٨٦/٦ ، ٣٩/٥	سمير عبدالحميد إبراهيم
١٠٦/٧	صابر عبدالدايم
٩٤/٥	صالح علي العمري
١٠٥/٧	صلاح حسن رشيد
٦٢/٥	طاهر العتياني
٣/٥	عبدالباسط بدر
٧٥/٨ ، ٩٨/٦	عبدالجواد الحمزاوي
١٥/٨ ، ٧٠/٥	عبدالحميد ربراهيم
٥١/٨	عبدالرحمن الصوفي
٧٤/٥	عبدالرزاق دياربكرلي
٨١/٨	عبدالعزيز محمد السالم
٣/٨ ، ١١٢/٥	عبدالقدوس أبو صالح
٥٦/٧	عبدالله بن ثاني الرويلي
١١٢/٧ ، ٦٩/٥	عبدالله السيد شرف
٣٥/٦	عبدالله عيسى السلامة
٤/٦	عبد زائد
٤٦/٦	عدنان النحوي
٨٨/٥	علي أحمد باكثير
١٩/٨	علي شلق
٧٨/٧	علي بن عبدالعزيز الجرجاني
٨٣/٧	علي الغريب
٣٥/٥	عليه الجعار
١٦/٧	عماد الدين خليل
٥٠/٥	عمر بوقرورة
٦٥/٦	عمر الفتال
٧٧/٥	عمر فروخ
٣٣/٨ ، ١٤/٧ ، ١٤/٦	عنتر مخيمر

ثبت «بيلوغرافيا»

٦٥/٥	عودة الله منيع القيسي
٩٦/٥	عيسى علي جرابا
١٠٤/٦	غازي التوبة
٥١/٧	غريب جمعة
٢٤/٥	فريد معوض
٥٤/٨	فهد العربي الحارثي
٣٦/٨	مأمون فريز جرار
٤٨/٧	مباركة بنت البراء
٩٦/٧	محمد إبراهيم نوق
١٦/٦	محمد إقبال عروي
٥٨/٧	محمد الحسناوي
٢٨/٦	محمد الحسيني أبو سم
٦/٧ ، ٢٥/٥	محمد رجب البيومي
٧٠/٨	محمد رستم
١٠٢/٧	محمد رشدي عبيد
٣/٦	محمد زغلول سلام
١٥/٨ ، ٧١/٧	محمد زيدان
٦٤/٥	محمد سلال العقاد
١١٣/٨ ، ٩٩/٦	محمد بن سعد بن حسين
٤٤/٧	محمد السعيد جمال الدين
٩٨/٧	محمد بن سليمان القسومي
٥٢/٨	محمد عادل سليمان
٢٤/٨	محمد عبد الحميد محمد خليفة
٧١/٦	محمد عبداللطيف هريدي
٩٤/٨	محمد عبدالله الهويمل
٤٧/٨ ، ٤٠/٧ ، ٨٢/٦ ، ٤٩/٥	محمد علي داود
٥٠/٧	محمد علي الرباوي
٣٦/٦	محمد علي الهاشمي
٥٢/٦	محمد المشايخ
٣٨/٨	محمد مصطفى بدوي
٩٧/٨	محمد مصطفى سليم
١٠٤/٧	محمد معظم حسين خان
٧٣/٧	محمد نعمان الدين الندوي
١١/٧	محمد وليد
٧٦/٨ ، ٦٦/٦	محمد يوسف التاجي
٤٤/٥	مديحة السايح
٦٩/٨	مرعي بن محمد القرني
١٤/٨ ، ٦٢/٧	مصطفى الزرقاء
٤٨/٥	مصطفى عبدالشافعي
٧٥/٦	ابن المقفع
٥٦/٦	ملكة علي التركي
١٤/٥	يس الفيل
١٨/٨ ، ٩٢/٦	يوسف عز الدين

قيمة اشتراك

بيانات المشترك

الاسم:
الجنسية:
الوظيفة أو العمل:
العنوان:
هاتف المنزل: هاتف العمل:
ملاحظات أخرى:

التوقيع
.....

السيد / رئيس مكتب الرابطة في:

الرياض - القاهرة - عمان - المغرب.

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي

لمدة سنة واحدة، ومرفق طيه شيك باسم:

رابطة الأدب الإسلامي العالمية - حساب المجلة

بمبلغ:

.....

قيمة الاشتراك السنوي: الأفراد: ما يعادل (١٥) دولاراً - الهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً

يرسل الشيك بقيمة الاشتراك مسحوباً على شركة الراجحي المصرفية للاستثمار بالرياض

قيمة اشتراك (هدية - تبرع)

بيانات طالب الاشتراك

الاسم:
الجنسية:
الوظيفة أو العمل:
العنوان:
هاتف المنزل: هاتف العمل:
عدد النسخ المطلوب الاشتراك فيها:
المبلغ المدفوع:

التوقيع
.....

السيد / رئيس مكتب الرابطة في:

الرياض - القاهرة - عمان - المغرب.

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي

لمدة سنة واحدة، يرسل هدية إلى:

الاسم:

العنوان:

ومرفق طيه شيك باسم: رابطة الأدب الإسلامي

العالمية - حساب المجلة.

بمبلغ:

قيمة الاشتراك السنوي: الأفراد: ما يعادل (١٥) دولاراً - الهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً

يرسل الشيك بقيمة الاشتراك مسحوباً على شركة الراجحي المصرفية للاستثمار بالرياض

أخي القارئ:

* قراءتك للمجلة تطلعك على مسيرة الأدب الإسلامي.

* اشتراكك في المجلة دعم للأدب الإسلامي ورابطته العالمية.

أخي القارئ:

* إهداء المجلة إلى صديق لك يجعله من أنصار الأدب الإسلامي.

* إهداء المجلة إلى أحد المراكز الإسلامية يتيح لعدد كبير من القراء أن يطلعوا على الأدب الإسلامي ومسيرة رابطته العالمية.

منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

- ١ - من الشعر الإسلامي الحديث - لشعراء الرابطة.
- ٢ - نظرات في الأدب - أبو الحسن الندوي.
- ٣ - رياحين الجنة «شعر في الطفولة والأطفال» عمر بهاء الدين الأميري.
- ٤ - دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث - الجزء الأول، إعداد الدكتور عبد الباسط بدر.
- ٥ - النص الأدبي للأطفال «أهدافه ومصادره وسماته - رؤية إسلامية» - د. سعد أبو الرضا.
- ٦ - ديوان البوسنة والمهرسك - مختارات من شعراء الرابطة.
- ٧ - لن أموت سدىً «رواية» - جهاد الرجبي (الرواية الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة الرواية).
- ٨ - ديوان «يا إلهي» محمد التهامي.
- ٩ - يوم الكرة الأرضية «مجموعة قصصية» للدكتور عودة الله القيسي.
- ١٠ - ديوان «مدائن الفجر» - الدكتور صابر عبد الدايم.
- ١١ - العائدة - سلام أحمد إدريسو (الرواية الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة الرواية).

سلسلة أدب الأطفال

- ١ - غرد يا شبل الإسلام - محمود مفلح.
- ٢ - قصص من التاريخ الإسلامي - أبو الحسن الندوي.
- ٣ - تغريد البلابل - يحيى الحاج يحيى.
- ٤ - حكاية فيل مغرور - د. حسين علي محمد.
- ٥ - أشجار الشارع أخواتي - أحمد فضل شبلول (شعر للأطفال).

تحت الطبع

- ١ - «محكمة الأبرياء» مسرحية شعرية - الدكتور غازي مختار طليمات.
- ٢ - الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني - الدكتور حلمي القاعود.

معتدو توزيع مجلة الأدب الإسلامي

- * السعودية : جدة - الشركة السعودية للتوزيع هاتف ٦٥٣٠٩٠٩ - فاكس ٦٥٢١١٤٦
- الرياض - هاتف ٤٧٧٩٤٤٤ - فاكس ٤٧٧٩٠٣٠
- الدمام - هاتف ٨٤١٣٢٣٩ - فاكس ٨٤١٣١٤٨
- * الإمارات: أبو ظبي - شركة الإمارات للنشر والتوزيع هاتف ٣٣٦٥٠٠
- * الكويت: شركة درة الكويت - هاتف ٢٤٢٨٢٥ - فاكس ٢٤٢٨٢٥٣
- * البحرين: المنامة - مؤسسة الهلال - هاتف ٢٥١٠١٥ - فاكس ٢٦٢٢٦
- * قطر: دار الثقافة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع - هاتف ٤١٤١٨٢ - فاكس ٤٣٦٨٠٠
- * مصر: القاهرة - مؤسسة أخبار اليوم - هاتف ٥٧٤٨٧٠٠ - فاكس ٥٧٤٨٧٠١
- * الأردن : عمان - دار البشير للنشر والتوزيع - هاتف ٦٥٩٨٩١ - فاكس ٦٥٩٨٩٣
- * لبنان : بيروت - الشركة المتحدة للتوزيع - هاتف ٨١٥١١٢ - فاكس ٦٠٣٢٤٣
- * سورية: دمشق - الشركة المتحدة للتوزيع - هاتف ٢٢١٢٧٧٣ - فاكس ٢٢٢٦٤٤٣
- * المغرب: الدار البيضاء - سوشبريس - هاتف ٤٠٤٠٣٢ - فاكس ٢٤٦٢٤٩

- كتب عربية
- أدوات مكتبية
- كتب أجنبية
- لوازم مدرسية
- كتب أطفال



كما يجب أن تكون المكتبة

المكتبة

الرياض - طريق الملك فهد
مع تقاطع العروبة - هاتف : ٤٦٥٤٤٢٤